

مذكراتي

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

جميع الحقوق محفوظة لـ:

دار الأصول العلمية

AL-USOOL AL-ELMIYAH



طباعة - نشر - توزيع

تركيا - اسطنبول

تطلب جميع كتبنا من دار الأصول العلمية

Fb: daralusool - Tw: daralusool

www.dar-alusool.com - info@dar-alusool.com

جوال: ٨٣ ٧٧ ٨١٦ ٠٥٣٧ - هاتف: ٠٤ ٦١ ٥١٤ ٠٢١٢

Balabanağa Mah. Büyük Reşitpaşa Cad. 16B/15, Fatih - İSTANBUL

ISBN: 978-605-67355-2-3



طبع بالتعاون مع مؤسسة الشيخ

محمد سرور زين العابدين

Basım / Cilt: Step Ajans Matbaa Ltd.Şti.

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İSTANBUL

Tel: (212) 446 88 46 / Sertifika No : 12266

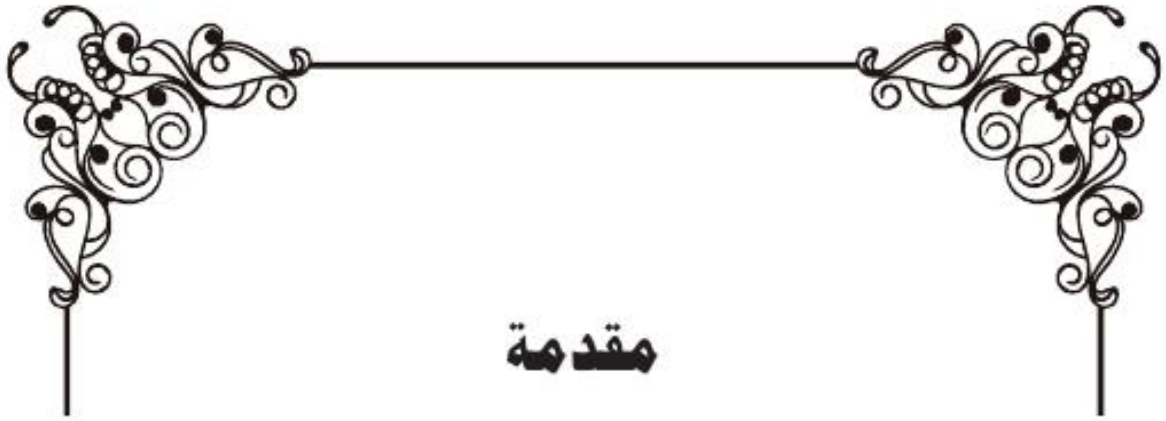
مذكراتي

الجزء الثالث

محمد سرور بن نايف زين العابدين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

شاء الله عز وجل أن يغادر الوالد، الشيخ محمد سرور بن نايف زين العابدين، الدنيا يوم الجمعة ١١ / صفر / ١٤٣٨ هـ - ١١ / نوفمبر / ٢٠١٦ م، وذلك بعد أن أقرّ مسودة الجزء الثالث من سلسلة كتابه الموسوم: «مذكراتي»، ودفعها للمراجعة والتدقيق، وقد حاول غير مرة أن يكتب مقدمة لهذا الجزء لكنه لم يتمكن بسبب اشتداد المرض عليه، فترك ذلك لمن بعده، ضمن ما ترك من تراث علمي كبير.

وبعد أن استعرض حياته المبكرة في مطلع أربعينيات القرن الماضي في الجزء الأول، وعرج للحديث عن انتقاله من قريته (تسيل) إلى مدينة (ذرعا) للدراسة في المرحلة الإعدادية حتى نهاية الأربعينيات في الجزء الثاني؛ يسرد الوالد في هذا الجزء (الثالث) مشاهداته في مرحلة التعليم الثانوي خلال المدة ١٩٥٣ م - ١٩٥٥ م، وانتقاله للدراسة في دمشق.

وجرياً على منهجه ألا يؤرخ لنفسه في هذه المذكرات؛ فقد أثر الوقوف على الأحداث الهامة المعاصرة للمرحلة التي يؤرخ لها، حيث استعرض: محنة الإخوان المسلمين عقب محاولة اغتيال جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ م، والانشقاق الذي وقع في صفوف الجماعة بمصر وأصداءه في سوريا، كما يعرض شهادته في الأحداث التي أعقبت اغتيال العقيد عدنان المالكي عام ١٩٥٥ م، ومحاولة الانقلاب التي كان يخطط لها العقيد محمد صفا عام ١٩٥٦ م، بالإضافة إلى أحداث المدة الممتدة ما بين عامي ١٩٥٤ م و ١٩٥٨ م.

وكان الوالد قد سأل الله عز وجل، لدى الانتهاء من تدوين مقدمة الجزء الأول في ١٤ / شعبان / ١٤٣٣ هـ - ٤ / يوليو / ٢٠١٢ م، أن يهب له من الوقت والعمر ما ينجز فيه هذه المذكرات، وأن يجعل فيها النفع لجيل أبنائه وللأجيال القادمة، فمن الله عليه بأكثر من أربع سنوات أنجز فيها من الخير العميم، ونفع الله به خلقاً كثيراً، واستمر في بذله وهمته وعطائه، رغم ما ابتلي به من الأسقام، إلى أن وافاه الأجل وهو على ذلك صابراً محتسباً يلهج لسانه بحمد الله حتى الساعات الأخيرة قبل وفاته، يرحمه الله.

وإذ يمثل هذا السفر بين يدي القارئ الكريم؛ فإننا نرف تباشير استمرار عمل الوالد بعد انقضاء أجله؛ ومن ذلك ما خلفه من كتابات وبحوث مهمة تمثل معيناً خصباً في مكان من ذاكرته التي بقيت غضة طرية حتى آخر عمره، وفي معالم المنهج الذي سار عليه بعزيمة وثبات.

اللهم تقبل هذا العمل من الشيخ محمد سرور واجعله خالصاً لوجهك الكريم، واغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، واجعل فيما كتبه فائدة للأجيال القادمة، وثقل بها موازينه يوم القيامة، إنك سميع مجيب الدعاء.

د. بشير بن محمد سرور زين العابدين

الاثنين ٦ / ربيع الأول / ١٤٣٨ هـ

٥ / ديسمبر / ٢٠١٦ م



سورية بين فكي كماشة



تمهيد

كانت سورية بعد استقلالها مطمعاً لمحورين عربيين، وكلٌّ منهما يحاول بسط نفوذه عليها بشتى السبل: السياسية منها والعسكرية والفكرية:

المحور الهاشمي: ويشمل كلاً من الأردن التي كان ملكها عبد الله بن الحسين، والعراق التي كان يحكمها فيصل حفيد فيصل بن الحسين، ولم تكن مطامع الأردن مثل مطامع العراق، وكان من أشهر السوريين السياسيين المؤيدين لهذا المحور: حسن الحكيم، منير العجلاني، رشدي كيخيا وناظم القدسي ومعهما معظم قادة حزب الشعب، وميخائيل ليان وبعض قادة الحزب الوطني، وبعض شيوخ العشائر، وبالأخص في المناطق المجاورة للعراق.

ومن العسكريين: المقدم غسان جديد، والمقدم محمد معروف، وهما من أبناء الطائفة النصيرية، والمقدم محمود الرفاعي، والرئيس عصام مريود ابن شقيق الزعيم الوطني أحمد مريود، وكان يرأس المجموعة العسكرية العقيد محمد صفا وهو من أبناء الطائفة الشيعية ومن أصول لبنانية.

والمحور المصري السعودي: كانت هناك علاقات تاريخية مميزة بين سورية ومصر، وكان يراها شكري القوّتلي ومعه قادة الحزب الوطني ومعظم زعماء سورية وشيوخ العشائر، وكان ملك السعودية يعتمد في إدارة شؤون بلده الداخلية والخارجية على شخصيات سورية، وبرز من هؤلاء: خالد الحكيم، والدكتور رشاد

فرعون، والدكتور مدحت شيخ الأرض، يوسف ياسين، وخير الدين الزركلي، ومن العلماء الشيخ محمد كامل القصاب الذي أنشأ التعليم وكان له دور كبير في وضع المناهج السعودية، والشيخ بهجت البيطار.

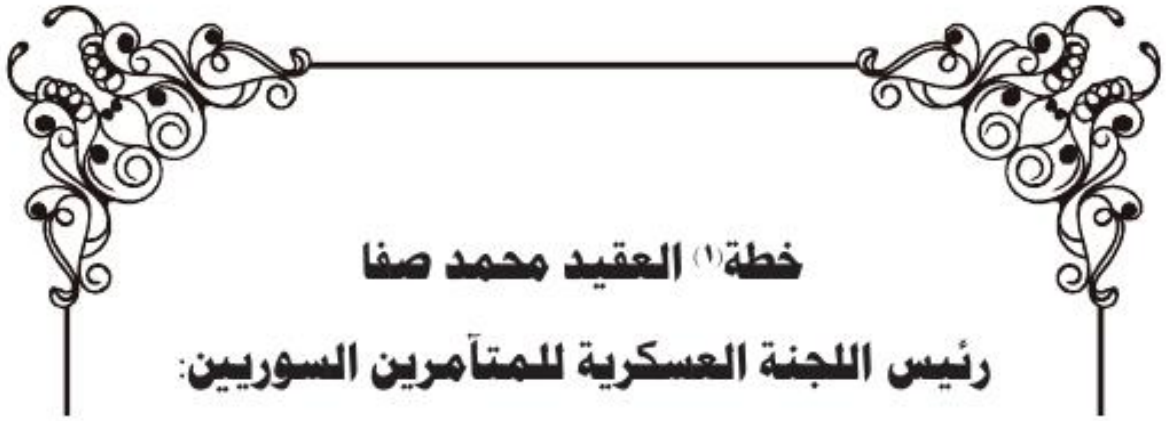
أما مصر فلقد استقطب عبد الناصر الاتجاهات والأحزاب العلمانية القومية واليسارية والعسكريين بشكل عام، ثم أخذت شعبيته تقوى حتى صار الشعب السوري يرى فيه البطل المأمول الذي سينقذهم من الظلم والفوضى والمؤامرات التي تُحاك ضدهم من كل حدبٍ وصوب، وطالما تغنَّوا به وشبهوه بصلاح الدين الأيوبي وعمر بن عبد العزيز... ثم شدَّ قادتهم الرحال إليه يخطبون ودَّه ويستعطفونه ليقبل بالوحدة السورية المصرية، وأن يكون هو رئيس هذه الوحدة، وهو يتأبى ويملي عليهم الشروط التي تخالف طبيعة ومزاج الشعب السوري، وأخيراً قبل الرئيس الملهم بالوحدة، وأن يكون رئيس الجمهورية العربية المتحدة، لكن هذه الوحدة - وكما سيأتي - لم تستمر أكثر من ثلاث سنين ونصف السنة، ثم وقع الانفصال فكان كارثة على كل من سورية ومصر.

المحور المصري السعودي رغم قدمه وعراقته فقد أصابته انتكاسة في عام ١٩٥٧م، واستمرت حتى ١٩٦٧م في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، حيث بدأ يسترد عافيته بشكل تدريجي، واشتدَّ عوده في عهدي الرئيس أنور السادات والرئيس حسني مبارك.

وفي [١٤ تموز ١٩٥٨م] قاد الجنرال عبد الكريم قاسم ومجموعة من الضباط الذين يمثلون اتجاهات شتى انقلاباً عسكرياً دموياً، وكان أول ما فعلوه: قتل الملك فيصل بن غازي، ووصيه الأمير عبد الإله بن علي، ورئيس الوزراء نوري السعيد،

وآخرين من أبناء الأسرة الهاشمية، وسحلوا جثث بعضهم في شوارع بغداد، وهذا العمل الإجرامي لا أعرف مثيلاً له من قبل في عالم العرب وفي العصر الحديث بالذات. والشيء الثاني الذي فعله الانقلابيون هو تشكيل محكمة عسكرية أسندوا رئاستها للجنرال فاضل عباس المهداوي؛ لمحاكمة من بقي حياً من رموز العهد السابق، وفي هذه المحكمة نشروا كثيراً من الأسرار والوثائق، (ومن بينها خطة العقيد محمد صفا).

وشتان شتان بين الظن الذي قد يدخل بعضه في دائرة الإثم، وبين الحقيقة الناصعة التي لا مجال للتشكيك بصحتها، وحتى يعيش معنا القارئ الكريم أجواء تلك المرحلة من تاريخ سورية، وما كان يُدبر لها من مؤامرات، فإننا سننشر فيما يلي الخطة التي قدّمها العقيد محمد صفا للمسؤولين في العهد الملكي من أجل قيام انقلاب في سورية.



خطة^(١) العقيد محمد صفا

رئيس اللجنة العسكرية للمتأمرين السوريين:

دراسة للموضع السوري

١ - الوضع العام:

الوضع في سورية خطير للغاية. إنه وضع يهدد السلم في الشرق الأوسط وسلم العالم الحر، والقومية العربية بخطر مميت لم تتعرض لمثله من قبل. وإن النوايا الطيبة الحسنة، النوايا الطافحة بالتمنيات، والمكتفية من الإجراءات والمعالجة بالدعاء والتبريك والاتكالية، ومن التبعات ببعض النفقات والمساعدات... هذه النوايا لم تكف في الماضي القريب لمواجهة الخطر يوم كان في مهده، ولن تكفي اليوم ولا غداً لاستئصال داء قد نما وترعرع، وبات يهدد الأفراد والجماعات والقومية العامة المشتركة بأوخم العواقب.

هذا الداء مزيج من الشيوعية الدولية واليسارية الموضعية المتطرفة... وهو - ككل داء - يتطلب للنجاح في مقاومته إصابة في التشخيص والتحديد، ورغبة صادقة في المعالجة، وللإصابة في إيضاح الحقيقة عن الوضع السوري يقتضي تشخيص هذا الوضع في:

(١) الخطة بتهامها من كتاب: «محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة»، صدر الكتاب عن وزارة الدفاع العراقية، إعداد: هيئة التنسيق في المحكمة العسكرية العليا الخاصة، ١٩٥٨م،

- الحقل المدني.

- والقوات المسلحة.

- والتيارات المعاكسة.

أ- الحقل المدني:

تقوم اليوم في سوريا الأحزاب التالية:

- الحزب الوطني.

- حزب الشعب.

- الحزب الشيوعي.

- حزب البعث العربي الاشتراكي.

وثمة حزبان آخران هما: الحزب التعاوني، والحزب السوري القومي الاجتماعي، إلا أنهما يعتبران عملياً في حكم الأحزاب المنقرضة. فالحزب التعاوني ممثل بشخص رئيسه وبيعض الأنصار في دمشق وضواحيها. والحزب القومي السوري ممنوع ومطارد، وقد قضي عليه بالسجن والتنكيل والإبعاد، أو كاد.

أما الأحزاب الأربعة الأخرى، فالحزب الوطني وحزب الشعب ليسا سوى جمعيات سياسية بلا تأثير عملي على الفئات المثقفة الخارجة من صفوف الطبقات الفقيرة ولا شعبية لها إلا ضمن إطار إقليمي، وفي محيط الملاكين وكبار التجار. تفتقر هذه الجماعات السياسية إلى الحزم والإقدام وتتصف بالتردد والبخل والسلبية في التفكير والفعالية، كما وتنقصها الزعامة الحقة.

وأما الحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الاشتراكي فهما الحزبان الوحيدان اللذان تنطبق عليهما حقل التسمية الحزبية الصحيحة. فالزعامة في كل منهما دينامية

جريئة، والأسس عقائدية، والتنظيمات متينة، والتأثير عظيم على عقول أنصاف المتعلمين وأفراد الطبقات الفقيرة.

وهناك أيضًا حزب دستوري، وحزب مستقل، وجماعة الإخوان المسلمين. إن الدستوريين والمستقلين كتلتان نيابيتان قامتتا لغرض الاستيثار وتأمين المنافع الخاصة، فلا تأثير لها على الجماهير، ولا مناهج موضوعية، ولا يشار إليها كأحزاب خارج القبة النيابية. والإخوان المسلمون جماعة كبيرة التأثير في الأوساط المسلمة، لكن جماعة لا تثبت على رأي ولا تتبع خطة عملية، فهي تارة منظمة دينية بحتة، وهي طورًا حزب سياسي. وهذا التقلب في تعيين موقفها يُضاف إليه الافتقار إلى زعامة فعّالة موحدة جعل منها حتى الآن كتلة شعبية كبيرة بلا تأثير إيجابي ولا سنة واضحة.

إن الشيوعية واليسارية المتطرفة - أي حزب البعث العربي الاشتراكي - تسيطران اليوم على سوريا سيطرةً تامةً كاملة. وفي البلاد معارضة، تتكون من كافة الأحزاب والهيئات الشعبية الأخرى تقريبًا، لكنها معارضة اسمية فحسب. بيد أن هذه المعارضة الاسمية الناقمة - لكن بصورة سلبية - تمثل النسبة الغالبة من مجموع السكان، نسبة ثمانين بالمئة. وتتجسم في مناطق:

- حلب.
- والعلويين.
- والبدو.
- والفرات والجزيرة.
- والغوطة.
- وجبل الدروز.

تتقاسم الشيوعية والبعثية الحكم والاستبداد، هذا التقاسم أو التحالف لن يطول أمده، وسينتهي الأمر إلى تفرد الأولى بكل شيء. فالشيوعية أمتن نظامًا، وأرسخ عقيدةً، وأحسن زعامَةً. وقد سيطرت على الجيش ووزارتي الخارجية والمعارف، وهي في طريق الوصول إلى السيطرة على كافة المرافق والأجهزة الحساسة الأخرى بتأثير الدعم الروسي العلني وارتباط الاقتصاد السوري تدريجيًا بعجلة السياسة السوفياتية.

ب- القوات المسلحة:

الضباط والرقباء في الجيش والدرك والشرطة ينتسبون بمعظمهم إلى الطبقات الفقيرة، وكلهم تقريبًا يُعتبرون من أنصاف المثقفين، وهذا ما جعل منهم بيئةً صالحةً لتلقي بذور الشيوعية والبعثية.

وكانوا حتى أمد قريب يتوزعون إلى عهدين:

- عهد الانتداب.

- وعهد ما بعد الانتداب.

حاولت الحزبية السياسية منذ أيام الانتداب التسلل إلى صفوف القوات المسلحة، غير أنها لم تجن من محاولاتها نتيجةً محسوسةً، لوقوف التربية المسلكية الصحيحة حاجزًا في وجهها ولسهر القيادة وبقظتها. والحزب الوحيد - الذي استطاع تسجيل بعض النجاح - كان الحزب السوري القومي الاجتماعي.

واشتدت المحاولات الحزبية بعد أن حصل الاستقلال ولم تلبث أن سجلت فوزها الأول بانقلاب حسني الزعيم مستغلةً لوقوعه قيام دولة إسرائيل، والمهازل العسكرية التي أعقبت ذلك الحادث المشؤوم. يُعتبر ذلك الانقلاب نقطة التحول

في تاريخ الشيوعية والبعثية، فقد قُضيَ على ذلك الحاجز المعنوي الذي كان يقف حائلاً دون قبول العسكريين للمبادئ الحزبية، ومهّد للأحزاب العقائدية الماهرة في التضليل والدعاية الكاذبة طريقَ التسرّب إلى صفوف القوات المسلحة، وجعل من الانقلابات سنةً مشروعة.

إلا أن النسبة الغالبة من الضباط ظلت متأثرةً بالتربية المسلكية التي اكتسبتها في عهود ما قبل الاستقلال، فلم تُقبل على الحزبية ولم تشجع على انتشارها واقتصرت نجاح هذه على الضباط الصغار الذين انتسبوا إلى الخدمة قبيل نهاية الانتداب وما بعده. وقد قامت الشيوعية واليسارية بالدعاية لصنف الضباط الأحداث فوصفتهم بالوطنية الصادقة والقومية الصحيحة، ونعتت الآخرين بالرجعية والميل للاستعمار. حقق انقلاب الزعيم خطوةً موفقةً للشيوعية والبعثية وأخذت منذ ذلك الحين تعمل على تكرار حدوث الانقلابات، وغايتها تطهير خصومها في الجيش، والحصول على المكاسب نتيجةً لكل انقلاب جديد. وهذا ما وقع فعلاً، فقد أخذ عدد الضباط القدماء يتقلّص تدريجياً وبسرعة، وعدد الضباط الأحداث ينمو ويتزايد. واعتاد الشعب على نغمة التدخل العسكري في أموره السياسية، ولمس الضباط المتطرفون وقادة الأحزاب اليسارية تقصير الأحزاب المعارضة وعجزها فاحتقروها واستلبوا منها نهائياً زمام المبادرة.

ثم اغتيل العقيد البعثي عدنان المالكي. وكان الحزب السوري القومي حتى ذلك الحين أقوى الأحزاب العقائدية في صفوف القوات المسلحة، بيد أن هذا الحزب لم يحسن الاستفادة يوماً من قواه. وما استطاع أبداً أن يوجد لنفسه تكتيكاً عملياً صحيحاً. وكان أن تحالف البعثيون والشيوعيون وبقية الأحزاب ضده وتآلبوا عليه فبطشوا به وأزالوه من الميدان العسكري والشعبي كهيئة سياسية ذات قيمة.

يسيطر الشيوعيون والبعثيون اليوم على الجيش والدرك والشرطة سيطرةً تامةً، وهم - رغم ذلك - قلة، ونسبتهم من المجموع لا تبلغ العشرين بالمئة، نسبة موزعة على الوجه التالي:

- ١٢ بالمئة للبعثيين.

- ٨ بالمئة للشيوعيين.

وما تبقى - وهو ثمانون بالمئة - فيتكون من أكثرية جبانة مترددة تعبر عن ترددتها وجبنها بالحياد، ومن عدد من أنصار القوميين والإخوان المسلمين بالنسبة المئوية التالية:

- ٥ [بالمئة] للقوميين.

- ١٥ [بالمئة] للإخوان المسلمين.

إن النسبة التي تدين بالولاء والطاعة للعناصر الهدامة هي من حيث العدد نسبة ضئيلة، إلا أن هذه النسبة قد امتازت بالتهور والفاعلية، وهي تسيطر على أجهزة الدفاع وأسلحة الجيش في النواحي المؤثرة الفعالة في وزارة الدفاع والأركان والقوات المدرعة وموارد الدولة المالية.

لم يبق في الجيش ضابط قديم ولا قائد ذو خبرة بأمور الميدان وقاتلاته. إن الجيش السوري الحالي لا يصلح كأداة للقتال في الميدان، وما هو إلا قوة بوليسية تستخدمها اليسارية مطية للوصول إلى الحكم، وتحويل البلاد إلى جهنم شيوعية. وإن الكثرة في الأسلحة والعتاد والمعدات لن تغني عن الافتقار إلى القادة الأكفاء، ولن يكون من الممكن معالجة هذا النقص بصورة جزئية إلا بواسطة (السوفييت) من ضباط وفنيين، وفي ظرف لا يقل عن سنتين من الزمن.

في هذا النقص الفاضح يكمن ضعف الشيوعية والبعثية، ومنه يُستطاع طعنهما في الصميم، وذلك بأن تُجابه بقوة عسكرية عظيمة التنظيم والفاعلية وفي أقرب فرصة ممكنة.

ج- التيارات المعاكسة:

إن الانقلابات العسكرية التي تعاقبت على المسرح منذ عام ١٩٤٩م قتلت بتكررها مقاومة الشعب، ودفعت به إلى حالة الجمود واللامبالاة بعد أن قنع بعقم المحاولات للتخلص من قبضة العناصر المتطرفة، وفقد ثقته بالساسة والزعماء من خارج صفوف البعثية والشيوعية.

ورغم ذلك كله ففي البلاد نقمة تشمل الثمانين بالمئة من مجموع السكان لدى المدنيين والعسكريين على السواء، إن الدروز والعلويين والبدوناقمون، والمحافظات الشمالية والصحراوية تغلي وتغور، لكنها نقمة نفسية صامتة، وثورة مكبوتة، لا ينيرها قبس من نور، ولا ترجو من الداخل فرجاً ولا مساعدة.

مضى على الحكم القائم ثلاث سنين، وقد نجح حتى الآن في إخفاق عدة محاولات جرت لقلبه، واستطاع تطهير القوات المسلحة من خصومه، وأخذ صوت المعارضة الداخلية بصورة نهائية.

إلا أن هذا النظام لا يعتبر في مقاييس القوة قوياً ولا عزيز المنال. إنه بالأحرى نظام ضعيف بالنظر إلى النسبة الضئيلة التي تسانده من العسكريين والمدنيين. وهو ضعيف لكونه يقوم على ازدواج في الحكم بين مدنيين وعسكريين وعلى تحالف لا طبيعي بين البعثية والشيوعية، تحالف عرضي لا بد له أن يزول يوماً لما بين الفريقين المتحالفين من اختلاف عقائدي أساسي ومن تطاحن على النفوذ واقتسام المغنم.

والفوز الأخير في هذا الصراع كما تشير الدلائل سيكون - على الأعم الأغلب - إلى جانب الشيوعية. إن قوى الطرفين هي الآن متعادلة، لكن هذا التعادل سيزول قريباً، وستنفرد الشيوعية بالحكم والسلطان وذلك بمساعدة العسكريين والإخصائيين (السوفييت) الذين أخذوا يتوافدون على سوريا بالعشرات والمئات. أما خصوم هذا التحالف اليساري القائم من أحزاب وهيئات وأفراد عسكريين فهم في ميزان القوى بلا حول ولا استطاعات عملية، ولن يكون بمكنتهم الوصول إلى إظهار معارضة داخلية فعّالة، وهم منقسمون على أنفسهم، عاجزون عن التكتل وتوحيد الصفوف، مفتقرون إلى زعامة قوية تجمع فيما بينهم وتتولى قيادتهم.

وكذلك حال الشخصيات المدنية والعسكرية الموجودة خارج البلاد. من هذه الشخصيات من يتمتع بسمعة شعبية طيبة، ومنها من له محبون أو معجبون في صفوف الجيش، لكنهم فرادى أو مجتمعون لا يستطيعون تأثيراً على سير الحوادث الداخلية، ولا يملكون من الوسائل ما يؤهلهم لتكوين قوة تستطيع الصمود في وجه النظام المخاصم.

إن تغيير الأوضاع السورية الراهنة لن يتم إلا بالوسائل العنيفة، والمعارضة لا تملك قوات مسلحة، ولا تأثير لها على عناصر الفتنة والشغب المكوّنة اليوم من الطلاب والرعاع والضباط اليساريين، ولذا فلا أمل لها بمواجهة الخصم بالعنف والإكراه، بسلاح مؤاتي^(١) دون مساعدة خارجية.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مؤاتٍ.

٢- المعالجة:

لا علاج للمسألة السورية إلا بثورة...

وهذه الثورة يجب أن تُعد بقوة، وأن تُبنى على أسس عسكرية صارمة، لا على أسس مرتجلة عشائرية، ولا على طريقة جيش الإنقاذ.

كل محاولة تستهدف تغيير الأوضاع بالعمل على قاعدة القبيلة أو الطائفية أو الحزبية الضيقة منتهية إلى فشل محقق مهما توفر لها من مال وسلاح، فهي لن تؤدي سوى انتفاضات موضعية وقتية محدودة، ولن تنتج إلا تقويةً للخصم وتوطيداً لدعائم كيانه وسطوته. إن الثورة التي يكتب لها الفوز في النهاية يجب أن تُحصر في جوٍّ من الكتمان المطبق، وأن تظهر بحيث يباغت بها الخصم، وأن تبدأ بفاعلية ودينامية، وأن يكون باستطاعتها الصمود وتعاضم القوى مع مرور الزمن^(١).

إن ثورة كهذه لن تكون ممكنةً متيسرةً إلا بخضوعها لزعامة سياسية شاملة، وقيادة عسكرية قادرة موحدة، وإعداد عسكري متين مسبق.

٣- إيضاح الفكرة:

تقوم في الخارج حكومة سرية تعترف بها الدول الصديقة وتمدّها بالأموال والأسلحة وتوفّر لها أسباب النشاط ومجالات العمل. تتألف هذه الحكومة من شخصيات فعّالة موثوقة، وتشعر فور تكوينها بتنظيم جهاز حكومي إداري بسيط، وجهاز عسكري قوي صالح لأن يحضر ويقود جيشاً تحريراً ذا فعالية عظيمة.

(١) كذا في الأصل، ولا تصح، والصواب: مر.

الغرض من قيام الحكومة المشار إليها هو صبغ العمل التحريري بالصبغة الوطنية الشعبية، وإظهار القوات الثورية بمظهر الجيش الوطني. جيش تابع لقيادة موحدة تستمدُّ صلاحياتها من حكومة قائمة وتعمل على تحقيق تبعاتها ومسؤولياتها بعقلية عسكرية مجرّدة من المؤثرات الحزبية والأطماع الخاصة.

إن أول نشاط عسكري يُباشر به يكون تعيين قيادة عامة، وتنظيم أركان كاملة، والحصول على معسكرات ومستودعات، وتهيئة الأموال والأسلحة والتجهيزات اللازمة، وتنظيم الاتصال والتعاون والتعامل مع السلطات في أراضي الدول الصديقة، وإمداد القيادة والأركان بعدد من الضباط الأخصائيين من الجيش العراقي، ضباط يُتدبّروا^(١) للقيام بالدراسات ووضع الخطط والتصاميم وتأمين سير العمل في المدارس والدورات التدريبية خلال مراحل التحضير الأولية.

ومتى تمّ كل ذلك يُباشر عقبتُ بالتجنيد على أساس التطويع والانتقاء من مختلف العناصر المعروفة بعداؤها للشيوعية بالتفضيل من البدو والعلويين والدروز والإخوان المسلمين ومن مختلف المناطق العربية المتاخمة لأراضي الجمهورية السورية. تُخصّر للثورة بحيث تبدأ الحركات في اليوم (ي) قوة من عشرة آلاف مقاتل مدربين تدريب (الكومندوس) ومجهّزين بالمعدّات الخاصة بهذا النوع من المقاتلين. تتراوح المدة اللازمة للإعداد الكافي بين ثلاثة وستة أشهر محسوبة من ساعة وصول المجنّد إلى معسكر جاهز لقبوله وإيوائه وإكسائه وإطعامه والمباشرة بتدريبه.

ويجب أن يقوم التجنيد على قاعدة السخاء في الإكساء والإطعام والراتب، وعلى تزويد المعسكرات بأسباب الترفيه ووسائل العناية الكاملة المتقنة. إن المجنّد-

(١) كذا في الأصل. وهو خطأ، والصواب: يتدبّرون.

ضابطاً كان أو نفراً بسيطاً- لن يخرج من معسكر التدريب إلا حين يُوجَّه في طريقه إلى ساحة المعركة، ولن يُسمح له بالتراسل ولا بتلقي الزيارات الشخصية من خارج المعسكر، ولا يعلم بعنوان المعسكر ومكانه لا بعد وصوله إلى المعسكر ولا حين تطويعه في مراكز القبول والتصفية.

يتساوى المجنّدون جميعاً- ضباطاً وأفراداً- في الإكساء والإيواء والإطعام والترفيه. إن الخصم قويٌّ في عقيدته، مستميت في مراكزه، تتوفر لديه الموارد المادية ووسائل الدعاية، كثير السلاح والعدد، فمن المستحيل مقابله بتحضيرات مرتجلة وعقلية ضيقة محدودة. يقتضي لمقابلة هذا الخصم مجنّد يتمتع بمعنوية عالية وعصبية كفاحية عظيمة، ولن تتأمن هذه المعنوية والعصبية في سياق زمن قصير إلا حين يُستند في خلقها وتكوينها على التفنن والابتكار في الحيل والوسائط.

٤- الفكرة لبناء خطة الحركات:

يستحيل القضاء على كيان الخصم العسكري والسياسي بحركة خاطفة وساعات معدودة. إن الاستيلاء على العاصمة بغارة مفاجئة قد يؤدي إلى الإطاحة بالنظام القائم فيما إذا كانت القوة المكلفة بالغارة قوية فعّالة، ورافقتها حركات مسلحة في مناطق العلويين، وحلب، والصحراء، وجبل الدروز.

غير أن تحضير القوة اللازمة للنجاح في غارة كهذه لا يمكن حصوله ضمن الأراضي السورية، وإذا أعدت هذه القوة في الخارج فلا يُعقل أن تنجح عناصرها في التسرب والتجمع على مسافة ضاربة من العاصمة دون أن يدري بها الخصم فيبيدها وهي متفرقة، أو يسارع فيحتاط بحيث يتجنب الوقوع في مغبة المفاجأة-

وهي العنصر الحاسم في العملية - وإذا اجتازت القوة الحدود كمجموعة منظمة فليس من المستبعد أن نبلغ تخوم العاصمة قبل أن يدري بها العدو، لكن اجتيازاً كهذا سيعتبره الروس بمثابة اعتداء خارجي وانتهاك لحرمة دولة مستقلة من قبل دولة أخرى معتدية.

لن تستهدف المفاجأة إذن إلا كعنصر أساسي لمراحل الإعداد والتحضير ولمرحلة الشروع بالتنفيذ المبدئية الآيلة إلى عزل المنطقة المنتقاة كقاعدة للثورة، قاعدة تعلن منها الحركة، وتحقق تغطية يتم في حماها وستارها دخول القوات المنظمة لتأمين السيطرة الكاملة على القاعدة نفسها، والشروع من هذه القاعدة بالخطوات والمراحل التالية.

وإذا أستبعدت فكرة العملية الخاطفة فالمسألة - حالة إذ - صائرة إلى حرب أهلية تكون الغلبة بنهايتها للطرف الذي يتفوق بكفاءته وديناميته ووطأته، وبالمساعدات التي يتلقاها من أنصاره وحلفائه. وإن استحالة القضاء على الخصم بضربة واحدة خاطفة لن يمنع دون التوصل إلى ضعضة صفوفه وتعطيل خطوطه وعزل قياداته وإلقاء الذعر في نفسه بعمليات تخريبية إرهابية موضعية أو عامة، ترافق عملية التغلغل الرئيسية لعزل القاعدة والسيطرة عليها.

تستدعي هذه الفكرة: استدراك الكميات اللازمة من التجهيزات والمعدات الكافية لمضاعفة قوات الثورة بالتجنيد الداخلي بعد الإعلان والشروع، واستهداف خطة العمليات العامة قيام العصيان المسلح في المناطق الصالحة لهذا الغرض.

إن أصلح منطقة لتكون قاعدة للثورة من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية هي منطقة العلوين، فهذه المنطقة جبلية حصينة مأهولة بسكان

ناقمين، ملاصقة للحدود التركية اللبنانية الصديقة، وفيها الشاطئ المستوي الوحيد، والاستيلاء على هذه المنطقة سهل ممكن في كل حين، وبخسارتها يفقد الخصم منفذه الوحيد على البحار، ويتم عزله عن العالم الخارجي حالما يُمنع عنه استخدام مرفأ بيروت.

وهي قاعدة يسهل الانطلاق منها بقوة باتجاه حمص وتدمر. والسيطرة على هاتين المدينتين تؤدي - حتمًا - إلى سقوط محافظات حلب والفرات والجزيرة، وإذا نجح العصيان المسلح في الصحراء وحواران وجبل الدروز فقد تحقق عندئذ تطويق الخصم في عقر داره، وعُزل في دمشق وضواحيها لتصبح نهايته مسألة أيام معدودات، نهاية يعجل حدوثها قيام السكان عليه في العاصمة والغوطة والقلمون حالما يشعرون بوطأة الحصار ويلمسون تلك الطغمة الحاكمة وخطورة موقفها.

٥ - مبدأ التجنيد:

المطلوب أن يكون المجنّدون من التبعة السورية، أو من عناصر تنتمي إلى بشریات يصعب تمييزها عن المجموعات السورية، ولما كان استدعاء السوريين بكثرة إلى الخارج لغرض التجنيد مؤد لا محالة إلى افتضاح العمل وهو لا يزال في مراحله التمهيدية، لذا لن يصحّ الاعتماد على سوريا كمورد بشري أساسي للتطويع. وتحتّم الاكتفاء من هذا المورد بالقليل الممكن والتوجه شطر المجموعات البشرية التي تعيش تحت الخيام في البادية وصوب المناطق المأهولة المتاخمة للحدود السورية.

لا يمكن التمييز بين بدوي سوري وآخر عراقي أو أردني في مناطق الحدود المشتركة، وكذلك يصعب التفريق بين درزي في لبنان ودرزي في جبل الدروز، ولا

بين علوي في لبنان وآخر في منطقة العلويين أو في منطقة الإسكندرونة من الأراضي التركية. والحالة هي ذاتها فيما يختص بالشراكسة. أما الإخوان المسلمون سواء في لبنان وسوريا والأردن والعراق فهم بموجب تربيتهم وعقيدتهم وعاداتهم متشابهون في اللهجة والتخاطب والمعاشرة وليس من اليسير التمييز فيما بينهم.

لكل من هذه الكتل البشرية عيوب أو ميزات تعطيه درجة خاصة في ترتيب من الأفضلية والأسبقية، ترتيب ناتج عن دراسة ومعرفة بالخصائص والقابليات لدى كل فئة ومدى صلاحها للعمل المنشود. والعمل بموجب ذلك التفضيل أو الترتيب يدعو إلى تحديد نسبة المجندين من كل فئة وفقاً للنسب المثوية التالية:

٥٠	البدو
٢٠	العلويون
١٥	الإخوان المسلمون
١٠	الشراكسة
٥	الدروز

٦ - كيفية التجنيد:

تدعو إلى التطوع لجان خاصة تنفرد كل لجنة بمنطقة معينة، وتعمل دون أن تكون على علم بأعمال سواها من اللجان في بقية المناطق، ودون أن يعلم أعضاء اللجان من مقاصد التطوع ومآل المجندين سوى شروط التطوع ومكان ومراكز القبول والتصفيه في كل منطقة.

أما الغاية من التجنيد وأغراضه فتحدد معرفتها في نطاق ديني غامض أو تُمَوّه

هذه المعرفة بتغطية ما، كأن يستهدف التجنيد تشكيل حرس مسلح لمشروع الليطاني في لبنان مثلاً، أو لشركات البترول في الأردن والعراق والسعودية.

لن تكون ثمة صعوبات في تطويع العناصر البدوية، وباستطاعة السلطات العسكرية في العراق والأردن تسهيل هذا التجنيد بأن تفرز له جنود البدو من قواتها المسلحة، أو أن تدعو إلى الخدمة عناصر بدوية قد سبق تدريبها.

يُعد في كل منطقة من مناطق التجنيد مركز قبول وتجمع وتصفية، يسير منه المقبولون إلى المعسكر العام الذي يظل مكانه مجهولاً من قبل المتطوعين، ومن جميع العناصر المُكلَّفة بأمور التطويع والدعاية والانتقال.

٧- في تعيين مقر القيادة والمعسكر العام:

تقوم القيادة العامة السياسية والعسكرية والمعسكر العام في منطقة واحدة، والمطلوب أن تتهياً في هذه المنطقة جميع التسهيلات والمساعدات، وأن تسمح بجريان العمل في جو من السرية المطلقة.

فإذا استعرضنا على أساس هذه المطالب مختلف الأقطار العربية المجاورة للأراضي السورية لم نجد ولا بلدًا واحدًا مستوفياً للشروط المطلوبة، فليبنان لا يصلح ميداناً للنشاط بالمرة لكونه حالياً مرتعاً للفوضى الشاملة ولكونه مسرحاً مفضلاً لنشاط المكتب الثاني بما له من أنصار وعملاء لبنانيين عديدين، ولعداء الطبقات الإسلامية والأرثوذكسية السافر لكل سياسة معادية للشيوعية، ولقرب المسافة بين البلدين وسهولة المواصلات والانتقال فيما بينهما.

وباستطاعة الأردن والعراق تقديم كافة التسهيلات والمساعدات إلا أنهما لن يتهيئا للعمل بما يحتاجه من السرية والكتمان، فالشعب في الأردن ميال بأغليته إلى الشيوعية واليسارية في دمشق، والنسبة العظمى من الشعب العراقي لا تنظر بعين الرضا والارتياح إلى أي تدخل في شؤون الشقيقة العزيرة. أما السعودية فلن تستطيع مساعدة ولا حفاظاً على سرية.

لا يجوز إذن أن يتخذ النشاط من أية دولة عربية مجاورة مقراً رئيسياً له، وعليه فلا مفر من الرضوخ للحقيقة والواقع والاختيار ما بين: تركيا، أو قبرص.

تتفوق قبرص على تركيا بعزلتها التامة وبوفرة المعسكرات والتسهيلات وقربها من سوريا وتركيا ولبنان فإذا وقع الاختيار على هذه الجزيرة فيجب أن يقوم النشاط ضمن المنطقة المأهولة بالعناصر التركية.

وكذلك تصلح تركيا كمركز رئيسي للقيادة والتدريب، فهي اليوم دولة صديقة، وهي مهددة بالخطر الشيوعي كحليفها العراق، والشيوعية مكروهة فيها من جميع طبقات الشعب، والسلطات الحاكمة صارمة فعالة، وهي فوق ذلك متاخمة لسوريا والعراق على مسافات طويلة يمكن التسرب من أراضيها إلى داخل سوريا بسهولة ومن عدة نقاط.

يجب أن يُرسل المجنّدون إلى معسكر عام واحد أو إلى عدة معسكرات قريبة من بعضها البعض وفي منطقة واحدة، وإذا اقتضت خطة الحركات العامة وقوع عصيان واضطرابات في المناطق السورية المتاخمة للبنان والأردن والعراق، فالأصح أن تحضر العناصر المخصصة لهذه العمليات ضمن المعسكر العام لتُنقل إلى ساحات نشاطها قبل موعد الشروع بأيام قليلة.

٨- فيما يتعلق بالحزب السوري القومي:

لهذا الحزب إمكانيات لكنه لا يحسن استخدامها ولا يسمح لغيره بهذا الاستخدام، وهو حزب لا يأتلف مع غيره من الأحزاب والهيئات السورية المعارضة، ولا يُقدِّم على مساهمة إلا لقاء شروط لا تُرضي أحداً سواه.

وقد اشتهر هذا الحزب بكثرة الرؤوس والمجالس واللجان، واختصَّ بكثرة الكلام والادِّعاء الفارغ واكتساب الأعداء، ولذا فليس باستطاعته أن يحفظ سرّاً ولا أن يُخلص في عهد أو اتفاق. هذه العيوب تجعل اجتنابه خيراً من مساهمته إلا إذا قِيلَ العمل وفقاً للشروط الآتية:

- أن يضع ضباطه ونقباءه وسلاحه تحت تصرُّف القيادة العامة دون شروط أو قيود، وأن يتخلَّى الضباط والرقباء عن حزبيتهم حال انتسابهم إلى قوات الحركة.
- أن لا يطلَّع على الخطط لا جملةً ولا تفصيلاً.
- أن لا يتقدَّم بمطالب سياسية ثمنًا لمساهمته.
- أن يُمثَّل بشخص واحد يُحوَّل بتلبية ما يُطلب من حزبه دون الرجوع إلى قرار من مجلس الأمناء أو مجلس العمدة.

- أن يمتنع طيلة مراحل الحركة عن كل نشاط سياسي ضمن الأراضي اللبنانية. وإذا رفض أن يساهم في الجهود المشتركة على أساس ما تقدَّم تفصيله، فالأنسب أن يُهمل أمره وأن لا يُعاود إلى البحث في موضوع استخدامه إلا بعد الشروع أو قبيل الشروع بأيام معدودات.

٩ - النفقات التقديرية الشهرية:

سبق فأشير إلى وجوب إقرار مبدأ السخاء في العطاء والإنفاق كوسيلة فعّالة للإغراء وكواسطة إلى خلق المعنوية والعصبية في أقصر مدة ممكنة.

يتساوى جميع الضباط والرقباء والأفراد ويتلقون مجاناً جميع حاجاتهم من الإيواء، والإكساء، والإطعام، والترفيه، والعناية الصحية، ويتقاضى رواتب معادلة لرواتب ضباط الجيش العراقي في الميدان. وعلى هذا الأساس تكون النفقات الشهرية بالدنانير كما يلي:

أ- للإطعام والترفيه والعناية الصحية:

للفرد: ١٥، ولمجموع القوة ١٥٠٠٠٠.

ب- الرواتب:

للضابط^(١): ١٢٠.

لمئة ضابط: ١٢٠٠٠.

للفرد^(٢): ٣٥.

لعشرة آلاف: ٣٥٠٠٠٠.

ج - المجموع الشهري العام^(٣):

(١) و (٢) معدل وسطي عام يصار إلى تعديله وفقاً للرتب.

(٣) قدّرت هذه الأعداد على أساس الشهر الواحد من حياة المعسكرات أنها لا تتضمن نفقات سفرية، ولا المصروفات التي تتطلبها مراحل التجنيد والمعيشة في مراكز القبول والتصفية.

- إطعام وترفيه وصحة: ١٥٠٠٠٠.

- رواتب الضباط: ١٢٠٠٠.

- الرواتب لما دون الضباط ٣٥٠٠٠٠.

المجموع ٥١٢٠٠٠ دينار.

١٠ - في التجهيز والتسليح:

يُجهَّز المجنَّدون بتجهيزات (الكومندوس) في اللباس والتسليح والمخابرة والنقل والمؤنة السفرية والمواد الطبية الفردية والإجماعية، وتزوّد القوة بعدد كبير من شباك الستر والتمويه، وبكمية وافرة من الأسلحة المضادة للطيران والمدرّعات.

وتحتوي المستودعات - علاوة على تجهيزات ومعدّات القوّة الأساسية - تجهيزات ومعدّات كافية لعشرين ألف مقاتل إضافي، وذلك ليكون بالإمكان استبدال المعطوب في المعارك، والقيام بالتجنيد المحلي مع تطور الحركات. أما العتاد فيقتضي أن يُحزّن منه في المستودعات ما يكفي لاستعمال ثلاثين ألف مقاتل طيلة شهر من القتال.

ويجب أن يُجهَّز المعسكر بصالات وآلات للعرض السينمائي، وأن تتوفر فيه الأفلام المهيّأة خصيصاً للتدريب على القتال في مختلف مراحل ونواحيه.

١١ - في معسكرات الاعتقال:

كل مجنّد يظهر بالتالي عدم لياقته للخدمة - إما لأسباب صحية أو خلقية،

أو لصيرورته موضع شك وريبة من حيث سلوكه وإخلاصه - يخرج من الخدمة ليوضع في معسكر اعتقال خاص لا يغادره إلا يوم يفرج عنه بعد انتهاء العمليات العسكرية بالفوز النهائي الأخير.

١٢ - في نقل المتطوعين:

يُنقل المتطوعون إلى مراكز التدريب من لبنان بحرًا أو جَوًّا، ومن الأردن والعراق بطريق الجو فقط.

١٣ - في الضباط:

تحتاج الحركة في مراحلها الإعدادية والتحضيرية إلى عدد من الضباط العراقيين الأكفاء، والعدد المطلوب يكون في حدود خمسين ضابطًا يُوزَّعون على القيادات والمدارس ومراكز التدريب. يُنتقى هؤلاء الضباط ويغادرون العراق وهم على اعتقاد بأنهم في طريقهم إلى الخارج للدراسة.

و حال خروجهم من العراق يسيرون إلى مقر القيادة ومعسكر التدريب - حيث يتلقون مهامهم - لن يُسمح لهم بمغادرة المعسكرات، وتخضع مراسلاتهم للرقابة، ولا يتراسلون مع أهلهم وذوئهم إلا وفقًا لترتيبات توضع خصيصًا لهذا الغرض.

أما الضباط السوريون فيجب أن لا يقبل للخدمة منهم سوى من يتطوع لها دونما شروط شخصية أو سياسية، ولن يتقدم إلى التطوع منهم في أول الأمر خاصة سوى العدد القليل من الضباط المُسرَّحين.

ويجب أن لا يعلّق على ذلك أهمية كبيرة، وكما وأنه ليس لأي ضابط سوري من قيمة خاصة خارجاً عن قدرته وسمعته.

١٤ - في المرأة:

تُجهّز معسكرات التدريب بعدد من المحلات العمومية ويُعهد بالتمريض في المستوصفات والمستشفيات إلى ممرضات، وتُنشأ لأغراض الدعاية والتمثيل والمحاضرات وحدات نسائية خاصة على درجة مصغّرة.

١٥ - في الأئمة:

تُنشأ للقوة إمامة دينية. ولا مانع من أن يتكون الأئمة من عدد مختلط من رجال الدين المسلمين والمسيحيين، وأن تُمثّل كل طائفة دينية بإمام خاص.

١٦ - ملاحظات ختامية:

نكرر القول بأنه إذا نُظّمت وأُعدّت هذه المحاولة على النمط الذي عمل به في تهيئة المحاولات السابقة وجيش الإنقاذ فلن تجني سوى الفشل المحقق.

انتهى.

هذه الخطة كتبها وقدمها العقيد محمد صفا للعراقيين في أواخر سنة ١٩٥٦ م، وعلى الفور أخذت حكومة نوري السعيد بتنفيذ الخطة التي تمكنت المخابرات السورية من الوقوف على كثير من أسرارها... فكيف تمّ هذا الاختراق؟!

من المؤكد أن سيارة نقل محملة بالأسلحة تعطلت وكُشف أمر حملتها المهربة إلى الدروز جنوب سورية، ويضيف بعضهم: إن مخابرات المقدم عبد الحميد السراج كان لها عين في السفارة العراقية في دمشق. وسارعت السلطات الأمنية إلى إلقاء القبض على المتهمين في هذه المؤامرة، ثم شكّلت محكمة عسكرية يرأسها العقيد عفيف البزري، وكان النائب العام فيها العقيد محمد الجراح.

فالمحكمة عسكرية مقيّدة وليست مدنية مستقلة، ورئيس المحكمة شيوعي يبحث عن أمجاد وراء رئاسته لهذه المحكمة، والحكومة يسارية علمانية يقودها البعثيون والشيوعيون، وكانوا يُصدرون الأحكام بالشبهة. قال الضابط محمد معروف الذي يعترف بأنه كان رأساً من رؤوس هذه المؤامرة:

(وأقول هنا كلمة حق للتاريخ والوطن: إنه لم يكن للمدنيين جميعاً - إذا استثنينا الأمير حسن الأطرش، والنائب هایل سرور «رئيس عشيرة المساعيد»، وسامي كباره - أي علاقة فعلية بالحركة. لقد حوكموا وصدرت في حقهم أحكام متفاوتة، وكان ذلك على أساس النوايا والميول فقط، وليس على أساس الفعل. وعلى هذا الأساس نفسه كان يجب أن يُحاكم قسم كبير من الشعب السوري؛ لأنه كان يرى أن الحكم في سورية مطيّة للمخابرات ولقناة متسلطة من ضباط الجيش)^(١).

(١) «أيام عشتها. ١٩٤٩-١٩٦٩ م. الانقلابات العسكرية وأسرارها في سورية»، محمد معروف، دار الرئيس، ص ٢٥٦-٢٥٧.

لقد كان من بين المُتهمين ومن بين الذين صدرت ضدهم أحكام متفاوتة: دروز، وعلويون، وعشائريون، ووزراء ونواب من أحزاب شتّى، ومن هذه الأحزاب: الحزب الوطني المشارك في الحكم [ميخائيل ليان]، وأحد مؤسسي حزب البعث [جلال السيد]، وإن كان لم يُقدّم للمحاكمة ابتداءً، إلا أنه لا نجد بين هؤلاء جميعاً أحداً من الإخوان المسلمين أو من العلماء، فلماذا حشر العقيد محمد صفا اسم الإخوان المسلمين مع الأسماء التي يرى أنها ستنهض بالثورة؟ ولا بدّ أنه كان هناك ترتيب بينه وبينها ترعاه عراق نوري السعيد.

إن خصوم كل شيء إسلامي تلقّفوا ما جاء في خطة محمد صفا وربطوا بينها وبين حركة (سوريا الحرّة)، ثم زعموا أن الإخوان المسلمين شركاء للدروز والعلويين والقوميين السوريين وغيرهم من المتآمرين، ولا بدّ لنا في هذا الموضوع أن نوضّح ما لبّسوه على الناس.

إن حركة سورية الحرّة أسستها المعارضة المناوئة لنظام الحاكم العسكري المستبدّ أديب الشيشكلي سنة ١٩٥٣م، وكان الدكتور معروف الدواليبي رئيساً لمكتبها السياسي، والعقيد محمد صفا رئيساً للجنة العسكرية، وكان من أعضاء حركة سورية الحرّة عمر بهاء الدين الأميري، وكان لهذه الحركة صلات تعاون وتنسيق مع النظام العراقي، إلا أن هذه الحركة انتهى أمرها بعد مضي بضعة أشهر على تأسيسها حيث قام انقلاب عسكري بقيادة النقيب مصطفى حمدون والعقيد فيصل الأتاسي في [بداية ١٩٥٤م] أطاح بحكم الشيشكلي دون أن يكون لسورية الحرّة أي دور في هذا الانقلاب.



من أيامي في الإخوان



تمهيد

كنا مثل سجناء مكثوا في محبسهم ثلاث سنين ونيف^(١) دون ذنب ارتكبهوه، ولم يكن سجننا مثل سجون الباطنيين وأمثالهم قسوة وقهراً وتعذيباً، ولكنه سجن! ثم رأينا باب السجن يُفتح على مصراعيه أماننا، وحرّاس السجن - الذين كانوا بالأمس وحوشاً - يقولون لنا بمنتهى الرقة والأدب: انطلقوا حيث تشاؤون أنتم اليوم أحرار!! سبحان الله! كيف لا يتعظ الطغاة من مصير بعضهم البعض؟! وكيف يرضى الجلاد بمهنته الوضيعة، ولو كان صاحب ضمير حيٍّ لوجد مهنة كريمة؟! انطلقنا من محبسنا نمشي أحياناً، ونجري أحياناً أخرى... نستنشق هواءً نقياً حُرِّمنا منه بعض سنِّي عمرنا... نكره الأبواب المغلقة... تضيق صدورنا من كل من يلبس لباساً عسكرياً سواءً كان جندياً أو شرطياً أو حارساً، لا نثق به وإن تودّد إلينا، وترفّق بنا.

انطلقنا نتظاهر ونهتف حتى تبح حناجرنا... كنا نشعر بمتعةٍ عندما نأمر بإغلاق الأسواق فتُغلق، ورجال الأمن يجرسوننا ولا يتعرّضون لنا بسوء. وفي نهاية المظاهرة كنا نجتمع أمام دار المحافظة، ثم يلقي أحد أبرز الطلبة كلمةً يلخّص فيها مطالب المتظاهرين، ويردُّ عليه المحافظ بكلمة شديدة الإيجاز: عودوا إلى مدارسكم وسنرفع

(١) يعني الشيخ هنا سنوات حكم الشيشكلي (العسكري) وما شهدته من قمع وتكميم للأفواه إلى أن تمت الإطاحة به.

طلباتكم للجهات المسؤولة. ونعود إلى سكنا المتواضع ونحن نشعر بأننا أنجزنا شيئاً مهماً، وربما بالغ بعضنا وزعم أن هذه المظاهرات هي التي أسقطت الديكتاتور وستسقط كل ديكتاتور.

أعجبنا هذه المظاهرات، فقد كانت وسيلةً يلجأ إليها بعضنا عندما يملُّ من دراسته، ووسيلةً عند بعض قادة الأحزاب عندما يريدون إجبار الحكومة على شيء لا تريده الأكثرية، فيحرِّكون أنصارهم من الطلبة والعَمال، وهكذا تتعدَّد الأسباب والطلبة يستجيبون ولا يعلمون أن هذه الأفعال ليست في مصلحتهم. وفي كل مظاهرة لابدَّ من قواسم مشتركة بين المتنفِّذين من الطلبة، وإذا حاول البعض أن يتجاهلها يقع الخلاف بين المتظاهرين، وقد يتحوَّل إلى عراك وسلاحهم هو الأيدي والحجارة، والفضاء واسع في محطة ذرعا، وفي هذه الحالة تتدخَّل الشرطة لفضِّ النزاع، وكان بعضهم بارعاً في استخدام الحجارة.

وكانت الأحزاب أهم من هذه المظاهرات وشغبتها، وهي سمة من سمات العهد الجديد- القديم [أعني الذي سبق انقلاب الشيشكلي]، وكان الطلاب أهم رواد مراكز الأحزاب، ومما أذكره: مركز الإخوان المسلمين قرب المستشفى الوطني، ومركز حزب البعث غرب المحطة- بيت محمد جابر بجبوج- وكان للحزب الشيوعي نشاط وليس لهم مركز، وكذلك القوميون السوريون.

ومما أذكره أيضاً: أنه لم يكن للإخوان نشاط فعَّال أيام الشيشكلي، كانت زيارات الأستاذ محمد علي الخصواني لنا في غرفتنا، وعلاقتنا بشيخنا وأستاذنا الذي كان يدرِّسنا مادة التربية الإسلامية- الشيخ عبد العزيز أبا زيد- هي كل صلتي بالإخوان، كنا- مجموعة من الطلبة- نتحدَّث عن زيارتين أو ثلاثة لدعاة من خارج حوران، ولم أعد أسمع بأسماء هؤلاء من بعد في عالم الإخوان، وفي الجملة كانت ذكرياتي عن مرحلة الشيشكلي باهتة.

أصبحتُ من رواد مركز الإخوان، وتوثقت صلاتي مع زملائي ومع الموجهين، ومن أنشطتنا في هذه المرحلة:

حديث الثلاثاء، وكان من أبرز المتحدثين فيه الشيخ عبد العزيز أبا زيد، ثم الأستاذ محمد بن لطفي الصبّاغ، وأحياناً كان يأتينا ضيوف من دمشق والأردن. الأسرة: وكان عددنا في جلسة الأسرة لا يتجاوز الستة في سن متقاربة. جلسة مفتوحة: بين ملتزم ومؤيد من ١٠ إلى ١٥ شخصاً.

رحلات للقري: إذا كانت القرية بعيدة نستأجر سيارة، وإذا كانت قريبة نذهب سيراً على الأقدام، وكان خطيب الجمعة في أغلب رحلاتنا الأستاذ محمد الصبّاغ، وكان يُحُصّنا - المرافقين - بحديث يناسب مستوانا.

وإذا كان لكل مرحلة قضايا مهمة تلفت النظر وتشدّ انتباه الناس إليها دون سواها، فلقد شغلتنا بين عامي ١٩٥٣-١٩٥٥ م قضيتان:

الأولى - فدائيان^(١) إسلام: وسوف أحدثكم عنها كما فهمتها في تلك المرحلة وفي مثل سني: زار دمشق زعيم (فدائيان إسلام) من إيران، واحتفل به قومنا واصطحبه الشيخ علي الطنطاوي في زيارة لرئيس الجمهورية أديب الشيشكلي، وفوجئ به الطنطاوي وهو يقول للشيشكلي: الناس في هذا البلد يكرهون حكمك، فيجب أن تغير سياستك معهم وتُحكّم الإسلام في هذا البلد المسلم، فقابل الشيشكلي ما سمعه منه بابتسامة، وسارع الشيخ علي إلى إنهاء اللقاء قبل أن يقول ما هو أشدُّ.

(١) هكذا تُكتب بالفارسي.

قلنا يا أستاذ من هذا الرجل؟! فأجاب:

هذا عظيم من عظماء الإسلام لا يسكت على منكر... كنا نسير في سوق من أسواق دمشق، وسمع صوت أغنية من مطعم فأسرع إلى صاحب المطعم وأمره أن يُغلق المذياع، فاستجاب له صاحب المطعم! وأضاف أستاذ آخر من موجهينا: مُحْتَبَى نواب صفوي زعيم (فدائيان إسلام) في إيران، أسس جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وإنكار المنكر يصل إلى حدّ القتل، ولهذا عندما يودّع أحد أفراد الجماعة يقول له: اللقاء في الجنة! لأنه قد لا يراه مرةً أخرى. وأضاف: هذا الرجل في مؤتمر القدس عمل كذا، وقال كذا، وفعل كذا، واحتفل به الإخوان في مصر احتفالاً منقطع النظير، وشارك في مظاهرة حاشدة، وهاجم جمال عبد الناصر وندّد بظلمه وطغيانه.

أعجبني شخصية مُحْتَبَى نواب صفوي، كما أعجبني نهج جماعته (فدائيان إسلام)، وطربّت في مثل هذا السنّ إلى إنكارهم للمنكر، ووداعهم لبعضهم البعض: اللقاء في الجنة! وتساءلت لماذا لا نجد في بلدنا مثل هذا الرجل ومثل جماعتهم؟! وكنا نتابع أخباره ونعتبره من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، حتى جاءنا خبر إعدامه فحزننا عليه حزناً شديداً، ورثاه الإخوان في مركزنا، وكذلك فعلوا في سائر مراكز سورية، وللقارئ أن يتصور مبلغ اهتمامي بمُحْتَبَى نواب صفوي عندما يرى في صدر غرفة نومي في القرية صورتين كبيرتين: الأولى لمُحْتَبَى نواب صفوي، والثانية لقائد إخوان سورية الشيخ مصطفى السباعي.

قلت: هذا هو الركام الذي أدخله الإخوان في عقلي وجوارحي في مرحلة من أخطر مراحل العمر، وهذا ما يتربّي عليه شباب الإخوان، في القديم والحديث. قال شاعر الإخوان محمد محمود الحسناوي في رثاء الشيخ مصطفى السباعي:

قُتِلَ الإمام ولاذنواب به وكبا أبو الأعلى بباكستان
واليوم هذا اليوم لا أهلاً به مادام يحوي طاهر الجثمان^(١)
فالإمام هو: حسن البناء، ونواب: هو مجتبي نواب صفوي، وأبو الأعلى:
المودودي، ومصطفى السباعي... هؤلاء في مكانة واحدة في نظر الإخوان.

وقال يوسف العظم، وهو من شعراء الإخوان:

بالخميني زعيمًا وإمام هذَّ صرح الظلم لا يخشى الحمام
قد منحناه وشاحًا ووسام من دمانا ومضينا للأمام
ندمّر الشرك ونجتاح الظلام ليعود الكون نورًا وسلام

فهل كان الخميني ينتظر وشاحًا ووسامًا من يوسف العظم وإخوانه؟!
وفي بيان للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين يردُّون فيه على كل من يُشكِّك
بالثورة الإسلامية في إيران جاء فيه:

(... إما مسلم لم يستطع أن يستوعبَ عصر الطوفان الإسلامي، وما
زال في زمن الاستسلام فعليه أن يستغفر الله ويحاول أن يستعمل فهمه بمعاني
الجهاد والعزة في الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٧٥]. وإما عميل يتوسَّط لمصلحة
أعداء الإسلام على حساب الإسلام متشدِّقًا بالأخوة والحرص عليها، كما
في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُواْ أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

(١) ذكرت أبيات الحسنائي من حفظي، فأعذر للشعراء إن وجدوا فيها ذكرت خطأ.

وسألت مجلة «الدعوة» القاهرية التي يصدرها الإخوان المسلمون الأستاذ أبا الأعلى المودودي عن رأيه في ثورة الخميني فأجاب:

(ثورة الخميني ثورة إسلامية، والقائمون عليها هم جماعة إسلامية، وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جميع المجالات)^(١).

وعندما منَّ الله عليَّ بالمعرفة، وتحرَّرت من التعصب الحزبي عدت أنظر في المنهج الذي تربيتُ عليه في أوائل شبابي فصَحَّحت المسار وأدركت أن الحال غير الحال، فمجتبى نواب صفوي الذي ولد سنة ١٩٢٤م في آخان آبار، كان والده شيخاً من شيوخ الشيعة ونشأ ابنه متعصباً حسب طريقة أبيه، وبعد دراسته في بلده درس في (قم)، ثم عمل موظفاً في شركة (عبدان للبترول)، ولكن عمله لم يمنعه من متابعة دراسته في الحوزات العلمية، ثم انتقل إلى النجف ودرس على كبار علماء الشيعة، وعندما انتشرت كتابات وآراء أحمد كسروي، واستنكرها مراجع الشيعة في النجف، قرَّر مجتبى التخلص منه، فعاد إلى إيران وحقق ما جاء من أجله.

الضحية: هو أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي، وُلد في (تبريز) عاصمة (أذربيجان)، وتلقَّى تعليمه في إيران، وعمل أستاذاً في جامعة طهران، كما تولَّى عدة مناصب، قضائية برئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية، وكان أخيراً المدَّعي العام في طهران، وكان محرِّراً في جريدة «برجم» الإيرانية، وكان يعرف اللغة العربية وعدداً من اللغات الأخرى، وله كتب كثيرة ومقالات في الصحف الإيرانية.

(١)(١) هذه الشواهد التي ذكرتها في هذا الموضوع، فصلت القول فيها في كتابي «وجاء دور المجوس»، وبيَّنت خطأ هؤلاء، مما أغنى عن الإطالة هنا.

وصلت آراؤه بعض الأقطار العربية، وطلب منه بعض الكويتيين تأليف كتب بالعربية، فألف كتابه الشهير «التشيع والشيعة» الذي أوضح فيه بطلان أصول المذهب الشيعي، وأن خلاف الشيعة مع المسلمين إنما سنده التعصب واللجاج لا الحجة والبرهان. وما أن أتم كتابه هذا حتى ضرب بالرصاص من قبل مجموعة من الروافض، أدخل على إثرها المستشفى وأجريت له عملية جراحية وتم شفاؤه.

أخذ خصومه من الروافض يتهمونه بمخالفة الإسلام ورفعوا شكوى ضده إلى وزارة العدل، ودُعي إلى التحقيق معه، وفي آخر جلسة ضرب بالرصاص مرة أخرى وبخنجر، ومات على إثر ذلك، وكان في جسمه ٢٩ جرحاً^(١).

قلت:

أي عالم من علماء الشيعة يخرج على أصول مذهبهم ثم يقترب من أهل السنة ويعتمد فيما يكتبه ويفتي به على الكتاب والسنة يتهمونه بالكفر والإلحاد والزندقة، ويناصبونه العداوة والبغضاء، ويُحذِّرون الناس منه، ويمارسون معه أشد أنواع الإرهاب الفكري. بعض مراجع الشيعة عرضت قضية أحمد كسروي على محكمة من محاكم إيران، وما كان لها أن تفعل أشد من هذا الإجراء في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، ثم راح الناس ينتظرون قرار المحكمة، لكن عصابة (فدائيان إسلام) قتلت كسروي داخل قاعة المحكمة وأمام أعين القضاة ورجال الأمن. هذه واحدة.

أما الثانية: فإذا كانت سياسة النظام الخاص^(٢) عند إخوان مصر تتناغم

(١) انظر كتاب «دعوة التقريب»، للدكتور ناصر القفاري ٢/ ٢١٨-٢١٩ بتصرف، ومقالاً كتبه

سليمان بن صالح الخراشي، تحت عنوان: هل انخدع الإخوان بالشيعة نواب صفوي؟!

(٢) النظام الخاص، أو السري، وهو تنظيم مغلق داخل تنظيم جماعة الإخوان المسلمين.

بعض الشيء مع (فدائيان إسلام)، فليس في سورية نظام خاص، وليس من حق أحد أن يقتل آخر تحت شعار إنكار المنكر، وهذا^(١) من أشد ما ابتليت به الحركات الإسلامية قديماً وحديثاً، والتاريخ يحدثنا أن هذا النوع من الجرائم برع بها الباطنيون، والحشاشون الإسماعيليون بشكل خاص.

فهل يستحق زعيم هذه العصابة الإرهابية أن يلقي هذا الاستقبال من الإخوان والدعاة وفي مقدمتهم: مصطفى السباعي، علي الطنطاوي، مصطفى الزرقا، وغيرهم من علماء دمشق؟!

وهل يستحق أن يكتب عنه الإخوان - بعد إعدامه - عشرات المقالات ويقولوا فيها: إنه كان من دعاة الوحدة الإسلامية، يكره التعصب الطائفي، وينادي بقتال الصهاينة وتحرير فلسطين!

هذه شهادة زور، ولو استطاع لبطش بالذين استقبلوه وأكرموا وفادته؛ لأنهم حسب عقيدته نواصب كفار!

والكلام المعسول الذي قاله مجتبي لعلماء الشام ومصر، قاله محسن الأمين لرشيد رضا، وقاله عبد الحسين شرف الدين لمصطفى السباعي، وقاله الخميني وطلابه لأهل السنة، وقاله قادة حزب الله للعرب، وتبين أن الجميع من زعماء أهل الرفض يكذبون، ويقولون ما لا يفعلون.

(١) أي: القتل بحجة إنكار المنكر.



عمر بهاء الأميري

الإخوان وعمر بهاء الأميري:

زعم رجل^(١) المخابرات السورية أن الرئيس أديب الشيشكلي استدعاه وقال له: (إن الشيخ معروف الدواليبي، وبالاشتراك مع العقيد محمد صفا وعمر بهاء الأميري، قد شكّلوا حكومة حرة في العراق، ويعملون الآن على التفاهم مع بعض ضباط المنطقة الشرقية المتاخمة للحدود مع العراق على نقل هذه الحكومة إلى دير الزور). وكلّفه بتتبع هذه المؤامرة وإبطال سعي المتآمرين، ثم أعطاه ملفاً فيه أشياء كثيرة عن هذا الموضوع.

وقال سامي جمعة في موضع آخر: (وتشارك الشيخ معروف الدواليبي وحسني البرازي في الإشراف على الصندوق الذي أودع به مبلغ نصف مليون دينار عراقي... وتمكّن القيّمان على الصندوق من توزيع قسم من الأموال لتجديد بعض الهيئات والأحزاب لمساندة المشروع العراقي، وكان على رأس المستفيدين: حزب الشعب، الإخوان المسلمون، كتلة العشائر).

تعقيب: إن قصة النصف مليون دينار عراقي صحيحة، وقد اعترف بها معروف الدواليبي، وبين كيف وُزعت على معظم أطراف المعارضة، ولم يكن للإخوان المسلمين أي علاقة بهذه المعارضة، ولم يكن عمر بهاء الأميري ممثلاً لهم أو ناطقاً باسمهم.

إن خصوم كل شيء إسلامي يكذبون ويراوغون ويتناقضون، ولا ينجلون

(١) هو سامي جمعة، وجاء ذلك في كتابه «أوراق من دفتر وطن ١٩٤٦ - ١٩٦١»، وإذا كان الأصل الذي أشار إليه صحيحاً، فتفسيره للأحداث من قبيل الإسرائيليات الذي لا يُصدّق ولا يُكذّب، بل هو كذب واضح في بعض الأحيان.

أو يتراجعون عندما يُواجهون بالحقائق الدامغة. إن تنظيم الإخوان كان قد انكفأ على نفسه بعد أن ريشّت له السهام من كل جانب، فالشيشكلي سجن المراقب العام الشيخ مصطفى السباعي، وكان أول حزب تُغلق مراكزه، ومن جهة ثانية فإن الرئيس المصري جمال عبد الناصر نجح في اختراق الإخوان عندما أرسل إليهم نجيب جويفل، وهو من شخصيات الإخوان التي جندّها عبد الناصر، وتمكّن نجيب جويفل - مستغلاً بعض السلبات - من شقّ الإخوان، وعندما عاد الشيخ مصطفى السباعي من لبنان وجد أن ترخيص فتح مراكز الإخوان المسلمين قد منحته حكومة صبري العسلي للمنشقين، هذا ولنجيب جويفل والانشقاق المير قصة سنأتي على ذكرها في موضع آخر إن شاء الله.

أجل، لا يستطيع هذا المفتري - سامي جمعة - أن يثبت بأن الإخوان المسلمين أخذوا قرشاً واحداً من الأموال العراقية، فالحقائق الصارخة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن المراقب العام للإخوان المسلمين الشيخ مصطفى السباعي - الذي حُرّم من راتبه - كان يعيش بالدين، وكان الدائن أحد الموسرين من أبناء عمومته، ورفض عرضاً تلقّاه من تاجر كويتي كان من نشطاء الإخوان المسلمين.

لندع رجل المخابرات سامي جمعة، ونأخذ مثلاً آخر على تناقضات وأكاذيب الذين يحاربون كل شيء إسلامي. يقول أكرم الحوراني في «مذكراته»:

(كان الدكتور الدواليبي بحكم علاقته الوثيقة بسياسة الإخوان المسلمين في مصر وسورية من الجناح المناهض في حزب الشعب للمشاريع الاتحادية مع نظام نوري السعيد، وقد يُفاجأ القارئ كيف أن الدواليبي أصبح في عهد الشيشكلي على اتصال بالحكم الرجعي في العراق؟).

ويضيف:

(الواقع أنه منذ أن استفحل الخلاف بين الإخوان المسلمين ورجال الانقلاب في مصر، فكّر الإخوان أن يستمدّوا الدعم والعون من العراق، وإنني لا زلت أذكر الاجتماع الذي ضمّنا نحن الثلاثة: ميشيل وصلاح وأنا، في مطعم الغلاييني مع الشيخ مصطفى السباعي إثر لجوئه إلى لبنان بعد أن ضيّقت عليه مخبرات الشيشكلي في سورية، وقد تحدّثنا في تلك الجلسة عن ضرورة قيام جبهة وطنية، فتساءل السباعي:

ترى أمن الممكن للعراق أن يدعمنا في معركتنا ضد الديكتاتورية؟ ولما لم يرَ حماسة من قبلنا ترك الموضوع مفتوحاً لبحثه في المستقبل)^(١).

مناقشة أقوال الحوراني:

أكرم الحوراني محام، وقد زاول هذه المهنة حيناً من الزمن، ومن المفترض إذا أراد أن يُصدر حكماً أن تكون لديه بينة، فلننظر فيما يلي إلى أقواله، وهل لديه دليل:

١- يعترف أن الإخوان المسلمين ضد المشاريع الاتحادية مع نظام نوري السعيد، وقد تأثر بهم الدكتور معروف الدواليبي، فكان هو ومجموعة من نواب حزب الشعب ضد المشاريع الاتحادية المشبوهة مع عراق نوري السعيد. وقوله هذا صحيح، وليس ضرورياً أن يكونوا قد تأثروا بنوري السعيد أو هو تأثر بهم.

٢- معروف الدواليبي في تعاونه مع العراق كان يمثل معظم أطراف المعارضة السورية حينذاك، بما فيها حزب البعث، فلولا رفض نوري السعيد قبول الحوراني لاجئاً في العراق لانتقلوا من بيروت إلى بغداد بدلاً من إيطاليا [وهذه هي رواية

(١) «مذكرات أكرم الحوراني»، ص ١٦٤.

الضابط محمد معروف]، وإذا كان هناك من لوم فيجب أن تُلام المعارضة، وقد نأى الإخوان بأنفسهم عن العراق، ولم يكن لهم أي ممثل في بغداد.

٣- يتنكر الحوراني للعدل والبيّنة، ويحاكم الإخوان على شيء فكّروا به: [...] فكّر الإخوان أن يستمدّوا الدّعم من العراق]، انظر مرةً أخرى إلى قوله: فكّروا!! ولم يقل: تورّطوا، أو نفّذوا... كيف فكّروا؟!

يذكر لقاء لهم [ميشيل وأكرم وصالح] في مطعم الغلاييني ببيروت مع الشيخ السباعي، وكانوا يتحدثون عن ضرورة قيام جبهة وطنية، فتساءل السباعي: ترى أمن الممكن للعراق أن يدعمنا ضد الدكتاتورية؟!

ثم ماذا؟! لا شيء غير ذلك عند الحوراني! قد يكون السباعي يريد أن يعرف موقفهم، ولا يعني ذلك أنه قرّر التعاون مع العراق. فنحن اليوم كمعارضة سورية ضد نظام الأسد نتساءل عندما نلتقي عن موقف كل من السعودية أو قطر، وتركيا، وأمريكا، وأوروبا، وروسيا دون أن نجد حرجاً في ذلك، ونبحث عن قبس من خبر سارٍ فتداوله، وهذه هي مواضيع الساعة الملحّة اليوم والأمس وكل يوم.

وكان أكرم الحوراني إذا أراد الهمز واللمز بالإخوان المسلمين يستدلّ بما يسميه: (ونشرت جريدتهم المنار)، ونحن هنا نكتفي بذكر مثال واحد من بين عشرات الأمثلة:

لقد كان يتحدّث عن تأمر الأمريكان على كلّ من مصر وسورية، ويندّد بالأردن التي جعلت من نفسها مطيّةً للأمريكان، ومن غير مقدّمات يربط هذه المسألة بالإخوان: (أما في دمشق فقد دافعت جريدة الإخوان المسلمين [المنار] عمّا حدث بالأردن، واتّهمت الحكومة السورية بأنها تسلك سياسةً هوجاء، وإنها هي وحدها

التي خرجت عمّا تمّ عليه الاتفاق في القاهرة، بينما لا تزال مصر متربّصة، وقالت: إن ما قام به الحسين جاء منسجماً مع ما اتخذهُ الأقطاب العرب من مقرّرات، ثمّ أنهت مقالها بهذا التحريض متوجهةً به إلى الرئيس شكري القوتلي: لا تقل شيئاً بل افعل. [«المنار»: ١٩ / ٥ / ١٩٥٧ م] ^(١).

قلت: جريدة «المنار» لصاحبها: بشير العوف، وتعبّر عن مواقفه وحده، وليس عن مواقف حزب أو جماعة، أما الإخوان المسلمون فكان اسم جريدتهم «الشهاب»، وبعد غياب «الشهاب» صدرت جريدة لهم اسمها «اللواء»، فلماذا يلزم الإخوان بما لا يلزم؟!

إذا لم تستحي فاصنع ما شئت؛ عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت). رواه البخاري ^(٢). وفي حديث رواه أحمد والترمذي، قال رسول الله ﷺ: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة) ^(٣).

أكرم الحوراني - وكما ذكرنا من قبل - عدوّ لكل شيء إسلامي، ورجل هذا شأنه من أين له الحياء أو الخوف من الله؟! فهو لا يبالي في توزيع الاتهامات على قادة البلاد من مختلف الاتجاهات الذين أثنى عليهم من قبل، وقاموس ألفاظه ليس فيه إلا التجريح الذي لا يسلم منه حتى قادة حزبه - البعث العربي الاشتراكي - مثل: ميشيل عفلق، وصلاح بيطار، وجلال السيد، أو حزبه القديم الجديد - الحزب

(١) مذكرات الحوراني، ص ٢٣٠٩.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٨٣) و(٦١٢٠).

(٣) «مسند أحمد» ٥٠١ / ٢، و«الجامع الكبير» للترمذي (٢٠٠٩)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال الترمذي: حسن صحيح.

العربي الاشتراكي - مثل: عبد الغني قنوت، وعبد الكريم زهور، وغيرهما، وفيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: سمعت بعض ما أذيع من محادثات الوحدة، وكان الرئيس المصري جمال عبد الناصر يقول لميشيل عفلق: (يا أخ ميشيل: أنا لما أديت لك أموالاً كنت أعتبرك صديقاً لا عميلاً)، فردَّ عفلق: (هذه الأموال كنا نقدّمها لحزب البعث في العراق).

المثال الثاني: يقول أكرم الحوراني في مذكراته ما خلاصته: دُعيت إلى لقاء سري لقادة حزب البعث، وكان المتحدث ميشيل عفلق، فقال: إن السفير محمود رياض عرض عليه مساعدة مالية للحزب، والوضع المالي لجريدة البعث سيئ، وأن الضرورة تقضي بتفريغ بعض القادة للعمل الحزبي... اعترض الحوراني - كما يقول، وما كان له إلا أن يقول ذلك - على قبول المساعدة المالية، وأمام إصرار ميشيل وصلاح البيطار، ومدحت البيطار، وافق ضمن شروط، ولم تُنفذ هذه الشروط^(١).

قلت:

أليست هذه الأموال قد أخذها حزب البعث الذي يُعدُّ الحوراني ركنًا من أركانه؟! وما هو الفرق بين من يأخذ من عراق نوري السعيد، ومن يأخذ من مصر جمال عبد الناصر؟! ولماذا يعتبر حزب البعث وفي طليعته طويل اللسان - أكرم الحوراني - الذين يأخذون من العراق خونة رجعيين والذين يأخذون من مصر تقدّميين، وحدويين، اشتراكيين! أليست تلك قسمة ضيزى؟! وما أقوى وأعظم دلالة حديث رسول الله ﷺ: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»^(٢)!

(١) «مذكرات أكرم الحوراني»، ص ٢٤٨٥، بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه غير بعيد.

المثال الثالث: يقول محمد معروف عن انتخابات ١٩٤٩ م:

(طلب مني اللواء سامي الحناوي الحضور إلى مكتبه، وكان في المكتب: عصام مريود وخالد جادا، خاطبني الحناوي قائلاً: إن الانتخابات في حماة مغلقة لقائمة عبد الرحمن العظم، وحسني البرازي، ويجب مؤازرة أكرم الحوراني. طلب خالد جادا وعصام مريود مؤازرة أكرم الحوراني، وقالوا: أن لا أمل له في النجاح إلا إذا شعر الناصبون أن الحكومة تقف إلى جانبه، وإنه لا يجوز في هذا الوقت بالذات أن يكون أكرم الحوراني خارج المجلس النيابي. كنا جميعاً موافقين، فتقرر إرسال قوة عسكرية إلى حماة وتعيين المقدم سليمان ناجي أمراً للمنطقة، وعُيِّن الملازم محمد كامل الصالح - وهو قريب لي - في الشرطة العسكرية هناك).

كانت مدينة حماة مغلقة للعظم، وعمل العسكريون العلويون على استمالة الريف العلوي، وبصعوبة بالغة نجح الحوراني.

وفي اليوم الثاني لانتخابات حماة وفوز أكرم الحوراني ظهرت افتتاحية نجيب الرئيس في جريدة «القبس» وكان مما جاء فيها: (... فوزير الزراعة في حماة أكرم الحوراني تُزجى له المواكب والكتائب المسلحة في المدينة والريف، وتطوف المصفحات غادية رائحة تتهادى وتزجر وترابط في الساحات العامة والشوارع، ويُفتش رجال الجيش الداخلين والخارجين من المدينة وإليها، ويتحرّون حتى المرشحين من أعضاء القائمة الثانية، والوزير في ظل هذه المواكب المسلحة يطوف بسيارته الرسمية بعض القرى والأحياء واعداء باسم الحكومة والجيش أنصاره بالمن والسلوى، ومتوعداً خصومه بيوم عبوس قمطير)^(١).

(١) انظر كتاب: «أيام عشتها: ١٩٤٩-١٩٦٩. الانقلابات العسكرية وأسرارها في سورية»، لمؤلفه محمد معروف، ص ١٥٧-١٥٩.

عودة إلى عمر بهاء الأميري والإخوان:

الأميري عمر: أديب، شاعر مرهف، محام شديد التأثير بآلام المظلومين، إسلامي النزعة، مفكر حر، له فلسفته الخاصة في هذه الحياة، ومثله كمثّل النسر يخلّق ويخلّق في الأجواء، ولا يدع طائراً يجاريه في العلوّ أو في سرعة الطيران، فهو اليوم في أجواء حلب، وبعد حين في أجواء باكستان، ثم يأتيك بالأنباء من يقول لك: رأيته في السعودية، أو في باريس، أو في المغرب. وأنت تظن أنه لم يغادر باكستان، وليس أمامه سعة من الوقت. يقول أبو القاسم الشابي:

سأعيش رغم الداء والأعداء	كالنسر فوق القمة الشّمَاءِ
أرسل إلى الشمس المضيئة هازئاً	بالسُّحْبِ والأمطار والأنواءِ
أصغي لموسيقى الحياة ووحيتها	وأذيب روح الكون في إنشائي

والذي أراه أن هذه الأبيات وكأنها قيلت في شخصية عمر بهاء الأميري، فلا تطلب منه ما يخالف طبيعته، أريت أحداً يريد لنسر أن ينزل من فوق قمته الشّمَاءِ ليعيش في عالم مغلق اسمه الحزب أو الجماعة، ثم يُنفَّذ مراسيم وتعليمات القيادة؟! إذا أردت أن تُطاع فاطلب ما يُستطاع.

ويعبر شاعرنا الأميري عن هذه المعاني بالأبيات التالية:

جوارح نفسي في ثورة	تشب بقصد عسير المنالِ
بها شغف لاحتواء السنا	بها ظمأ لارتشاف الجمالِ
لها مطمع بارتداد العلى	وتحقيق آمال مجد غوالِ
تضيّق بشبه الرجال ولا	تكاد ترى غير شبه الرجالِ

فوالهف نفسي سيودي بها طلاب الكمال وفقد الكمال^(١)
فهو لا يرضى عن نفسه ولا عن صحبه. تحدّث ذات مرة عن دار الأرقم
وانجازاتها، فقال:

(أنا لا أكتممكم أن دار الأرقم غير راضية عن نفسها ولا عنكم، يا سادتي: هي
غير راضية عن نفسها، لا لأن التواضع يخلع جلبابًا على نادية الصغير... بل إن عدم
رضاها عن نفسها هو أنها تنظر إلى ذلك الأفق المترامي، المشرق بالآمال، الحافل
بالعزّ والسؤدد، وتقدرُ بعد ما بينها وبينه من شقّة، وما يعترض سبيلها إليه من عواثر
الزمن ومرض الأُمَّة الزمين، ثم تلتفت إلى خلفها فتجد أن آثار تلك الخطى الوئيدة
التي خطتها حتى الآن، إذا قيست بعظم هدفها الصعب المنال تتراءى أقل مما يجب
أن تكون قوة ومضاء، لهذا تتبرّم بنفسها... وأما عدم رضاها عن الناس فلمّا تركوها
وحيدة غرقى في بحر هذه الحياة، لا تكاد تجد مددًا ولا نصيرًا، وهي بعد فتية ناشئة
تحتاج إلى المال والرجال، تدعو إليها أولي الأبواب فيجعلون أصابعهم في آذانهم...
فتنقلب كاسفة البال، داعية في ضراعة وابتهاال: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون^(٢).
سئل ذات مرة: هل أنت من الإخوان المسلمين؟! فأجاب: (لا، هذا شرف
كبير لا أستحقه)، وقال ذات مرّة لقادة الإخوان: (الأفضل لكم ألا أكون بقربكم،
والأفضل لي أن أخدم هذه الحركة وهذا الفكر من الخارج). وكما يقول ابنه منقذ:
(إن طريقته في التعاطي وفي الحركة وفي فهم الأشياء سيجعله في اصطدام معهم -
الإخوان - على ما يبدو).

(١) الأميري: ديوان «خاسيات» عن «يوميات وأيام الأميري»، ص ٢٢٦.

(٢) «يوميات وأيام عمر بهاء الدين الأميري»، باسل الرفاعي، دار الفتح.

ويقول ابنه مجاهد: (إن والده كان من أصحاب المدرسة المثالية في السياسة التي لم يحالف النجاح أصحابها كما هو معروف، وإنه برغم ما كان عنده من تفوق والمعيّة وتوقّد فكر يحتاجها السياسي من غير شك، إلا أن مبادئه وأخلاقه وقيمه منحتة النجاح كشخص، وكشخصية مميّزة، ولكنه لم ينجح كمحترف في العمل السياسي).
ويقول باسل الرفاعي: (لقد اتخذ الأميري لنفسه موقعاً وسطاً يقترب به ما أمكن من صنّاع القرار، ناصحاً منبّهًا، من غير أن يُثقل أو يجور، ساعياً لتفريج كُرب الناس وتحسين الحال من خلال أولي الأمر).

ولقد اختصر يمان الأميري - متحدثاً للرفاعي - فلسفة والده في هذا المجال بقوله: (كان والدي يعمل في المنطقة الخضراء والبرتقالية من الساحة السياسية، ويترك هامشاً بينه وبين المنطقة الحمراء، لا يرى من الحكمة أن يتعدّاه إلا عند الاضطرار)^(١).

قلت:

وهذا كله يُجَلِّي لنا أبعاد العلاقات التي أقامها - أو حاول إقامتها - الأميري مع كل من الزعماء: هاشم الأتاسي، شكري القوتلي، حسني الزعيم، محمد نجيب، جمال عبد الناصر، أحمد بن بيل، هوارى بومدين، معمر القذافي، وملوك السعودية والمغرب العربي، وغيرهم. لم يكن الرجل يبحث عن متاع، وإنما يريد إقامة جسور بين الحكام والشعوب، كما أنه لم يكن يسارع إلى قطع الصلة مع الرؤساء بناءً على ما يسمعه من الغير، ولو كان هذا الغير من أحبّ الناس إليه، فقد يفتح الله على يديه أبواباً أغلقت أمام غيره، فلماذا لا يحاول؟!

(١) «يوميات وأيام»، مصدر سابق.

وهذا أيضًا يوضح لنا أبعاد العلاقات التي أقامها مع قادة حزب الشعب الحلبي من أمثال: رشدي كيخيا، ناظم القدسي، معروف الدواليبي، وغيرهم، وقد أشار إلى هذه الصلات القوية في أكثر من موضع من مذكراته. قال محمد عويلة - أحد قدماء منتسبي الجماعة ومسؤوليها:

(تأثر الأميري بعلاقاته مع زعماء حزب الشعب: رشدي الكيخيا، وناظم القدسي وهذه المجموعة، خاصةً مع ترشيحه لمنصب السفير بباكستان، فأصبحت عنده طموحات سياسية جعلت بعض الإخوان يقترحون أن تُترك الجماعة على ما هي عليه، وأن يقوم من أراد الاشتغال بالسياسة بعمل حزب مستقل، ونحن نؤيده)، وأشار عويلة إلى أنه تم بالفعل تداول فكرة قيام حزب سياسي بزعامة الأميري، لكن الفكرة لم تنجح ولم تظهر إلى حيز الوجود^(١).

وهذا أيضًا يوضح لنا صلة الأميري مع حسني الزعيم الذي كان يعرفه حق المعرفة، ووالد عمر الأميري كان أستاذًا للزعيم في حلب، فحاول أن يُجدّد الصلة معه بعد انقلابه العسكري، أما برقية التأييد باسم الإخوان المسلمين فهي من إعداد وإخراج وتنفيذ الأميري وحده دون أن يشترك معه أحد من قادة الإخوان، لاسيما وهم يعلمون فساد الزعيم وإفساده وكرهه لهم ولأمثالهم من أهل التدين والصلاح، ولا يُخفي إعجابه بأتاتورك، وكان إغلاق مراكز الإخوان في المحافظات السورية من أوائل القرارات التي اتخذها.

ومن جهة أخرى فقد اختاره نظام الزعيم سفيرًا في باكستان، كما يؤكد ذلك عادل أرسلان وزير خارجية الزعيم في يومياته. ومن غير المعقول ولا

(١) «يوميات وأيام»، مصدر سابق.

المقبول أن يصدر موقفًا خطيرًا باسم الإخوان من رجل كان قد أعلن قبل عام انسحابه من الإخوان.

يقول الأميري في مذكراته:

(كنت أنتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين حتى عام ١٩٤٨ م، وفي هذا التاريخ أعلنت في مؤتمر عام أني - لظروف شخصية - أعتبر نفسي صديقًا للجماعة ومشاركًا في فكرتها العامة، ومنذ ذلك التاريخ لم تبق لي أي علاقة رسمية أو غير رسمية إلا الصداقات، وقد حصل أني بعد هذا التاريخ عُيِّنْتُ سفيرًا لسورية في باكستان، ثم في سواها، فانقطعت علاقتي بهم وتغيّر منهجي، وأعتبر أن الإخوان المسلمين يدعون إلى رسالة أخلاقية اجتماعية أتفق معهم في خطوطها الكبرى)^(١).

وقصارى القول: فشخصية عمر بهاء الأميري غير قابلة للحياة داخل حزب أو جماعة، وهذا مما يؤكد عليه في كثير من تصريحاته ومواقفه كقوله: (خير لكم أن لا أكون واحدًا منكم). ومن هذا المنطلق فقد قدّم خدماتٍ جليّةً للإخوان، وفي سبيل ذلك خسر منصبه كسفير، ولكنه كسب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى - نسأل الله له ذلك - أما حركة سورية الحرّة فهو يقول في «يومياته وأيامه» ما خلاصته: إنه ما أقدم على ذلك إلا بعد التشاور مع شكري القوتلي، الذي كان في الخارج (مصر)، ومع هاشم الأتاسي، الذي كان في الداخل، وأوضح أنه ما تعاون مع العنصر العسكري فيها، وهو العقيد محمد صفا، إلا بعد أن سمع تزكيتته من القوتلي نفسه.

(١) «يوميات وأيام الأميري»، مصدر سابق، ص ٣٧٨.

قلت:

العقيد محمد صفا- الذي قلنا عنه سابقاً: إنه لبناني، ومن أبناء الطائفة الشيعية- من المؤيدين لشكري القوتلي، ولذلك فقد جرى اعتقاله مع بعض الضباط (الشوام) عندما قاد حسني الزعيم انقلاباً عسكرياً ضد القوتلي، وطبيعي أن يزكّيه القوتلي، حسب رواية الأميري.

ويقول عادل كنعان- أحد قادة مركز الإخوان في حلب: (فوجئ الإخوان بالإعلان عن حركة سورية الحرّة، وما استشارها الأميري في ذلك من قبل، ولم تجد مبرراً للتشترك مع ضابط مثل العقيد محمد صفا؛ الذي لا يختلف كثيراً عن الشيشكلي)، وخلص عادل كنعان إلى أن الخلاف مع الأميري حدث حول تصرّف سياسي لا نجد أنفسنا صالحين للدخول فيه، وهو يتحمّل مسؤوليته^(١). ومن الجدير بالذكر أن حركة سورية الحرّة لم تستمر سوى بضعة أشهر، ثم انصرف الأميري في عمله كسفير لسورية في السعودية، ولم تعد له أية صلة بمثل هذه الأنشطة.

(١) «يوميات وأيام الأميري»، مصدر سابق مع تصرف يسير. ص ٢٢٤.

الإخوان المسلمون
وعبد الناصر

محنة الإخوان سنة ١٩٥٤م:

كانت محنة الإخوان المسلمين مادةً أحاديثنا في روحاتنا وغدواتنا، وكانت مصادر معلوماتنا أحاديث الثلاثاء، وما نسمعه من ضيوف المركز الذين يأتون من خارج حوران، والنشرات التي تُوزَّع، ولم يكن يومذاك فضائيات، وانتشار أجهزة الراديو كانت محدودةً جدًا.

كنا نتحدَّث عن الطاغية فرعون العصر: جمال عبد الناصر. وكنا نشي على زعيم الانقلاب المصري محمد نجيب، الذي أطاح به فيما بعد جمال عبد الناصر، وكنا نقول: إن حادث المنشية من تدبير عبد الناصر؛ لضرب الإخوان ومحمد نجيب، ويوم إعدام: الأستاذ عبد القادر عودة، والشيخ محمد فرغلي، ويوسف طلعت، وهنداوي دوير، ومحمود عبد اللطيف، بكينا، وبكى معنا الكثير من أهل الخير والفضل، وخرجنا، وخرج معنا جمع غفير من الناس، والجميع يهتف هتافات معادية لفرعون العصر جمال عبد الناصر، وقرئت علينا رسالة بالغة التأثير، كتبها الشيخ علي الطنطاوي، وأرسل المجلس النيابي السوري برقية استنكار، وتطوَّع عدد من المحامين السوريين، كان من بينهم نصارى، للدفاع عن الإخوان.

سقا الله تلك الأيام التي كان فيها قتل رجل واحد في منطقة ما يثير جميع الناس، فكيف بما فعله عبد الناصر من إعدامات جماعية وسجن مؤبد وأشغال شاقة، ثم قتل جماعي داخل السجن...! لم نكن يومذاك قد ابتُلينا بالباطنيين القرامطة، الذين قتلوا مئات الآلاف شر قتلة.

كنا نكثر من الحديث عن مصر، وطبيعة مصر، وإخوان مصر، وننظر إليهم نظرة تبجيل واحترام، وكان يشدُّنا الحديث عن المظاهرات، سواء كانت المظاهرة

الطالبة التي خطب فيها مجتبى نواب صفوي، أو المظاهرة التي قادها عبد القادر عودة من أجل عودة رئيس مصر محمد نجيب الذي أقاله عبد الناصر. كان عدد المتظاهرين - كما قيل لنا - أكثر من نصف مليون، والمظاهرة أرعبت عبد الناصر وأركان نظامه، وعجزت قوات الأمن عن تفريقها. وبعد استجابة عبد الناصر لمطالب المتظاهرين، خرج عبد القادر عودة من شرفة القصر، وقال: بعد خمس دقائق لا أريد أن أرى أحداً منكم في هذه الساحة. وتفرّق المتظاهرون قبل أن ينتهي الوقت الذي حدّده عبد القادر عودة، فتضاعف خوف عبد الناصر، وقال: الذي فرّق نصف مليون بأقل من خمس دقائق كم يحتاج من الوقت لقتلي أو لإبعادني عن الحكم؟!

كانت أخبار مثل هذه المظاهرات تصلنا مع إضافات عليها، والتضخيم من شأنها، وهذه هي عادة الناس إذا أحبّوا، وكانت تنسينا انقلاب حسني الزعيم، ثم الحناوي، ثم الشيشكلي، وقانون الطوارئ ومنع التجوّل والسجون، ثم اختفاء هذه المظاهرات التي تصبح من أشد المنكرات.

زملأونا الطلاب من البعثيين والأحزاب العلمانية الأخرى لم يكن يعنيههم أمر عبد الناصر، ولكنهم صاروا فيما بعد يدافعون عنه نكايّة بنا، وبقيت الأمور بيننا وبينهم في حدود معقولة، ثم جاء أمر قناة السويس، والحرب البريطانية الفرنسية الإسرائيلية، فلمع اسم عبد الناصر، وصار في نظر العرب بطلاً من أبطالهم، وتبيّن أن هذه البطولة لا تختلف عن بطولة كمال أتاتورك من قبل، وهتفت له الشعوب العربية، وأقام حلفاً مع الأحزاب: التقدمية... القومية... الوجودية... اليسارية... الاشتراكية، وقُل ما شئت بعد ذلك من شعارات يطرب لها السذج من بني قومنا، وهذا ما تفعله أجهزة الإعلام في بلادنا.

أما نحن - الإخوان المسلمون - وجمهور العلماء والدعاة والجماعات الإسلامية، فبقي عبد الناصر في نظرنا هو ذلك المجرم الذي أعدم الدفعة الأولى من الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ م، ثم الدفعة الثانية وفي مقدّماتها العالم العامل والداعية الكبير سيد قطب رحمهم الله تعالى، وهو نفسه الذي ضيّق على الدعاة، وزجّ بالآلاف منهم في سجونهم المظلمة، ونشر الفساد والإباحية والزندقة في مصر وغيرها، فويل له مما صنعت يداه.

الإخوان وعبد الناصر

فيما يلي موجز عما كنت كتبه عن الإخوان وعبد الناصر:

عبد الناصر: حادُّ الذكاء، شديد المكر، واسع الحيلة، قويُّ الذاكرة، كثير الغدر، فرعون هذا العصر، صديقه من يقْدسه ولا يعصي له أمراً، لا يبالي بعدد ضحاياه، قد يطمئن أحد أعزَّ أصدقائه إليه، ويبوح له بأخصِّ الأسرار، ثم يُفاجأ في يوم من الأيام بهذه الأسرار يلعلع بها «راديو القاهرة» من خلال تسجيل صوتي لهذا الصديق.

لقد قرأت كثيرًا من مذكرات الإخوان المسلمين كما قرأت كتبهم، وقرأت مذكرات الضباط زملاء عبد الناصر، ومذكرات وكتب الذين كانوا يسبِّحون بحمد عبد الناصر، وما قالوه عنه لا يخرج عما ذكرته آنفًا عنه.

انتسب عبد الناصر للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٢م بدعوة من زميله البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف. وفي سنة ١٩٤٦م أعطى عبد الناصر البيعة للإخوان المسلمين، وأصبح رئيس النظام الخاص عبد الرحمن السندي مسؤولاً عنه، وخلال سنتي ١٩٤٦-١٩٤٧م كان عبد الناصر وزملاؤه الذين انتسبوا وأعطوا البيعة للإخوان يدرِّبون شباب الإخوان على استعمال السلاح؛ لقتال الإنجليز المحتلين لمصر، واليهود في فلسطين.

انقطع عبد الناصر عن الإخوان، ثم عاد إليهم سنة ١٩٥٠م يطلب استئناف

نشاطه، وكان له ما أراد، والسؤال الذي يفرض نفسه ها هنا: هل كان عبد الناصر ملتزمًا بفروض الإسلام عندما انتسب إلى الإخوان المسلمين؟!

كان عدد الذين يُصلُّون من مجموعة عبد الناصر التي انتسبت للإخوان اثنين هما: كمال الدين حسين، وحسين الشافعي، ويقول عبد المنعم عبد الرؤوف: قلت لجمال عبد الناصر: إن عبد الحكيم عامر لا يصلح أن يكون ضمن أي تنظيم في الجيش لتعاطيه الحشيش. فأجابني: إنني لو طلبت من عبد الحكيم روحه لأعطاه لي. ويقول صلاح شادي: كان محمود لبيب - وكيل المرشد العام - معجبًا بجمال عبد الناصر، يثق به أشدَّ الثقة، ولهذا فقد أعطاه في مرض موته أسماء ضباط الإخوان، والأموال التي تخصُّهم، وكان عبد الناصر قد أقنع محمود لبيب بأن تنظيم الضباط في الإخوان ينبغي أن يقوم على ولائهم الوطني، وليس حسب ولائهم للإخوان، وأخيرًا طلب عبد الناصر من لبيب تنظيم الضباط الذين تتوفَّر فيهم الصفات الآتية: حب الوطن وتقديسه، ومناوأة المستعمر الإنجليزي الدخيل، وكنم الأسرار، والشجاعة والإقدام، ومحاربة فساد فاروق. وكان يستنكر أن يشترط فيهم المواظبة على الصلاة، والتزام أهلهم بالزي الإسلامي، وطاعة مكتب الإرشاد، واجتناب الخمر والميسر، والنساء الساقطات.

ويقول صلاح شادي: استغلَّ عبد الناصر محمود لبيب وأخذ يعمل منذ سنة ١٩٤٦م على تحويل الضباط له من وراء ظهر محمود لبيب. ويعلق شادي فيقول: (ومن هنا نستطيع إدراك حقيقة، ربما غابت عنا في غفلة النشوة التي صاحبت حركة الإخوان المسلمين داخل الجيش، فكان الكمُّ عندنا أغلى من الكيف....! وأصبح الإسلام في نظر ضباط الحركة حلَّةً تُرتدى وتُخلع عند اللزوم، وهذا اللزوم قد يكون فكرًا براقًا لا أصل له، أو مصلحةً مُتصوِّرةً، أو سلطانًا خادعًا).

وقال حسن عشاوي في «مذكراته»: (كان جمال عبد الناصر عضواً في جماعة الإخوان، وكان اسمه الحركي في أوساط من يتعامل معهم [زغلول عبد القادر]، كما كان عضواً في الحزب الشيوعي - حدثوا - وكان اسمه الحركي عندهم [موريس]).^(١)

ثم جاءنا حسنين هيكل ليقول لنا: (في حوار لي مع عبد الناصر قال: إنه لا يؤمن باليوم الآخر). وكان هذا الحوار قبل هلاكه بسنوات قليلة، ومن الجدير بالذكر أن هيكلاً هو الذي بنى أمجاده على التجارة بعبد الناصر أثناء حياته وبعد موته. وكان كاتبه الأمين - في نظره - وكاتم سرّه.

وأخيراً: كيف قبل الإخوان عبد الناصر عضواً عاملاً؟ وكيف شَرَّق وغَرَّب بهم؟ الجواب عند الإخوان.

حسن الهضيبي:

أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، وكان المرشد الأول فيها، وكان يعرف أفرادها وشُعَبَهَا في جميع القطر المصري، كما كان يعرف عوامل القوة والضعف فيها، وما يحيط بها من أخطار، وكان كثير المراجعة لأعماله وأفكاره، ولقد استطاع صياغة الجماعة بطريقته الفريدة في البناء والتربية.

وشاء الله سبحانه وتعالى، ولا رادَّ لمشيئته، أن يجري اغتيال البنا في ظروف عصيبة تمرُّ بها الجماعة: فقادتها كانوا في سجون فاروق، وهيئتها التنظيمية ليس كما ينبغي، ولم يكن بينهم الرجل الثاني أو الثالث أو... الذي يسدُّ الفراغ الذي تركه مرشداهم،

(١) حسن العشاوي من قادة الإخوان، ومن أعزَّ أصدقاء عبد الناصر. وما ذكرته عن عبد الناصر جاء مع ذكر المصادر في كتابي «مساجد الضرار».

ومن جهة ثانية فقد اشتدَّت الخلافات بين الأفندية والشيوخ^(١) فيمن يخلف البنا، وعندما تعذَّر الاتفاق بينهم لجأوا إلى رجل من خارج الجماعة كان قريباً من حسن البنا ويستشيريه في شؤون الجماعة. ذلكم الرجل هو الأستاذ حسن الهضيبي، رحمه الله، الذي أصبح بعد بيعتهم له المرشد الثاني للإخوان.

لم يكن المرشد الثاني خطيباً، والخطابة ميزة من ميزات عصره، بل كان قليل الكلام ويزنُ كلَّ كلمة يقولها. وهذه واحدة.

أمَّا الثانية: فقد اختاروه بعد أن اشتعل رأسه شيباً وأُحيل على التقاعد.

أما الثالثة: فحياته الشخصية تختلف عن حياة البنا، فلقد ترك مسافةً بينه وبين الناس، بينما كانت هذه المسافة منعدمة عند البنا.

أما الرابعة: فكان لا بدَّ له أن يعتمد على ناس من الإخوان؛ لدراسة مشكلاتهم ووضع الحلول المناسبة لخلافاتهم، فكان بطبيعته أقرب إلى الأفندية، ولهذا فقد أصبح عند الشيوخ طرفاً في هذه الخلافات.

وأما الخامسة: فقد كان لا يؤمن بشرعية النظام الخاص، ويرى حَلَّهُ، ولكن لا بأس أن يكون هذا الحُلُّ على مراحل، ولهذا فقد وقع الخلاف بينهم وبينه، ثم اتسع هذا الخلاف وتشعَّب ليشمل الجماعة كلها، ويؤدي إلى انشقاق كبير قاده رجال النظام الخاص، ومعظم الشيوخ، والمتضررون من وجود الهضيبي على قِمَّة المشهد الإخواني، واحتلَّ المنشقُّون^(٢) المركز العام مدة من الوقت، وتبيَّن أن عبد الناصر كانت له اليد الطولى في هذه الفتنة.

(١) الأفندية: هم خريجو الجامعات كالحقوق والأطباء والمهندسين، والشيوخ: هم خريجو الأزهر.

(٢) سيأتي الحديث عن هذا الانشقاق.

الجماعة:

دخل الناس في جماعة الإخوان أفواجا، وتساهلت الجماعة في قبول غير الملتزمين، مثل عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، الذي كان يتعاطى الحشيشة، وصار العمل أقرب شبهًا بالعمل الوطني، والعمل على تحرير مصر من استعمار الإنجليز. وقلَّ عدد المربين والموجهين، فاضطرت الجماعة إلى الاستعانة بموجهين يحتاجون لمن يوجههم، وفاقده الشيء لا يعطيه. انتبه لخطورة هذه الغوغائية أهل الرأي من الإخوان، وكان في طليعتهم عبد العزيز كامل في رسائله التي كانت تُدرّس في أسر الإخوان، وسيد قطب في كتبه ورسائله، وحسن الهضيبي في توجيهاته الموجزة، فإذا كتب غيره كتبًا عن واجب المسلمين في العمل من أجل قيام نظام إسلامي اكتفى هو بقوله للإخوان: (أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم على أرضكم).

ولكنَّ هذه الرسائل والكتب النافعة لم تكن قادرة على صدِّ هيمنة عقلية المظاهرات الصاخبة والتهافتات المستفزّة والجموع المتدفقة كسيل جارف، وقد أحسن صلاح شادي - أحد قادة الإخوان - في قوله:

(ومن هنا نستطيع إدراك حقيقة، ربّما غابت عنا في غفلة النشوة التي صاحبت حركة الإخوان داخل الجيش، فكان الكمُّ عندنا أعلى من الكيف! وأصبح الإسلام في نظر ضباط الحركة حلّة تُرتدى وتُخلع عند اللزوم...).

وأقول: هذه الحقيقة غابت وبدون ذكر ربّما، وهي ليست في الجيش وحده بل هي في العمل كله، وإلا فمن أين جاء جويفل، والخرباوي، وعبد الرحمن السندي، وأنور حمادة، وعبد المجيد الطرابلسي، وغيرهم؟! وما قاله شادي مهم وإن كان قد جاء متأخرًا.

نحن قوم تبهرنا الآلاف المؤلفة، فخطباؤنا ترتفع أصواتهم ويكرّرون العبارات الرّنانة التي حفظوها، ثم يرتفع الصوت أكثر مما سبق عندما يهتف أو يصفق له الجمهور، وعلى نقيض ذلك فقد تُلغى المحاضرة إذا كان العدد قليلاً.

إن الجماعة الكبيرة التي تتحدّث عن مليون عضو أو أكثر، وتفاخر على غيرها بهذا العدد، مثل هذه الجماعة إذا تضاءل عدد الموجّهين الأكفء فيها يسهل اختراقها واستدراجها إلى مواقف تندم أشدّ الندم عليها في وقت لا ينفع فيه الندم.

تصوّروا معي كرة هوائية قطرها ثلاثة أمتار، كم هي كبيرة الحجم؟ لكن الذي في داخلها ليس ذهباً، ولا غيره من المعادن الثمينة، بل هو هواء، فإذا تُقبت بآلة حادّة صغيرة زال حجمها وخرج منها الهواء إلى الهواء، فهل تتعظ الجماعات الإسلامية من تجاربها، وتصوّب أخطاءها؟! نرجو ذلك!



محاولة اغتيال عبد الناصر

محاولة اغتيال عبد الناصر

في ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٤ م كان البكباشي جمال عبد الناصر يخطب في ميدان المنشية بالإسكندرية، وفجأة انطلقت رصاصات، وارتفع صراخ الجمهور وضجيجهم، وتبين أن الرصاصات كانت مصوَّبة لصدر عبد الناصر غير أنها أخطأته، واستمرَّ يخطب بنبرة أشدَّ.

وأعقب هذا الحدث اعتقالات واسعة في صفوف الإخوان المسلمين، وفي ١٤ / ١١ / ١٩٥٤ م أقال مجلس الثورة محمد نجيب من رئاسة الجمهورية، ووضعه تحت الإقامة الجبرية، وتسلم عبد الناصر مهام رئاسة الجمهورية، ثم حكم على المرشد العام وستة آخرين من كبار الإخوان بالإعدام شنقاً، وبعد وساطة سعودية خُفِّفَ الحكم على الهضيبي وحده، ونُفِّذَ الحكم بالآخرين، ثم استمرَّت محنة الإخوان وعموم الإسلاميين حتى هلاك عبد الناصر سنة ١٩٧٠ م، حيث بدأت القبضة الحديدية تخفُّ أيام حكم أنور السادات.

وحادث المنشية وما أعقبه يطرح تساؤلات مهمّة:

أولها: ما هو الموقف العام من محنة الإخوان سنة ١٩٥٤ م؟!

يحيينا على هذا السؤال أكرم الحوراني الدُّ أعداء الإخوان، فيقول:

«هزّت أحكام الإعدام سورية من أقصاها إلى أقصاها، وقد قرّرنا الاشتراك في

المظاهرات التي شملت جميع أنحاء البلاد، كما قرّرنا أن نطلب من الحكومة التدخل رسمياً لمنع تنفيذ أحكام الإعدام، ثم كلّف الحزب نائبه الأستاذ خليل الكلاس أن يثير في الجلسة التي عقدها المجلس بتاريخ ٤/١٢/١٩٥٤م قضية الحكم بالإعدام على زعماء الإخوان المسلمين، فقال^(١):

(نحن الذين نرى قضايا العالم العربي وحدة لا تتجزأ، ونحن الذين نرى في حرية مصر حريّتنا، لا نرى في حديثنا عن أحكام الإعدام واستنكارنا لها تدخلاً في شؤون لا علاقة لنا بها، فالجرائم التي نُسبت للإخوان المسلمين - على فرض ثبوتها - إنما تُعتبر جرائم سياسية، ولما كانت القوانين والأعراف لا تُجيز أحكاماً كهذه على المجرمين السياسيين، لهذا نطلب أن تتوسط الحكومة السورية لمنع تنفيذ أحكام الإعدام). وقد أيد المجلس بجميع فئاته أقوال الكلاس.

قلت:

وإذا كان هذا هو موقف الدّ أعداء الإخوان، فمما لا شكّ فيه أن موقف العلماء والدعاة أقوى وأشدّ. فانظر - يا رعاك الله - كيف كانت الأوضاع العامّة في شامنا سنة ١٩٥٤م، وكيف أصبحنا أيام طغيان القرامطة الجدد؟! اللهم اجعل بعد عسرنا هذا يسراً.

والسؤال الثاني: كيف كان الوضع العام للإخوان المسلمين قبل حادثة المنشية، وهل نجح عبد الناصر في اختراقهم؟

الجواب: قلنا فيما مضى: إن عبد الناصر انتسب إلى الإخوان في عام ١٩٤٢م، وبعد مضيّ بعض الوقت انتقل - بناءً على رغبته - من التنظيم الخاص

(١) خليل كلاس.

إلى قسم الضباط الذي يشرف عليه محمود لبيب نائب المرشد العام، ثم وثق به محمود لبيب فأعطاه كل ما يتعلق بالتنظيم العسكري قبل موته، وتطوَّع هو ومجموعته التي دخلت الإخوان معه في تدريب شباب الإخوان على السلاح لمقاومة الاحتلال الإنجليزي، وهذا كلُّه مكَّنه من معرفة الإخوان، ومعرفة نقاط الضعف والقوَّة فيهم.

انقطع عبد الناصر بعد سنة ١٩٤٦ م؛ لأسباب ربما كان منها انتقاله في عمله من مكان إلى آخر، أو ربما بسبب إغلاق مراكز الإخوان، وطلب أن يعود إليهم سنة ١٩٥٠ م. لماذا؟ وهل عاد من الباب أو من النافذة؟! المهم أنه عاد، وكان أعرف بشؤون الإخوان من مرشدهم حسن الهضيبي، فأقام علاقات وثيقة مع كل من: حسن العشماوي، صلاح شادي، عبد القادر حلمي، صالح العشماوي، فريد عبد الخالق، صالح أبو رقيق، عبد الرحمن السندي، عبد القادر عودة، وعبد المنعم عبد الرؤوف. وقد تكون هذه الصلات جماعيةً أو فرديةً، وكل واحد من هؤلاء يظنُّ أنه أقرب من بقيَّة زملائه لعبد الناصر، والوحيد الذي كان يرتاب في عبد الناصر هو مرشد الإخوان حسن الهضيبي، وكان عبد الناصر يشكو منه ويقلِّل من لقاءاته به.

جاءت فرصة عبد الناصر التي لا تُعوَّض عندما وقع الانشقاق بين الإخوان، فتظاهر بالحياد، ولكنه في الخفاء كان يدعم المنشقين من النظام الخاص ومن الشيوخ، أمثال: سيّد سابق، البهي الخولي، محمد الغزالي، وصالح العشماوي.

ومن جهة ثانية، فبعد مرور بعض الوقت أدرك حسن الهضيبي أن أوضاع الإخوان لا تتناسب مع ما نشأ وشاب عليه، فبدأ يتعد شيئاً فشيئاً حتى جاء وقت

توارى فيه عن الأنظار، فانقطع اتصال الإخوان بمرشدهم^(١) في وقت تشدُّ فيه المخاطر، علماً بأن منصب المرشد في الإخوان مركزيٌّ.

ومن جهة ثالثة: فقد اختار عبد الناصر الشيخ أحمد حسن الباقوري ليكون وزيراً للأوقاف، وصار يخطب لعبد الناصر في المؤتمرات العامة كما كان يخطب لحسن البنّا ولحسن الهضيبي، واستطاع الباقوري أن يستقطب كثيراً من علماء الأزهر في وزارته، وهذا انشقاق آخر في الصفِّ الإخواني، وإن كان أضعف وأقلَّ جدوى.

والسؤال الثالث: حادث المنشية من دبره؟ ومن هي الجهة المستفيدة منه؟!

ضباط ثورة يوليو ومحكمتهم العسكرية قالوا: إنه من تخطيط وتنفيذ الإخوان، وعندهم أدلتهم - كما زعموا - وأوّل هذه الأدلة: محمود عبد اللطيف - الذي أطلق النار على عبد الناصر - هو من الإخوان، والذي أمره هو: رئيس مجموعته في التنظيم الإخواني المحامي هنداوي دوير. وثاني هذه الأدلة: هي أسبقية الإخوان في الاغتيالات. وقال الإخوان: إن حادث المنشية من تدبير جمال عبد الناصر، وهو وحده المستفيد منه، وما كان لبطل الرماية محمود عبد اللطيف أن يخطئ إصابة عبد الناصر لو كان فيما فعله ينفذ إرادة الإخوان... وقالوا كلاماً طويلاً عن المسدس والطلقة النارية التي لم تكن قاتلة، وبعضهم اتَّهم هنداوي دوير بأنه كان على صلة ما بعبد الناصر، وأضافوا: دوير كان حادّ المزاج وغير منضبط في التزامه بالجماعة، ودليلهم الأخير على ما فعله هنداوي دوير عندما صدر حكم الإعدام عليه قال: [مش ده اللي اتفقنا عليه]. فمن هذا الذي اتفق معه؟! وما الذي اتفقوا عليه؟!

(١) لينظر من يشاء إلى كتب الإخوان وأحداث ثورة يوليو، فقد وصفوا هذه المرحلة وصفاً دقيقاً ومؤملاً.

والذي أراه:

- لم يتخذ الإخوان قرارًا باغتيال عبد الناصر لا قبل حادث المنشية ولا بعدها، وهذا مما أجزم به.

- الذي أطلق النار على عبد الناصر - محمود عبد اللطيف - من الإخوان، ومسؤوله هنداوي دوير كان على اطلاع كامل، ولا يعني هذا أن قيادة الجماعة كانت على علم بما سيحدث، أو كانت قد اتخذت قرارًا بذلك.

- بعض ضباط ثورة يوليو الذين اختلفوا مع عبد الناصر قالوا: إن الحدث من تدبيره وتخطيطه.

- ما سبق الحدث من تحركات، وشدّ وجذب بين الإخوان وعبد الناصر، وبين عبد الناصر ومحمد نجيب... كلُّ هذا يؤكّد أن عبد الناصر كان من مصلحته أن يتخلّص من الإخوان ومحمد نجيب، وكان يعرف جيّدًا من ماضيه في الإخوان كيف تؤكّل الكتف، ولا أظن أنه كان بعيدًا عن مجريات الحدث. هذا ما أراه، والله أعلم.

الانشقاق



الانشقاق

أصبح النظام الخاص تنظيمًا داخل تنظيم، وانفرد رجاله بأحداث دامية شوّهت سمعة الإخوان، مما دعا المرشد الأول الشيخ حسن البنا إلى إعلان براءة الإخوان من هذه الأفعال، وعندما آلت أمور الإخوان إلى المرشد الثاني الأستاذ حسن الهضيبي كانت أجواء الإخوان تنذر بفتنة، فالرجل الجديد قاضٍ كبير، ولا يؤمن ابتداءً بالتنظيم السري، فكيف بخروج هذا التنظيم عن الخطّ المرسوم له؟! وكان من الممكن التدرج في معالجة هذه المشكلة، ولكنّ القشة التي قصمت ظهر البعير - كما يقولون - هي عملية اغتيال سيّد فايز الذي اختاره الهضيبي، ووُجّهت أصابع الاتهام لقادة النظام الخاص الذين رفضوا أن يكون سيّد فايز مسؤولاً عنهم، كما رفضوا أي تغيير في هيكلية نظامهم، فأتخذت قيادة الإخوان الجديدة قرارًا بفصل كلّ من: عبد الرحمن السندي، وأحمد عادل كمال، ومحمود الصبّاغ، وأحمد زكي من الإخوان.

رفضت قيادة التنظيم الخاص قرار الفصل، واستنفرت قواعد التنظيم الذين يدينون لها بالطاعة المطلقة، وقرّرت احتلال المركز العام، ومنزل الهضيبي - الذي لا يبعد كثيرًا عن المركز العام - وإجباره على الاستقالة، ثم إذاعة البيان رقم (١)، وفرض سياسة الأمر الواقع... إنه انقلاب عسكري!!

وبمثل هذا يعمل ويخطّط الذين يعيشون في دهاليز السريّة، سواء كانوا جيوشًا أو تمتن على حماية البلاد والعباد فخانت الأمانة، ووعدت وأقسمت على ذلك

ثم أخلفت، وزعمت بعد ذلك أنها لا تريد إلا الإصلاح ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً... ولكن الانقلاب هو انقلاب!!

انقلاب على المناهج والأهداف!

انقلاب على المعاهدات والوعود!

وإلا فأَيُّ ضمير لهذا الذي يقتل صديقه أو يزجُّ به في سجون مظلمة، ويتنكر لكل ما كان بينهما من ودٍّ ومحبة؟!!

سيطر المنشقُّون على المركز العام، واعتلى شيوخهم ودعاتهم منبر المركز العام، وراحوا يخطبون ويهتفون، وظنُّوا أن الأمور قد استقرَّت لهم لاسيما وأنهم مركز الثقل في الجماعة.

غير أن الإخوان شنُّوا هجوماً مضاداً، واستعادوا السيطرة على المركز العام بعد أن أشبعوا المنشقِّين ركلاً وضرباً، وفشل المنشقُّون في استمرار السيطرة على المركز العام، كما فشلوا في محاولتهم إجبار المرشد العام على الاستقالة، فزادهم هذا الفشل رغبةً في الثَّأر لأنفسهم ولأهوائهم، ووجدوا ما يبحثون عنه عند عدوِّ عدوِّهم جمال عبد الناصر زميلهم القديم، فتعاون بعضهم معه دون الوقوف عند حدٍّ معيَّن، وكانوا ينسِّقون معه أثناء احتلال المركز العام وبعد ذلك، وقدَّموا له البقية الباقية من أسرار الإخوان التي لا يعرفها، وكان لهم دور مؤسف بعد حادث المنشية سنة ١٩٥٤م، وصاروا من بطانة عبد الناصر التي يستخدمها في حربه على الإخوان خارج سورية - كما سيأتي الحديث عنه - وقلة قليلة منهم تركوا الإخوان وابتعدوا عنهم، ولكنهم لم يتخلَّوا عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فنفع الله بهم، وكان في طليعة هؤلاء الشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيِّد سابق، والأستاذ صالح العشماوي.

كيف علمتُ بالانشقاق:

في سنة ١٩٥٤م تولى توجيه أسرتنا الإخوانية أحد أبناء فلسطين، ولم يكن بيننا وبينهم أيُّ فارق، فالتنظيم واحد، والشعب واحد، وكان موجَّهنا موظَّفًا في وكالة غوث اللاجئين، وفهمنا منه أنه كان يعيش في حمص، وانتقل إلى ذرعا منذ أقلَّ من سنة واحدة. أحببنا موجَّهنا وأحبَّنا مع أنه لم يكن من طلاب العلم، وفائدتنا العلمية من جلساتنا معه كانت محدودةً جدًا.

كان موجَّهنا يحدثنا عن علي الحسن شقيق خالد الحسن، ويؤكد أنه كان عالمًا بارعًا ومحاورًا مفعمًا للخصم، ومن مبالغاته في الحديث عن محبته علي الحسن أنه أقنع نساء الشيوعيين في طلب الطلاق من أزواجهن؛ لأنهم ملاحدة، فتمنينا أن نصبح مثل علي الحسن.

وبعد مضيِّ بعض الوقت بدأ موجَّهنا يلمِّح إلى نقد المراقب العام للإخوان المسلمين الشيخ مصطفى السباعي، فسكتنا على مضض، ثم تحوَّل التلميح إلى تصريح فذهلنا؛ لأن ديانا كانت مصطفى السباعي، والشيخ عبد العزيز أبا زيد، والإخوان المسلمين، ويريد موجَّهنا أن يخرجنا من ديانا، ولولا هؤلاء ما وثقنا بهذا النكرة.

اعترضتُ على ما سمعنا منه، ثم قابلت الأستاذ محمد بن لطفي الصَّبَّاح وعرضت الأمر عليه، وفهمتُ منه أن هناك انشقاقًا، ولم نكن من قبل نعرف شيئًا عن هذا الانشقاق لا في مصر ولا في سورية، تغيَّر موجَّه أسرتنا واستأنفنا نشاطنا، ولكن أخبار هذا الانشقاق صارت تصلنا، وكثيرون جدًا الذين ينشطون في نقل خبر السوء.



الانشقاق في سورية



الانشقاق في سورية

كانت سورية في الخمسينيات من القرن الماضي تحتل المكانة الثانية بعد مصر في العالم العربي من حيث اتساع رقعة الأنشطة الإسلامية وعمق تأثيرها في نفوس الناس، وعندما فعل البكباشي جمال عبد الناصر فعلته النكراء بالإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤م، هبّت سورية- كل سورية- تستنكر ما فعله عبد الناصر، وتهتف بسقوطه ورفض نظامه، وعندما قدّم سفيره بدمشق احتجاجاً لدى الحكومة، كان ردّها مخيّباً لآماله، وهذه واحدة. أما الثانية: فقد استقبلت سورية الذين التجأوا إليها من الإخوان المسلمين الذين كان يطاردتهم النظام وأصدر أحكاماً ضدهم، ووجدوا في سورية كلّ حفاوة وترحيب، ولا غرابة في ذلك، فأهل سورية يبالغون في إكرام ضيوفهم، والغريب بينهم يشعر أنه يعيش بين أهله ومحبيه، ومن يشاء دليلاً على ذلك فليعد إلى كتب الرّحالة في القديم والحديث.

نحن الإخوان كنا ننظر إلى المصريّين من جماعتنا كما ينظر أعراب المدينة إلى أهل المدينة... كنا نحيط بهم ونستمع إليهم ونعاملهم كما كان الأنصار يعاملون المهاجرين، أو نحو ذلك.

كان عبد الناصر ينظر بارتياح لما كان يجري في سورية، ويعلم أن الإخوان هم الذين يقفون وراء ما يجري، ولا بدّ أن يسعى لإسكات هذا الصوت في سورية كما أسكته في مصر.

كان من بين الإخوان المصريين الذين التجأوا إلى سورية رجل معروف عندهم، وإن كان ليس من رجال الصف الأول أو الثاني.

نجيب جويفل

وُلد محمد نجيب جويفل في محافظة الشرقية بمصر، وكان يتَّسم بشخصية قويَّة وشجاعة، هذه الشخصية أهَّلتَه أن يلتحق بالنظام الخاص لدى الإخوان المسلمين بعدما التحق بهم في وقت مبكر.

يقول الحاج عبد الحميد الزهرة أحد القيادات العمالية للإخوان، وأمير الكتبية الثانية من محافظة الدقهلية أثناء حرب ١٩٤٨ م:

(لا أستطيع نسيان الأستاذ محمد نجيب جويفل [شرقية] أحد قادة المعسكر، والذي تميَّز بالشحنات الإيمانية العالية التي يغرسها فينا، وفي إحدى المرات أوصى جويفل أحد أفراد الكتبية أن يقصَّ شعره الطويل، فرفض، فقال له جويفل: اتفضَّل رَوْح طالما أنك مش هالين عليك شوية شعر، إزاي هتهون عليك روحك).

ويقول عبد الرحمن البنَّان عن جويفل: (وهو شاب لا يزيد عمره على التاسعة عشر^(١)، طويل القامة، نشيط كالنمر).

شارك نجيب جويفل في محاولة اغتيال إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء المصري، ولكن ضحية هذه المحاولة كان حامد جودة رئيس مجلس النواب؛ لأن سيارته كانت تشبه سيارة إبراهيم عبد الهادي، غير أنه نجا وأصيب حارثه، وقد وقع هذا الحادث في ٦ مايو ١٩٤٩ م، وقُبض على المتَّهمين وقُدِّموا للمحاكمة، وصدرت

(١) كان ذلك عام ١٩٤٨ م، وهذا يعني أنه من مواليد ١٩٢٩ م تقريبًا.

أحكام كبيرة بحقهم، وكان حسن عشاوي محامي دفاع جويفل، فنظّم هروبه من المستشفى، ثم نظّم هروبه من مصر إلى لبنان، وكان ذلك بالتنسيق مع صلاح شادي الذي كان ضابطاً في الشرطة. ويقول شادي: (وكانت الشخصية التي اخترناها لنجيب جويفل إلى الخارج شخصية مربية خرساء للأطفال!).

وبعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م بأشهر أبلغ حسن العشماوي جمال عبد الناصر بقصة نجيب جويفل، فاستقدمه بجواز سفر آخر، عاد به إلى القاهرة حين صدور العفو العام عن قضايا الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٣م^(١) والذي شمل اسم نجيب جويفل.

عاد نجيب جويفل إلى نشاطه في النظام الخاص، وكان ضمن المجموعة التي شاركت في الذهاب إلى المرشد العام والاعتصام في المركز العام^(٢)... وبعد حادث المنشية ١٩٥٤م، ووقوع الصدام بين الإخوان وقادة ثورة يوليو، كان المرشد العام حسن الهضيبي في زيارة لبلاد الشام، وأصرّ على العودة لإدارة الأزمة، غير أن الوفد المؤلّف من: عبد الحكيم عابدين، وسعيد رمضان، وسعد الدين الوليلي، رفض الرجوع، وفي أواخر عام ١٩٥٤م أسقط مجلس قيادة الثورة الجنسية عن ستة من المصريين بزعم أنهم أساءوا إلى سمعة بلادهم في الخارج، وهم: عبد الحكيم عابدين،

(١) وهذا يعني أن جويفل أقام في بلاد الشام من ١٩٤٩م إلى نهاية ١٩٥٢م، وأخبره فيها مجهولة تقريباً.

(٢) في كتابي «مساجد الضرار» قلت: إنه كان يقود المظاهرة المضادة للمنشقين، وهذه رواية سيّد عيد الذي كان شاهداً على ما حدث، وقد سمعتها منه، ويبدو أن الروايات الأخرى أصحُّ. تقريباً.

وسعيد رمضان، وسعد الدين الوليلي، ومحمد نجيب جويفل^(١)، وكامل إسماعيل الشريف، ثم محمود أبو الفتح وهو وفديّ بارز، وأسرته تملك صحيفة [المصري]. ومن أشمل وأصح ما كُتب عن نجيب جويفل كلمة لشيخنا الأستاذ مصطفى السباعي نقلها فيما يلي لأهميتها، قال رحمه الله:

(كانت معرفتي بنجيب جويفل لأوّل مرّة في معسكر النصيرات شمالي دير البلح، قبل أن تنتقل إلى معسكر البريج بعد جلاء كتيبة الجيش البريطاني منه عام ١٩٤٨م، كان محمد نجيب جويفل واحداً من طلاب الجامعات الذين هجروا الأهل والدراسة وجاءوا للالتحاق بكتائب الجهاد، ولم أكن أعلم حين تعرّفت به أن زمالتنا سوف تطول وتمتدُّ أكثر من ثلاثين سنة، وأنها ستعبر بنا بلداناً وحالات مختلفة، وأنها ستصبح فصلاً تمتزج فيه الصداقة مع العداوة، والمثالية مع الواقعية، والإيمان وما يناقضه مع أخلاق الناس.

غريب هذا الإنسان المخلوق، الذي يستطيع أن يجمع في إهابه كلّ الميول والنقائص، ويتحرّك بين الحدين اللذين وضعه الله بينهما حين قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿سورة التين: ٤-٥﴾، وفي يده أن يعلو حتّى يخالط الملائكة، أو ينحدر حتّى يعايش الشياطين.

كان نجيب جويفل جريئاً شجاعاً، وكان يتمتّع بصفات قيادية نادرة، فهو متحدّث بارع، وخطيب مفوّه، وكان لديه قدرة غير عادية على كسب من حوله، ولذلك أصبح الباب مُشرعاً أمامه لكي يصعد في مدارج المسؤوليات والقيادات،

(١) إسقاط الجنسية عن جويفل لماذا؟! لاسيما وأن الأستاذ السباعي يعرف عنه ما يكفي لاتهامه، أو يجعله موضع شبهة.

فإذا اجتمعت تلك المواهب الطبيعية النادرة مع طموح لا حدَّ له، أصبح الرجل شحنةً قابلةً دائماً للانفجار، وهكذا كان نجيب جويفل.

يعرّف الكاتب الساخر - أوسكار وايلد - الطموح بأنه الملجأ الأخير للفشل! ولو تركنا السخرية جانباً نجد الطموح أخطر ما يكون إذا كان الإنسان لا يملك الوسائل لتلبية ذلك الطموح، مما يدفع لاستباحة القيم وتنكُّب المبادئ، والاندماج نحو الجريمة كما تغنى المتنبي في مطلع شبابه:

أيّ عظيم أتقى	أيّ خطير أرتقى
وكلُّ ما [قد] خلق الله	هو وما لم يخلق
محتقراً في همّتي	كشعرة في مفرقي

وقد حمله هذا الطموح الهائج إلى حتفه كما هو معلوم.

وفي مناخ العمل السريّ تثور تلك الميول وتنتعش، وقد تستعين بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة وتخرجها عن سياقها لتجعل منها سنداً وذريعةً لأدنى النزعات البشريّة، ألم تر كيف برّر الخوارج لأنفسهم التمرد على الخلفاء، وشقّ الصفّ الإسلامي، وإثارة الرعب بين المسلمين تحت شعار [لا حكم إلا لله].

تعود بي الذاكرة الآن إلى واقعة قد تبدو صغيرة، لكنها تعكس نزق الشباب وميلهم الفطري للمغامرة، كما تعكس حالة حرجة لا تحسمها إلا يد الله التي تعزل الموت عن الحياة، كان نجيب جويفل يقود أحد مواقعنا في [خزاعة] شرقيّ خان يونس في مواجهة مستعمرة [نيويم]، وكان ذلك في الفترة التي مارس فيها نجيب هواياته الغريزية في التمرد والتأليب، وقد ذهبْتُ لزيارة الموقع ذات يوم، فقال لي على مشهد من الجنود: إنّ هناك دوريات إسرائيلية تجوب المنطقة، وأنه يُعدُّ لها

كمينًا. واقترح عليّ أن نذهب سويًا لمطالعة المكان. وقد أدركتُ أنه يقصد إحراجي وإظهارني بمظهر الضعف والجبن، فلم أملك سوى الموافقة رغم خطورة المغامرة، وقد كان الوقت عصرًا والساحات مكشوفة، وقد نصبح هدفًا سهلاً لدوريات العدو بدل أن نجعلها هدفًا لنا، وهكذا ركبنا الخيول وعلى كتف كل واحد [منا] رشاشه، وتوغّلنا بين (الخواكير) التي تُعتبر منطقةً معاديةً تخرقها الطرق الممتدة من المستعمرات. وحين بدأت الشمس تميل نحو المغيب، كنّا نحاول اجتياز ستار كثيف من شجر الصبر (التين الشوكي) حين سمعنا قهقهة الجنود والمجنّذات اليهوديات وراء الساتر، ولمحنا شبح سيارتهم المصفّحة، كان الموقف حرجًا للغاية فنزلنا على أطراف الأصابع، ولقد كتمنا الأنفاس، ويبدو أن خيولنا أحسّت بما نحن فيه فكتمت أنفاسها أيضًا، ولو بدرت منها أيُّ حركة جلبت علينا النيران من كلّ اتجاه، لقد بقينا على هذه الحالة فترةً من الوقت حسبناها زمنًا طويلًا حتى خيم الظلام، فانسحبنا بهدوء تتبعنا خيولنا الذكيّة حتى قطعنا مسافةً معقولةً، ثم امتطيناها وتركنا لها العنان.

تمّت المنازلة الصامتة التي دعاني إليها هذا المغامر الجريء بسلام، لكن بقي منها درس لا يُنسى، وهو أن التنافس والمزايدات تكون عادةً على حساب الأمن والسلامة والمصلحة، ولا بدّ من تفادي أسبابها إذا أُريد للعمل أن يكون مُحكمًا، وأن يحكمه التخطيط الرصين والمسؤولية وليس مجرد تسجيل النقاط، غير أن هذه الحادثة توضح مفتاح شخصيته.

كان لدى نجيب جوفل قدرة عجيبة على شقّ أيّ مجموعة متّحدة عن طريق (المزايدة)، وأخذ مواقف التطرف، وهذا النوع يروج في الجماعات الإسلامية أكثر من غيرها؛ لأنه ينفق من رصيد عاطفي زاهر يستطيع أن يبرّر فيه تراث خالد بن الوليد، وأبي عبيدة، وغيرهم من أبطال الإسلام، بعد أن يضع حولهم ببلاغته هالة

مضاعفة، وقد استطاع نجيب أن يشقَّ معسكر البريج لعدة (شِلل) حتى اضطرت لاعتقاله في انتظار ترحيله، ولكنه هرب في مرحلة ما، وعلمتُ بعدها أنه ذهب للاشتراك في عملية عنيفة في بلد عربيٍّ، ثم ظهر في احتلال المركز العام، وحين حطَّ بنا المقام في المنفى وجدناه ما دخل بلدًا إلا أحدث فيه انشقاقات، إلا أن الختام المفجع قد وقع حين ظهر في بزَّته العسكرية ضابطًا في المخابرات العسكرية! هل كان من البداية مزروعًا في الجماعة؟ أم هل وقع تجنيد له في مرحلة لاحقة؟

من الإنصاف لنجيب جويفل أن نقول: إنه لم يستخدم منصبه الكبير لإيذاء أحد من رجال الجماعة، بل يبدو أنه حاول مساعدة بعض الأسر المنكوبة، لكنه يبقى نموذجًا فريدًا لنوع من الشباب يدخل العمل الإسلامي للصَّيد والقنص باحثًا عن مصلحته وحدها، يساعده على ذلك مناخ الحزبية والعمل السريِّ، الحزبية التي تثير الميول، والمطامح الدنيوية، والسريَّة التي تعيش في الظلام، وتخفي النوايا، وملامح الوجه). انتهى كلام السباعي.

تعقيب:

لأستاذنا الشيخ مصطفى السباعي تجربة طويلة في المجالين: الدعويِّ والسياسيِّ، واختبر أشتاتًا من الناس، ومن خلال حديثه عن نجيب جويفل يحذِّرنا من صنف من الناس برعوا في شقِّ الجماعات والمؤسسات الإسلامية، وهؤلاء الناس اجتمعت فيهم صفتان:

الأولى: الشجاعة والإقدام... الذكاء والقدرة الفائقة على فهم ما يُطلب منهم... مواهب خطابية رنانة... القدرة على حشد الأدلة المقنعة.

الثانية: طموح لا يضبطه ضابط، ولا يحده حدٌّ.

وكثير من قادة المؤسسات الإسلامية يشعرون أنهم اكتشفوا كنزًا إذا توفرت الصفة الأولى في عضو من أعضاء جماعاتهم، ويغفلون عن شرط لا يصحُّ العمل بدونه، ألا وهو النية، وتُكتشف النية من خلال أنشطة العضو، فإذا فسدت النيات فسد العمل كله.

ويضيف السباعي: (وفي مناخ العمل السريّ تشور تلك الميول وتنتعش، وقد تستعين بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة وتخرجها عن سياقها؛ لتجعل منها سندًا وذريعةً لأدنى النزعات البشرية، ألم تر كيف برّر الخوارج لأنفسهم التمرّد على الخلفاء، وشقّ الصفّ الإسلامي، وإثارة الرعب بين المسلمين، تحت شعار: «لا حكمَ إلا لله!»).

قلت:

في حياتي الدعويّة رأيتُ مثل هذه النماذج التي حدّثنا عنها شيخنا السباعي رحمه الله. رأيتُ من اجتمع فيه الذكاء والعلم والقدرة على التأثير فيمن حوله، وقد يحترم ويقدر من يراه - هو - جديرًا بالقيادة، فيسمع منه وحده دون الاستماع لمن وقع عليهم الاختيار ليكونوا مسؤولين عنه؛ لأنه يرى أنهم غير مؤهلين ليكونوا مسؤولين عن أمثاله، ومن جهة أخرى قد يختار أصحاب المسؤولية أمثاله، ويتجنّبون أصحاب المواهب الصامته الذين لا يحبّون الظهور ويخشون الله أشدّ الخشية، فكنت أسأل نفسي: ماذا يفعل هذا الرجل الذي يرى نفسه جديرًا بالقيادة دون غيره لو تصدّر الساحة لأيّ سبب من الأسباب؟! ولهذا يجب وضع الأتقياء الأمناء من أصحاب المواهب الصامته على العمل

منذ المراحل الأولى للتأسيس، فأمثال هؤلاء يبارك الله في جهودهم؛ لعلمهم، وأمانتهم، وإنكارهم لذواتهم، ويحقق الله على أيديهم خيراً كثيراً.

وشهدتُ نوعيّة أخرى من الدعاة، وإن شئت فقل: من الأتباع... هؤلاء يُحبّون الزعيم القائد أشدّ الحب، ويؤمنون على كلّ ما يقول، ويصوّبونه وإن كان خطأ، وهم معه أينما سار واتّجه.

علّمتني مدرسة الحياة الخشيّة من هؤلاء وإن كانوا من أقرب الناس إليّ، وما كنت أرشّحهم لمسؤولية... ورأيتهم فيما بعد من أشدّ الأعداء بسبب معلومات اجتمعت عندهم دون أن يتبيّنوا صحتها، وبمثل ما أحبّوا كرهوا، وهذه هي حال أصحاب العقول التي لا تعمل في الاتجاه الصحيح!!

إنني أنصح المُربّين من الدعاة أن يقرؤوا ما كتبه الأستاذ السباعي، ليس مرّة واحدة بل مرّات، ليُجنّبوا الصفّ الإسلامي هذا النوع الخطير من الهزّات.

إن عدوّنا يمكر بنا، ويرصد صفوفنا بحثاً عن مواطن الضعف فينا؛ ليخترقنا من خلالها ويجعل الصفّ الواحد صفوفاً متناحرة متناكرة.

جويل والانشقاق السوري عود على بدء

لابد لي في البداية من التأكيد على الحقيقة الآتية:

إذا قيل: إن الإخوان المسلمين في سورية سنة ١٩٥٣م كانوا صفًا واحدًا ليس فيه أيُّ تصدُّع تتقدَّمه قيادة واحدة، ثم جاء نجيب جويل ليجعل من هذا الصفَّ صفوفًا، فمثل هذا القول تبسيط للمسألة ومجانبة للصواب، وإليك دليلين على ذلك:

الأول: إن نشأة الإخوان في سورية مثلها في مصر، ومثلها في كلِّ مكان، خليط من الناس اجتمعوا وكونوا جماعةً واحدةً، فمن بين هذا الخليط من هو سلفي، وآخر صوفي، والثالث من أهل الغلو، وهكذا... هذا الخليط يتعايش فترةً ثم ينفجر، فيسفر انفجاره عن انشقاق أو خلاف مزمن.

الثاني: الأستاذ السباعي رغم علمه وجهاده وفضله كان عند الغضب شديدًا، كما كان يتأثر بشخصيات إسلامية من خارج الإخوان، فيصدرُ قرارًا إخوانيًا على غير رغبة الإخوان، وهذا ما نفخ فيه المنشقون وضخّموه.

يقول الأستاذ زهير الشاويش رحمه الله:

«أما الفتنة في سورية فقد استمرّت طويلاً، لعوامل متعدّدة... منها استغلال فترات منع الجماعة أيام انقلاب حسني الزعيم، وفي عهد الشيشكلي، وتطبيق الأحكام العرفية، ودخول السباعي وبعض إخوانه في السجون، وبالتالي خروجهم إلى لبنان

ومصر... حتى أنه لم يبق مع الأستاذ في الجماعة سوى العدد القليل جدًا، وفي دمشق كان لا يتجاوز عددهم في القيادة أصابع اليد الواحدة.

وقد استولى المنشقون على مركز الجماعة الأول في باب الجابية، ومركز الفتوة في المرج الأخضر، ونهبوا أموال الجماعة، وما عندها من أدوات رياضية وغيرها، وأتلفوا المكتبة العامة [وفيها كتب قيّمة]... الخ.

وكان مثل ذلك في حمص، حيث احتلوا المعهد العربي الإسلامي، وأصبح باسم أحدهم الذي ارتقى إلى مناصب^(١) عالية في الدولة!! واستولوا على النادي الرياضي - وكان أكبر نوادي سورية، وفيه تدرب عدد من المجاهدين الذين ذهبوا للقتال في فلسطين سنة ١٩٤٨م واستشهد عدد منهم - وعلى المركز داخل الجامع الكبير، وغير ذلك في أماكن أخرى.

وهنا ظهرت قوة مصطفى السباعي في التمسك بالحلّ الذي يراه - ونراه معه - حقًا، فقاوم النظام^(٢) وأتباعه داخل سورية ولبنان، وانتقل من بيروت إلى مصر - مع الأستاذ عصام^(٣) وكنت معهما - حيث شرح لإخوان مصر الأوضاع، وطالبهم بسحب التأييد للذين ساندتهم [جماعة النظام] في فتنهم - من بعض قيادات الجماعة المصرية - وكان أن ساعد السباعي وإخوانه: الإمام الهضيبي، والأستاذ سيد قطب، والأستاذ محب الدين الخطيب [صاحبه القديم أيام «مجلة الفتح»]، والدكتور عبد العزيز كامل، والمجاهد محمود عبده، والأستاذ عبد البديع صقر، وجماعة الأسس

(١) عبد المجيد الطرابلسي، وقد أصبح وزيرًا للأوقاف في زمن حافظ الأسد.

(٢) النظام الخاص، أو السري، وهو تنظيم مغلق داخل تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، كما تقدم.

(٣) عصام العطار.

[وكانت مجموعة علمية ناشطة، والتسمية من قبل خصومهم!]، وغيرهم، ثم جاء الأستاذ الهضيبي مع بعض إخوانه سنة ١٩٥٤ م إلى الشام تأكيداً للأستاذ السباعي وأنه القائد للجماعة.

ويضيف زهير الشاويش:

«... وبعد أيام جاءت مجموعة منهم قرب منتصف الليل، إلى بيت السباعي، وهو بيت صغير منفرد في بساتين الحواكير، وفتحت لهم الخادمة، ودخلوا مباشرة من غير إذن إلى غرفة الضيوف الوحيدة المضياء، وفوجئوا بوجود القيادة مجمعة عند الشيخ، فما كان منهم إلا أن قرأ أحدهم [ويده ترتجف، ولسانه يتلعثم] كلمة مكتوبة بعزل الشيخ والقيادة، وفصلهم من الجماعة.

وكاد أن يقع صدام بينهم وبين الإخوة الحاضرين، ولكن تدارك ذلك - بحكمته ووقاره - الأستاذ السبسي^(١) رحمه الله، فقال لهم: انتهى البلاغ رقم واحد، تفضلوا واخرجوا مع السلامة! وغادروا مسرعين.

وبعد ذهابهم تبين أنهم قطعوا خطَّ الهاتف، وأنهم أخذوا مفتاح سيارة الأستاذ من السائق الذي كان ينتظر لينقل ضيوف الشيخ، وبقي منهم واحد مسلَّح بجوار السائق خارج البيت، ولعل ما زاد على عشرة من الإخوان عند الأستاذ كان مفاجأة لهم، غير ما كان عندهم من الخطط.

وأقول: الآن وكلهم أحياء، وفي بعضهم فضل، لعل أحدهم يذكر ما كان خفياً عنا، بعد أن عرفوا أخبار الذي خدعهم [أو خدعوه]، وباب التوبة مفتوح لنا ولهم، واستحلال الخصوم مطلوب شرعاً. انتهى كلام الشاويش.

(١) عبد القادر السبسي.



نشاط جويفل الهدام في بلاد عربية أخرى

وعن نشاط نجيب جويفل الهدام في البلاد العربيّة الأخرى يقول الأستاذ زهير الشاويش:

« ١ - محاولة نجيب جويفل وبعض الشباب التفلّت من قيادة الإخوة في الكويت [الأستاذ عبد العزيز المطوّع وإخوانه]، مما أدّى إلى إلغاء الجمعة - يومها - واستولى المنشقّون على أموالها ووثائقها، ولم يعد العمل إلا بعد زمن طويل.

٢ - التغيير في قيادة الجماعة بالأردن، واستقالة المراقب العام المجاهد عبد اللطيف أبو قورة.

٣ - إحداث انقسام في لبنان، بعد الجهود التي بذلها السباعي وإخوانه في تثبيت الدّعوة خلال فترات إبعادهم إلى لبنان»^(١).

قلت:

رحم الله الأستاذ الشاويش، فما قاله أقرب إلى الألغاز، مع أنه كان قريباً من الأستاذ السباعي، عليهما بشؤون الإخوان في كلّ من مصر والشام، ولا أدري كيف نحلّ ألغازه، فهو لم يقل لنا من هم الكويتيون الذين استجابوا لفتنة جويفل؟! ولماذا استقال عبد اللطيف أبو قورة من منصب المراقب العام في الأردن؟! وما هو الانقسام الذي أحدثه جويفل في لبنان؟!

(١) «السباعي بأقلام محبيه».

أما الأردن ففي كلمات موجزة نقرأ في مذكرات الإخوان المسلمين أن جويفل أوغر صدر محمد عبد الرحمن خليفة [الذي نجح في توثيق صلته به] ضد عبد اللطيف أبو قورة، مما دعا الأخير إلى الاستقالة وتولي خليفة منصب المراقب العام. ونقرأ في «مذكرات» نذير رشيد مدير المخابرات الأردنية:

(كان عبد اللطيف خليفة [شقيق محمد عبد الرحمن خليفة] زميلاً لي ... وكان شديد النهم للمطالعة والقراءة، وقد تأثرت به، ومن الكتب التي قرأتها في تلك الأيام [١٩٥٤-١٩٥٥ م] مجموعة سيّد قطب المشهورة «في ظلال القرآن»، وقد زرت وإياه مركز الإخوان المسلمين في عمّان، وتعرّفتُ عن طريقه إلى الأستاذ نجيب جويفل، أحد قادة الإخوان المصريين، وكان في ذلك الوقت مقيماً في عمّان، ثم تبين لي فيما بعد أنّه من ضباط المخابرات المصرية، فقد عاد إلى القاهرة، وجاء مرةً أخرى عام ١٩٦٧ م بصفته اللواء نجيب جويفل، وكان مكلفاً بالتنسيق مع المنظمات الفلسطينية^(١)).

وقال نذير رشيد في لقاء له مع قناة الجزيرة:

(لما تعيّنتُ بدائرة المخابرات بأوّل ١٩٨٦ م، أتاني جويفل إلى بيتي بالسلط مع أحد أقاربي - زميله - عارضاً عليّ أن أتعاون مع المخابرات المصريّة، فقلت له: روح قول له: عيب، عيب. أولاً: أنا مش من هالنوعية. ثانياً: خليه يجي بكره الساعة ١٢ عالدايرة يأخذ المعلومات اللي بده إيّاها، أنا بالسّر ما بشتغل، قل له: عيب، وأنا بستغرب كيف أنت تيجي معه).

وقال إبراهيم غرايبة في «جريدة العرب» العدد (٧٧١٤)، الموافق الأحد ٢٦ يوليو ٢٠٠٩ م، الموافق ٤ شعبان ١٤٣٠ هـ: (ظهر نجيب جويفل بعد ما أمضى

(١) «مذكراتي»، نذير رشيد، مدير المخابرات الأردنية الأسبق، ص ٥٢.

سنوات في الأردن وسورية والكويت- باعتباره أحد الإخوان الفارّين من عبد الناصر- ضابطاً برتبة عميد ثم لواء، يعمل بصفة رسمية دبلوماسيّة، منسّقاً مع الحركات الفلسطينية في الأردن، ثم في بيروت، وكان قد غادر عمّان في أزمة عام ١٩٧٠م على طائرة الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري، عندما حضر إلى عمّان في محاولة للتوسط بين الحكومة الأردنية والمنظّمات الفلسطينية، ثم عاد بعد ذلك لمصر واستقرّ بها حتّى توفّاه الله أواخر الثمانينيات تقريباً ٣/٦/١٩٨٧م).

وإذا، هذه نُبذة عما فعله جوفيل في كلّ من لبنان وسورية والأردن، أما في الجزائر فذكر البعض عن تأييده لابن بيلا حليف عبد الناصر ضد بومدين، مما دعا السلطات إلى القبض عليه وطرده.

ومما انفرد به الدكتور محمود جامع- فيما أعلم- في كتابه «وعرفت السادات» قوله: (... وبعد ذلك اكتشف عبد الناصر مؤامرةً لنسف المنصّة التي كان يشاهد منها استعراض القوّات المسلّحة يوم عيد الثورة أمام فندق هيلتون، وأن مدير المؤامرة هو نجيب جوفيل، واتّهم معه الضابط عبد القادر عيد مدير مكتب عبد الحكيم عامر، وآخرين. وقُبض عليهم وحوكموا وحُكم عليهم بالأشغال الشاقة، ولكن نجيب جوفيل هرب واختفى بسرعة البرق وظهر في لبنان، وتعتّبه أجهزة عبد الناصر، وحاولوا خطفه في بيروت ووضعوه في صندوق وشحنه إلى مصر، ولكنه اكتشف هذه الخديعة وفشلت الخطة، وعادوا إلى مصر دون تنفيذ مهمتهم).

هل عاد جوفيل يتآمر على عبد الناصر كما كان يتآمر له [كما جاء فيما ذكره الدكتور محمود جامع آنفاً]؟ لا أدري. وكلّ الذي أدريه أن الذي يعيش في ظلال الكتمان والسريّة والتآمر يُقال عنه الشيء ونقيضه، ولا ندري في كثير من الأحيان الصحيح من الكذب!

محاولة الانقلاب الناصري
١٩٦٢م



كان جلُّ اهتمام جمال عبد الناصر بعد الانقلاب العسكري في سورية [٢٨ / ٩ / ١٩٦١ م] إفشال الانقلاب، وعودة سورية ذليلةً تائبةً لطاعته وامثال أوامره وأوامر رجال أمنه.

وكانت السفارة المصرية في بيروت من أهم أوكار التآمر على نظام دمشق الجديد، ومن أشهر الجهات التي تستخدمها أجهزة أمن عبد الناصر: القوميون العرب، حزب البعث، الناصريون - وهم أقسام وليسوا قسمًا واحدًا - والانتهازيون الذين يبحثون عن مكاسب ويعلمون أن رجال الانفصال ضعاف ولا مستقبل لهم، وهم كذلك أقسام ولافتات، ومن هذه الأقسام شرذمة من الذين انشقوا عن الإخوان المسلمين وحافظوا على ارتباطهم بنجيب جوفيل، ونكتفي هنا بذكر اسمين من قادتهم، وهما: أنور حمادة، وعبد المجيد الطرابلسي. لقد أصبح حمادة والطرابلسي من الناصريين، مثلها مثل صاحبهما جوفيل، ثم صارا وزيرين في الحكومة الطائفية النصرية التي تعادي الإسلام والمسلمين، ولا أدري هل تمَّ ذلك بموافقة جوفيل، أم تجاوزاه فيما يرضي أهواءهما ويغضب الله؟!

وإذا كانت هذه الجهات هي التي تتآمر مع النظام المصري، فإن الذين يديرون شبكة التآمر في بيروت هم: عبد الحميد السراج، عبد الحميد غالب (سفير مصر في لبنان)، محمد نسيم (السكرتير الأول في السفارة)، ونجيب جوفيل.

رفعت سورية شكوى على مصر للجامعة العربية، وانعقد مجلس الجامعة في شتورا ببيروت للنظر في هذه الشكوى، وتألّف الوفد السوري من أسعد محاسن رئيسًا، وخليل الكلاس نائبًا للرئيس، وعضوية: أمين النفوري، وعبد الغني قنوت، وأديب الداوودي، وهيثم كيلاني، وأكرم الخطيب، وعبد الغني علّوني. أما الوفد المصري فترأسه أكرم ديري (سوري) وأعضاؤه: جادو عز الدين (سوري)، فتحي الحسين، إسماعيل صدقي متولي، عبد الحميد غالب (سفير مصر في لبنان)، طلعت صدقي (سوري)، توفيق حسن (سوري).

عُقد مجلس الجامعة في شتورا في منتصف عام ١٩٦٢ م تقريبًا، وفي عهد حكومة بشير العظمة، وكانت الصحف السورية تنشر وثائق الوفد السوري التي تدفع التآمر الناصري، ومما نشرته: دور نجيب جويفل في هذه الفتنة، وفي شقّ جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ م.

كان موقف الوفد المصري محرّجًا، فانسحب فجأة، وعُلّقت الجلسات، وإذا كان الطغيان الطائفي الباطني قد حال بيننا وبين بلدنا، فلا أجد إلا تقريرًا واحدًا نشره قائد الجيش عبد الكريم زهر الدين في مذكراته، وإليكم نصّ هذا التقرير:



مؤامرة نموذجية ضد نظام الحكم^(١)

تلقت شعبة المخابرات معلومات تفيد بأن فئات من داخل البلد، مدفوعة من الخارج، أخذت تعمل في الخفاء للقيام بحركة انقلابية تطيح بالوضع في يوم ٢٣ تمّوز ١٩٦٢م- وهو يوم عيد الثورة في مصر- واشترك في إعداد هذه المؤامرة كلّ من الناصريين، والبعثيين، والوحدويين الاشتراكيين، والقوميين العرب، والانتهازيين. وقد سعى هؤلاء إلى ضمّ صانعي ٢٨ أيلول إليهم. وهم عناصر عبد الكريم النحلاوي. فقد استغلّوا استياء النحلاوي وجماعته من قيادة الجيش التي أبعدت النحلاوي عن البلاد، وحالت دون دخوله إليها عندما تسلّل مرتين، فأعادت إبعاده إلى مركز عمله في الخارج مرّة أخرى.

ابتدأت القيادة بتتبّع خيوط هذه المؤامرة، منذ النصف الأول من شهر نيسان ١٩٦٢م، عندما حاول أحد عناصر المؤامرة استمالة الملازم الأول صفوان جبري- مرافقي- والرائد صدقي العطار الذي كان يمثل كتلة النحلاوي في القطعات المحاربة. تظاهر الملازم صفوان بتلبية طلب مستملييه، وأطلعني على موضوع المؤامرة، فطلبتُ إليه متابعة العمل حتى يتمكّن من كشف عناصر الحركة بكاملها. واستدعيت

(١) نقل الشيخ محمد سرور رحمه الله تعالى النص الآتي بطوله لأهميته ولما فيه من تفصيل والمصدر «مذكرات عبد الكريم زهر الدين» غير مشهور.

اللواء نامق كمال رئيس الأركان، واللواء وديع مقعبري قائد القوى الجوية وعضو لجنة الضباط، والعميد هاشم هاشم آغا رئيس شعبة المخابرات، والعميد أكرم الخطيب رئيس شعبة التنظيم والإدارة، وطلبت من الملازم صفوان جبري شرح الموضوع بحضورهم.

وبعد الاطلاع قرّرنا ربط هذا الضابط ورفيقه الرائد صدقي عطّار برئيس شعبة المخابرات مباشرة، ليتلقيا منه التوجيهات والتعليمات اللازمة. وفي الوقت ذاته طلبنا من هذين الضابطين موافاتنا بتقرير مفصّل حول تسلسل الحركة، فقدّمّا لنا التقرير التالي:

١ - طريقة اتصال النقيب^(١) مع بيروت:

زارني في ١٣ نيسان المدعو أنور حمادة للاستفسار عن صحتي، وكرّر الزيارة بعد أسبوعين، حيث تكلم عن زيارته لبيروت واتّصّاله هناك بالمدعو أبو عاصم (محمد نجيب جويفل) الذي يعرفني من قبل، وتكلم عن أوضاع الجيش والحالة العامة بعد ٢٨ آذار. وطلب مني السفر إلى بيروت لمقابلة (أبو عاصم) بناءً على رغبة هذا الأخير، ولكنني اعتذرت لصعوبة الحصول على إجازة إلى لبنان. وقال: إن الخلاص من البلبلة والفوضى واحتمال سيطرة الشيوعيين يجدر بالبلاد السعي لإعادة الوحدة على أساس سليم مدروس، وهذا لا يتحقّق إلا بتضامن جهود الضباط الناصريين معكم أنتم الذين ناديتُم بالانفصال يوم ٢٨ أيلول - على حدّ قوله.

وزارني كذلك يوم ١٣ ميس، وقال بأنّه سيسافر إلى بيروت، ولعلي أستطيع الحصول على إجازة وللحاق به إلى هناك.

(١) المقصود هو النقيب صدقي العطّار من كتلة النحلاوي.

وبتاريخ ٥/٤ تمكنتُ من الحصول على إجازة، حيث اتصلت بأبي عاصم في إحدى المقاهي^(١)، ودار الحديث حول الأسباب المباشرة لثورة ٢٨ أيلول، من سوء تصرُّف المصريين وتسَلُّطهم وشعورهم بالتفوق على السوريين في كلِّ شيء. فأجاب أنه كان بالإمكان معالجة ذلك بغير هذا الأسلوب، وأشار إلى الطريقة الوحشية - على حدِّ قوله - التي أُخرج بها المصريون من سورية.

وسألني عن الأوضاع، فقلتُ بأنها متوازنة، ولا يُحتمل طغيان فئة على أخرى. ولكنه قال بأن ذلك لن يدوم طويلاً؛ لأن الشيوعيين والعناصر الرجعية تتحالف لدفع سورية إلى هوة الاستعمار، وأنه لا يوجد في سورية رجال يستطيعون قيادة البلاد في مثل هذه الظروف. وقال بأنه لا يوجد سوى عبد الناصر بطلاً منقذاً ملهمًا... وكرَّر كلام أنور حمادة من وجوب انضمامنا إلى صفوف الضباط الناصريين لوضع حدٍّ للأوضاع السيئة التي آلت إليها البلاد بعد الانفصال... ثم انتقلنا إلى مقهى آخر، حيث التقينا بالمدعو أنور حمادة. ثم توجَّهنا جميعاً لتناول الغداء في دار المدعو محمد نسيم، سكرتير أول السفارة المصرية، بدعوة من (أبو عاصم). وهناك تكلم محمد نسيم بالتفصيل عن الزيارات التي قام بها الوفد العسكري السوري للقاهرة قبل ٢٨ آذار، لإقناعي بأن زعماء حركة ٢٨ أيلول كانوا يوافقون على إعادة الوحدة مع مصر من جهة، إذ أن أكرم الديري وجادو عزَّ الدين قد اجتمعا في ألمانيا بالعقيد عبد الكريم نحلاوي، ومهيب الهندي، والرائد فائز الرفاعي، حيث استعرضوا جميعاً ملابس حركة ٢٨ آذار، ثم ساد التفاهم بينهم جميعاً. وطلب مني محمد نسيم أن يبقى أمر هذه المقابلة مكتوماً تماماً، وقد طلبت منه مهلة أسبوعين للتفكير في إمكانية التعاون مع هذه الحركة.

(١) مقهى الغلاييني.

٢- اتّصال الملازم الأول^(١) مع محمد نجيب جويفل ومحمد نسيم في بيروت:

بتاريخ ٣/٦/١٩٦٢م وصلتُ إلى بيروت ولم يكن الاتّصال بنجيب جويفل صعباً. فقد استقبلني - وكأنه يعرفني من زمن بعيد- في محلّ عادل الجوهرى في شارع الحمراء ببيروت. ثم ذهبنا معاً إلى منزل في نفس الشارع حيث وجدنا محمد نسيم بانتظارنا، وقد جرى الحديث على غرار ما جرى مع النقيب. وقد أكّد محمد نسيم في هذا الاجتماع وجوب تناسي الأحقاد، وأن الرئيس عبد الناصر يرى ضرورة إعادة الوحدة لحفظ كيان سورية. وهنا سألته عن الضمانة لرقابنا باعتبار أننا شاركنا في حركة ٢٨ أيلول. فقال: بأن الرئيس كان قد قال لفائز الرفاعي بأن كلّ ضابط أخسره تربح إسرائيل مقابله ضابطين. كما استعرض بعد ذلك بنود الاتفاق بين عبد الناصر والوفد العسكري السوري الذي تمّ في أوائل شهر شباط ٦٢ وهي كما يلي:

١- لا يمكن البدء في مفاوضات الوحدة قبل الإطاحة بالأوضاع الدستورية والمجلس النيابي؛ لأن أعضاءه رجعيون قذرون.

٢- يُذاع بيان بعد ذلك يُعلن فيه ضرورة إعادة الوحدة مع مصر، ويردّ عبد الناصر على هذا البيان بالقبول.

٣- يُكلّف الأمناء العامّون بممارسة صلاحيات الوزراء ريثما يتمّ تشكيل حكومة تتولّى المفاوضة لأجل الوحدة، ويكون من أعضاء الحكومة: فريد زين الدين، راتب الحسامي، هاني الهندي، نهاد القاسم.

٤- يسافر وفد سوري إلى القاهرة لإجراء مفاوضات الوحدة، وتُعلن الوحدة من جديد، ويعود الوفد بنفس الوقت مع عودة عبد الناصر.

(١) المقصود هو مرافقي صفوان جبوري من كتلة النحلوي.

٥- يُعاد تشكيل الجيش السوري، ويعيّن أكرم الديري قائدًا له، ولا يُنتدب ضباط مصريون إلى الإقليم الشمالي إلا بشكل خبراء.

٦- الشروط التي تتمُّ بها الوحدة هي: جمهورية واحدة، ورئيس واحد، وعلم واحد، وجيش واحد، وأن تشترك الحكومة بالوزارات التالية: الخارجية، الحربية، التخطيط، الاقتصاد، وأن تكون الاشتراكية هي الأساس في الحكم.

وقد أشار محمد نسيم إلى أن القاهرة قد فوجئت بالعصيان الذي تمَّ في حلب إثر حركة ٢٨ آذار، كما فوجئ به الضباط القائمون بهذه الحركة.

وقد قلتُ له: بأن ضباط ٢٨ أيلول لا يقبلون فكرة الوحدة الفورية مع عبد الناصر بسهولة؛ لأن الموضوع بالنسبة لهم قضية حياة أو موت. واقترحت أن يكون المشير عامر، أو البغدادي، رئيسًا عوضًا عن عبد الناصر. فكان جوابه ساخرًا: (لسه بدري).

وفي اليوم التالي: كرّرت كلامي بوجوب إعطاء ضمانات كافية للضباط الذين يروُن في الوحدة خطرًا عليهم، فعرض عليّ أن أقابل عبد الناصر، فاستمهلته لاستطلاع آراء زملائي.

وقد سرد لي بأن هناك بعض الضباط الناصريين لا يزالون في السجن أمثال: محمد عمران، ومصطفى الحافي، ومناف الهندي، وأن البعض الآخر مُلاحق ومُهدّد بالسجن في كلّ لحظة، مثل: نوفل الهندي، وأحمد الترماني، ومحمود المطعم. ولدى ذكر اسم هذا الأخير قال نجيب جويفل: بأن لديه كتلة من الضباط الصغار يمكن الاعتماد عليها.

وفي اليوم الثالث، طلبت التعرّف على الضباط الوجدويين؛ كي ينسق العمل

معهم، فعُدَّ بعض الأسماء وهي: مناف هندي، نوفل هندي، مصطفى الحافي، محمود مطعم. وطلب مني الاتصال بأحمد الدايه ليوصلني بمحمود مطعم، وإن كلمة السرِّ مع أحمد الدايه هي: (يسلم عليك أبو ياسر سافر لعنده). كما ذكر عددًا آخر من الضباط الناصريين يمكن لنا أن نتعاون معهم، وهم: أحمد الترماني، وعبد الكريم العاص، والملازم الأول محمد علي الرفاعي، والمقدم معن صيادي، والعقيد عدنان الشويكاني، والعقيد حسن جلاغي، والمقدم أحمد المصري.

وقد طلبت اسم ضابط لِيُعَيَّن كرئيس للفرع العسكري في شعبة المخابرات، فعرضوا الأسماء التالية: توفيق مخلوف، وفهد الشاعر، وعثمان كنعان، وعمر المصري، وتركبي التركاوي، ومأمون تحسين، وزيايد الحريري؛ الذي وصفوه بأنه قد وافق على العمل من أجل الوحدة مقابل مركز حسَّاس يصل إليه. وقد كان جوابهم بالإيجاب لما عرضت عليهم اسم ممدوح جابر.

كما سرد أسماء عدد من المدنيين بناءً على طلبي، وعلى رأس هؤلاء: هاني الهندي الذي يمكن بواسطته التعرُّف على الآخرين، أمثال: عماد الحراكي، وحسن عبيد، وراتب الحسامي، ونهاد القاسم. ولما طلبت معلومات عن جاسم علوان قال: بأنه لا زال في سورية وسيظهر في الوقت المناسب. كما ذكر اسم سامح السباعي، وفؤاد بريك، ورمزي بدران، وعارف الخطَّاب، ومحمد السهلي، وفرج مراد، وياسين سرحان.

وانتهت المقابلة على أساس اللقاء بعد أسبوعين؛ لإعطائهم نتائج اتصالاتنا مع زملائنا ومدى استجابتهم للعمل.

اتَّصال الملازم الأول صفوان جبيري مع هاني الهندي والضباط القوميين العرب:

بتاريخ ٦/١١ حاولت الاتصال مع هاني الهندي دون جدوى. فاتصلت مع نوفل هندي وقلت له: بأنني أحمل رسالة لهاني. وأبديتُ رغبتني في إبلاغ الرسالة بنفسني. ثم لمّحت له بأنني كنت في بيروت. وبعد أن أقسم لي بالكتمان تكلمت معه عن ثورة ٢٨ أيلول، وأن الغاية منها هو تصحيح الأوضاع دون الوصول إلى الانفصال، وأظهرت له أنني نادم على ما جرى، وهنا بدا عليه السرور، وراح يطريني بعبارات المدح والثناء على الروح القومية التي أتخلّى بها.

وقد اتفقنا على وجوب العمل بطريقة الخلايا، وأن ندخل الطمأنينة في نفوس ضباط ٢٨ أيلول، حتّى يؤيّدوا الحركة الرامية الآن لإعادة الوحدة، ولما طلبت منه أن يوصلني بمحمود مطعم، قال: إنه يعمل معنا بشكل جيّد، ولكنه حذر ولا يستطيع الإنسان كشفه بسهولة. فاتصلت مباشرة بمحمود مطعم، وطلبت إليه أن يبلغ أحمد الدايه بأنني أحمل رسالة إليه، فتساءل عن مدى معرفتي به، فقلت: لا أعرفه، كلّ ما هنالك أني أحمل رسالة إليه من بيروت. وقد بدا عليه عندئذ الاضطراب.

وفي ٦/١٢ اتّصل بي هاتفياً المدعو هاني الهندي، واتفقنا على اللقاء مساءً. كما اتّصل بي المدعو أحمد الدايه (بناءً على تبليغ محمود مطعم له بذلك) الذي أبلغته ضرورة السفر إلى بيروت لمقابلة أبو ياسر «كلمة التعارف».

وفي اليوم التّالي اتّصل بي أحمد الدايه مرّة ثانية، وطلب مني أن أبلغ محمود مطعم الجملة التالية: (بلغ محمود وجوب عدم مطالبة القائد العام بثمان بطاقات الحفلة، واعتبارها تقدمةً من أحمد الدايه إلى القائد العام). وكان ذلك بمثابة تعارف بيني وبين محمود مطعم.

اللقاء بين الملازم الأول صفوان وهاني الهندي:

وفي مساء ٦/١٢ تمّ اللقاء بيننا، واستعرضنا ذكريات ٢٨ أيلول وزياراته المتكررة بعد ذلك للعقيد عبد الكريم النحلاوي، وقد فاتحته مباشرة بأن محمد نسيم يهديه أطيب التحيّات من بيروت. فبدت عليه الدهشة، ولكنني تابعت عرض ما تمّ بيني وبين محمد نسيم في بيروت. وعندئذ قال: بأن استقلال البلاد في خطر، وأن على العناصر المتحررة أن تقوم فوراً لتحقيق وحدة فورية مع مصر، وأن هناك مؤامرة أطلعه عليها القوميون العرب في الأردن ضد سورية.

وقد بيّن المذكور بأنه لا يتّصل مع الضباط، وأن عمله ينحصر في الوسط المدني، ولكن أخويه نوفل ومناف على استعداد لتقديم كل مساعدة أريدها. وحضر أثناء ذلك نوفل. فتابعنا الحديث عن طريقة العمل والتعاون بين الناصريين وضباط ٢٨ أيلول. وتفرّقنا على أن نعاود الاجتماع يوم الجمعة في ٦/١٥ الساعة العاشرة والنصف مساءً في «أبورمانة».

وفي التاريخ المحدّد تمّ اللقاء مع نوفل الذي طلب مني اقتراح اسم ضابط غيري يمثل ضباط ٢٨ أيلول للقاء معه أولاً، ثم يعرفه على قيادته ويوصله بها. وقد ذكر أثناء الحديث اسم فايز عيد على أنه من الناصريين، وأن هشام نشاوي هدّده بافتضاح أمره أمام القيادة عندما حاول الاتّصال به لقيام حركة لصالح الوحدة. كما تعرّضت له محذراً من استمرار الاتّصال بينه وبين توفيق دمشقية. وعندئذ قال: بأن شخصاً أخبره هاتفياً بضرورة ذلك، وإن توفيق قد أعلم القيادة إثر اتّصال نوفل الهندي به ودعوته للعمل معه من أجل القيام بحركة لإعادة الوحدة. وقد أكّدت له ضرورة اجتماعي مع قيادة الضباط الناصريين، فأكد عدم ضرورة ذلك، وأن أرشّح

غيري لذلك. وافترقنا على أن نلتقي يوم الثلاثاء الساعة التاسعة أمام دار المعلمات ومعني الضابط الذي رشّحته لذلك.

اللقاء مع أنور حماده:

وفي ١٤/٦ حضر الأستاذ أنور حماده من بيروت، ودار الحديث التالي:

قال أنور: بأنه سيسافر يوم ١٥/٦ إلى بيروت مصطحباً أحمد الدايه، ومحمد الخطيب، وربما اصطحب محمود مطعم؛ لإحضار أجهزة لاسلكية، وقال: بأن محمود يؤمّن التصاريح بدون تاريخ وخالية من الاسم. وقد استعرضنا تشكيل قيادة من مدنيين وعسكريين تشرف على أوجه نشاط الحركة وقيادتها إلى غاياتها، وتنسيق العمل ما بين كافة الفئات التي تعمل لإعادة الوحدة، كجماعة هاني الهندي، والقوميين العرب، وغيرهم. وأشار بهذه المناسبة بأنه على صلة جيّدة بالمدعو سعيد السوّاس، وأن نقابات العمل في المنطقة الشمالية قد تمّ تأمينها، وأن هناك تعاوناً وثيقاً يتمّ بينه وبين عدد من ضباط المباحث السابقين، أمثال مدير مباحث حلب واسمه يوسف، وكذلك بعض عناصر من اللاجئيين العراقيين والأردنيين الذين تتوفّر لديهم الأسلحة والمتفجّرات منذ ثورة الشوّاف.

اجتماعات يوم ٢١/٦ مع محمد نسيم ونجيب في بيروت:

تكلم سكرتير السفارة محمد نسيم، فنوّه بالأخطار المحدقة بسورية، وأن المؤامرات تُحاك ضدها من قبل العناصر الرجعية الاستعمارية، وأن الزمن ليس لصالحها. وأشار إلى المؤامرة الأردنية على غرار ما سبق أن تكلم به هاني الهندي، كما أضاف بأن هناك أيضاً مؤامرة سعودية بطلها زهير الصلح، وأسمعنا تسجيلاً عن المحادثة التي تمّت بين العقيد المتقاعد زهير الصلح والمنتدب السعودي. وانتهى اجتماع هذا اليوم على أن نلتقي في اليوم التالي في منزل محمد نسيم.

وفي الموعد المحدد بيوم ٢٢/٦ تمّ الاجتماع بحضور محمد نسيم ومحمد نجيب جويفل، وطلبنا منه تشكيل قيادة موحّدة للعمل في سورية من أشخاص يرشحونهم بمعرفتهم، يكون أحدنا في هذه القيادة، وذلك خوفاً من وقوع أيّ سوء تفاهم في المستقبل نتيجة عدم وجود الارتباط الوثيق بين كافّة العناصر الناصرية. وقد كان جوابه بأنه قد اتّصل بالقاهرة وأعلمها عن وصولنا.

وقد طلبتُ منه استيضاح بعض النقاط ومناقشتها معنا. ثم بسط أمامه مخطّطاً تقريبياً لتوزيع القوّات العسكرية في سورية. وعلى طرف هذا المخطّط دُوّنت النّقاط الواجب دراستها معنا وهي:

أ- الموقف العسكري العام:

وقد طلب منا هنا الادلاء بمعلومات عن كافّة القطاعات وألوية الجيش بالتفصيل: قطعة قطعة، ولواءً لواءً. وبحث أوضاع واتّجاهات الضُّباط في هذه القطاعات. ومن خلال هذا الكلام فهمنا أن لهم في اللواء (١٨) بعض العناصر المؤيدين، إلا أن موقفهم أصبح ضعيفاً بعد اعتقال ممدوح الشيشكلي. وفي اللواء (٧٠) يوجد نسبة كبيرة من الضُّباط الصغار مؤيّدة لهم. وإن عبد الكريم العاص قد صرّح نقلاً عن محمود مطعم بأنه سيمنع صهره اللواء نامق عن أية حركة عند الضرورة، أو في حالة معارضته للحركة، وأنه على استعداد لتوقيفه في مكتبه إذا لزم الأمر.

أما في منطقة الجبهة فقد أشار إلى وجود عدد من الضُّباط الناصرين، عدّد منهم: نوري الجسري، توفيق مخلوف، سعيد سنان، رمضان بشار، تركي تركاوي. واستنتجنا من كلامه حول هذا الموضوع أن قوتهم تنحصر في الوحدات التي هي خارج منطقة دمشق.

ب- سؤاله عن نشاطنا خلال الأسبوعين المنصرمين:

ثم انتقل إلى محاسبتنا عن مدى نشاطنا خلال الأسبوعين المنصرمين، وعن اتصالاتنا وما أنجزناه من أعمال، وكان جوابنا بأننا نقوم بالتحضير النفسي لقبول عبد الناصر رئيسًا للوحدة الجديدة، وبيننا صعوبة التصريح العلني بأهدافنا.

ج- القيادة العسكرية والمدنية:

وقد بين وجوب التخلص من قيادة الجيش الحالية بأسرع ما يمكن، إذ ليس بالإمكان التفاهم مع عناصرها إطلاقاً، وعلى الأخص: أكرم الخطيب، وهاشم آغا، وخليل الموصلي، ووصفهم بأنهم شيوعيون، وأنهم يشكّلون ثلاثياً خطراً يشرف على توجيه الجيش. وتساءل عمن يجب أن يكون قائداً للجيش في المستقبل. وطلب منا إبداء الرأي في أكرم الديري، فوافقنا على ذلك، على أن يترك ذلك لدراسته وإبداء الرأي فيه في اجتماع مقبل.

أما في الأوساط المدنية فقد كتب على هامش الورقة التي أمامه الأسماء التالية: أمجد الطرابلسي، عبد الصمد الفتيح، عماد الحراكي، راتب الحسامي، صلاح الخربطلي، صلاح البيطار، حسن عبيد، مصطفى رام حمداني. وطلب رأينا بهؤلاء كوزارة مقبلة، وعن صلاحيات الوزارة ومسؤولياتها، حتى لا يقع أي سوء تفاهم بين العسكريين والمدنيين عقب الانقلاب، فأبدينا رغبتنا بعدم التدخل بالشؤون السياسية بعد الحركة.

د- كيفية سير العملية:

وقد جرى البحث هنا عن الاعتقالات الواجب إجراؤها، وإن ذلك مهم ويجب دراسته بشكل واف؛ لأن نجاح العملية يتوقف على اعتقال كافة العناصر المناوئة. وأبدى تخوفه من احتمال فرار القيادة الحالية إلى مكان آخر غير دمشق لمقاومة الانقلاب.

وتكلّم نجيب قائلاً: بأن الشرطة العسكرية تؤمّن موضوع الاعتقالات؛ لأن محمود مطعم على صلة بعدد من ضباط الشرطة العسكرية، ذكر منهم ماجد شكري، وعدد من الضباط الصّف. وقد طلبتُ إرجاء البحث في ذلك لاجتماع قادم مع محمود مطعم وإقرار هذا الموضوع بمعرفته.

كما جرى البحث في البيانات التي تصدرها الحركة لدى قيامها. وأنفقت وجهات النظر على أن هاني الهندي جدير في إعداد مثل هذه البيانات. أما من حيث توقيت العملية فقد طلب الإسراع بالقيام بالحركة؛ لأن الزمن - على حدّ قوله - ليس بصالح سورية. وأنه يريد أن يتمّ ذلك قبل ١٠/٧/١٩٦٢ م.

وفي آخر الاجتماع قال: بأنه سيعرض ما توصّلنا إليه على المسؤولين في القاهرة، وسيسافر لهذه الغاية بعد يوم واحد.

اجتماعات ١٩٦٢/٦/٢٨ في بيروت:

وقد بدأنا في هذا الاجتماع بالشكوى من الضباط الناصريين الذين لم يثقوا بنا حتى الآن، وأنه يجب إيجاد حلّ سريع لذلك، لإحلال الثقة فيما بين العاملين محلّ الشك. وأن نشاط عبد الله شيخ عطية قد ترك أثراً سيئاً إثر اتصالاته مع بعض الضباط، وتصريحاته لهم بأنه يريد القيام بحركة في سورية هدفها إقامة اتحاد فيدرالي مع مصر.

وهنا قال: بالفعل هناك شكاوى من الضباط الناصريين ضدّنا، وأن هؤلاء يحذرونه من التعاون معنا. وهنا بيّنا له بأن توقيت العملية في ١٠/٧/١٩٦٢ م سيكون مبكراً جدّاً، إذ لم يتم تبادل الثقة والتعارف بين كافّة الفئات. وأنه إذا ما كنتم مصمّمين على هذا التوقيت فإن النجاح أمر مشكوك به كثيراً. وقد أصرّ على التوقيت؛ لأن تعليمات الرئيس تقتضي ذلك. وأدّى لي المقترحات التالية:

قال: بأنه اجتمع في القاهرة مع كافة الوزراء السوريين العسكريين الموجودين هناك، وبحث معهم الأمر مُطَوَّلًا، وإن مقترحات أكرم الديري هي:

١- تقوم الوحدات المكلفة بواجب الأمن في دمشق باحتلال المرافق العامة والإذاعة، وتطويق القيادة، وتنفيذ الاعتقالات. وتذيع بيانًا تطلب فيه عودة الجمهورية العربية المتحدة وإنهاء الانفصال. وتردُّ القاهرة - بالطبع - مؤيِّدة ومرحِّبة. كما يرسل الضباط الناصريون تأييدهم للحركة من كافة المناطق عقب إعلان ذلك من الإذاعة. وأيد السراج هذا الرأي وقال: يكفي احتلال الإذاعة وإعلان هذا البيان حتى يكون مفاجأة للقوى الرجعية والاستعمارية في سورية، بحيث لا يتسنى لها الوقت اللازم لمقاومة الحركة، وأن تتصرف قبل مضي ثلاث أو أربع^(١) أيام.

٢- الحلُّ الآخر: أن تقوم عدَّة حركات عصيان في مناطق متعدِّدة. إلا أن السراج لم يؤيد هذا الرأي. وقال: إن الحركة يمكن تحقيقها ولو على مستوى الإذاعة فقط. وقد علّق محمد نسيم على ذلك بأنه في كلا الحالتين لا بدَّ أن يكون للقاهرة علم، حتى تقوم بدعم الحركة والتدخل في الوقت المناسب إذا لزم الأمر.

إلا أننا لم نوافق على هذين الحلَّين، وأبدينا سخطنا من هذه الحلول غير المجدية. وقلنا: إننا لا نوافق إلا على أساس العمل الواضح الذي يؤمِّن التعاون بين كافة العناصر... لأننا نعتقد أن هدفهم من هذه الحلول الاستفادة من كافة العناصر، ومن ثم ضربها ببعضها واحدة تلو الأخرى، حتى يفرغ لهم الميدان وتتمَّ سيطرتهم - وحدهم - على الأوضاع. أو لعلهم كانوا يريدون اختبار مدى صدقنا وتحمُّسنا للحركة بدفعنا للقيام بها لوحدنا، وإيهامنا بأننا الأصل في العملية.

(١) كذا في المصدر، والصواب: ثلاثة أو أربعة.

وقد شكّونا من صعوبة الحضور إلى بيروت بشكل متتابع، وطلبنا تأمين منطقة على الحدود تتم فيها اجتماعاتنا، وتأمين الاتصال بواسطة الأجهزة اللاسلكية. واقترحنا عليه منطقة دير العشائر، فقال: بأنه سيشاور شوكت شقير بذلك، على اعتبار أنها من مناطق النفوذ لكمال جنبلاط. ثم افترقنا لتحديد موعد مع شوكت شقير يتم فيه بحث هذا الموضوع.

وفي اليوم التالي ٢٩/٦/١٩٦٢م ذهبنا إلى دار شوكت شقير، فاستقبلنا في مكتبه الخاص. والتفت إلى محمد نسيم قائلاً: جماعتكم ضعيفة جداً على الحدود. هلكنّا حتى أمنا الرسالة بالأمس... وقال: بأن كمال بك على استعداد لوضع عناصر الحزب الاشتراكي تحت تصرّفكم. وقد عرفه محمد نسيم علينا بأننا من سورية، وإننا بحاجة إلى نقاط لكي يتم بها اللقاء على الحدود. وقد ردّ شوكت شقير بأنه يفضل منطقة «بعلبك سرغايا»، فهي أضمن وطنياً وقومياً، وأن عباس اليافي عضو الحزب الاشتراكي في المنطقة يمكن أن يحقق مثل هذه الاتصالات بحماية الحزب، وقد تمّ الاتفاق على أن يتّصل شقير بعباس اليافي ويبحث معه الموضوع ويردّ النتيجة لمحمد نسيم، ثم إلى دار نجيب. وقد استجاب لدعوتنا في الركوب بسيارتنا. وفوجئنا أمام منزل نجيب بخروج النقيب خيرى الحاج ياسين، ومعه المدعو أحمد السيّد.

وشرع محمد نسيم بكتابة رسالة إلى هاني الهندي يحثه فيها على التعاون معنا، ويؤكد له وجوب الثقة والاطمئنان إلينا.

وقد بيّنا له وجوب توزيع الأموال لضمان نجاح الحركة، فرحّب بالفكرة. وقد استعرضنا مع نجيب حديث الأمس مع محمد نسيم مصرّين على عدم ارتباطنا لفقدان التعاون مع بقية العناصر الناصرية. وأن ما تمّ بين الملازم الأول (صفوان) ومحمود مطعم لا يعتبر بمثابة تعاون، بل هو مجرد تعارف لا أكثر. فأجاب محمد

نجيب بأن من الواجب تجميد الاتصال مع مطعم في الوقت الحاضر، وذلك لأن أحمد الداية يصرُّ على عدم التعاون معنا؛ لأنه لا يثق بنا مطلقاً. ومن جهة أخرى فإن لمحمود مطعم مركز هام^(١) في القيادة، ويجب أن لا ينكشف أمره، ويخشى بكثرة الاتصال به أن يُكتشف أمره.

ثم أكَّدنا طلبنا لجهاز لاسلكي فلم يُبد موافقته. وطلبنا أسماء الذين لهم صفة القيادة، والذين يعتمدون عليهم بصورة رئيسية، فأجاب نسيم بأن الدكتور سامي الجندي، وهو من أركان حزب البعث، كان صلة الوصل مع الضباط الكبار الذين يشكِّلون حلقة تتكوَّن من: زياد الحريري، توفيق مخلوف، حسن جلاغي، فهد الشاعر، عثمان كنعان، عبد الكريم سوادي، نوري الجسري، أديب قاضي ريجا، عبد الرزاق دردري. وقال: بأنه لما أُلقي القبض على سامي الجندي (بتهمة تهريب جاسم علوان، والقيام بنشاط ناصري، وتوزيع أموال)، فقدت هذه العناصر اتِّصالها مع بقية الحلقات. وكُلِّف صيَّاح عامر بهذه المهمة بدلاً عن سامي الجندي، ووعد محمد نسيم بتأمين الاتصال مع هؤلاء قريباً وتعريفنا عليهم والتعاون معهم.

ثم عدنا بالسيارة لتوصيل محمد نسيم إلى سيارته الموجودة أمام منزل شوكت شقير. وخلال الطريق تمكَّنا من تسجيل الحديث الذي دار بيننا، وتضمَّن الحديث عن الحلقة الرئيسية والمبلغ الذي سيدفعه لنا. ثم عدنا ثانيةً إلى محمد نجيب، فسألنا المبلغ. وافترقنا على أن يوفد إلينا مندوباً من طرفهم يوم الأربعاء المقبل يحدد لنا مكان الاجتماع المقبل على الحدود، ولم يحضر المندوب يوم الأربعاء ٥ / ٧ / ٦٢^(٢) وصادف

(١) كذا في المصدر، والصواب: مركزاً هاماً.

(٢) كذا في الأصل، ولا يستقيم مع ما سيذكره من تواريخ بعده، فالأظهر أن يوم ٧ / ٥ كان يوم خميس. وأن يوم ٧ / ٧ يوم السبت.

يوم الخميس عطلة طارئة، لذلك لم يتمكن المندوب المذكور من إبلاغ الرسالة ومكان الاجتماع ووقته على الحدود إلى الملازم الأول. ولذلك فقد حضر كل من: محمد نجيب، ومحمد نسيم، إلى المكان المحدد على الحدود يوم الجمعة في ٧/٧ دون أن نستطيع الاجتماع بهما. أما مكان الاجتماع فهو مزرعة (تمين دره)، غرب رنكوس، بحوالي ١٧ كم، وهي مقابل قرية (حام) اللبنانية. أما الرسول فيُدعى جميل سرسق الذي يعمل في المزرعة المذكورة. وقد جاء يوم السبت حاملاً الرسالة المرفقة وسلمتها إلى الملازم الأول، وذهبنا برفقته إلى برزه، حيث كان ينتظرنا ابن عمه المدعو محمد سرسق، وكان معه مجموعات الصحف التي تشير إليها الرسالة. وقد وصف لنا هذا الأخير الشخصين اللذين حضرا يوم الجمعة إلى الحدود، وأوصافهما تنطبق على محمد نسيم ومحمد نجيب جويفل. وكان برفقتهم شخص لبناني اسمه عباس الياغي، وهو الشخص الذي كلّفه شوكت شقير وكمال جنبلاط، وهو من الحزب الاشتراكي.

وقد أكّد لنا محمد سرسق بأن المكان المحدّد على الحدود آمن تماماً، وأن لديه بعض الأسلحة يمكن استعمالها إذا اقتضت الحاجة. ثم سلّمناه رسالة مقفلة حسب ما طلبه محمد نسيم في رسالته، وحدّدنا موعداً للاجتماع يوم الثلاثاء المقبل. وقد اضطررنا لتأجيل الاجتماع فيما بعد إلى يوم الجمعة المقبل، وأبلغنا ذلك للرسول في رنكوس. إلا أنه [في] حوالي الساعة العاشرة من يوم الخميس اتّصل بنا شخص من طرف محمد نسيم يبلّغنا فيه اعتذار الأخير عن الحضور إلى الموعد المحدّد. كما اتّصل بنا مساءً محمد نجيب هاتفياً، وأبلغنا أن محمد نسيم مريض ويعتذر.

وبذلك فقد سافرنا في اليوم التالي، أي يوم الجمعة ١٣/٧. وقد لاحظ (الرائد) أن نسيم في حالة يائسة. وقد سألته عن الأحوال وعن سبب عدم حضورهم إلى الموعد المحدّد، فقال محمد نسيم: إنه لاحظ ازدياد الحراسة على الحدود من قبل لبنان،

وأن الصحف تتحدّث عن تسلُّل على الحدود. ثم تكلم عن حركات العمّال الأخيرة قائلاً: إنه لو تمّ دعمها من قبل الجيش بكتيبة أو كتيبتين لكان تمّ تنفيذ الخطة المتفق عليها للإطاحة بالحكم في سورية بكلّ بساطة، وأن الشعب على استعداد لتقبُّل مثل هذه الحركة. وقد استنكرتُ ذلك، وقلت: ما دام الأمر بهذه البساطة فلماذا لم تبدأ بقية العناصر الناصرية بحركاتها؟ وهاجمتُ هذه الفكرة بشدّة، وقلت: إنها ستؤدي إلى مذبحه رهيبة. وقلتُ: بأننا لا يمكن أن نقوم بأيّ عمل ما لم يتمّ تشكيل قيادة كما تمّ الاتفاق سابقاً، وإيجاد التعاون بيننا وبين الفئات الأخرى، وأن تسير كافّة هذه العناصر على طريق واحد لهدف واحد. وأن التورط بعملية من هذا النوع إذا لم تُعدّ لها العدّة الكافية ستكون وبالاً على الوحدة والعاملين لها في البلاد، كما تكون قضاءً على العناصر الناصرية وعلينا جميعاً.

وقد أكّد لي أن سبب كلّ ذلك هو عدم توفّر الثقة فيما بين هذه العناصر، وأن من واجبنا نحن أن نبادر أولئك بهذه الثقة. وقال: بأن بعض الأشخاص الذين كنت قد رشّحتهم للعمل هم غير أهل بالثقة. وقال: أمثال توفيق دمشقية الذي أفشى ما دار بينه وبين نوفل هندي إلى القيادة، وأمثال نسيب عروس الذي وقف موقفاً مناهضاً للناصرية في مناقشة دارت بينك وبين عبد الوهّاب رحون ونسيب، وقد أثنى عبد الوهّاب عليك وكان معجباً بأرائك الوجدانية. وقد فهمت فيما بعد أن طريق تسرّب هذه المناقشة إلى محمد نسيم هو تقارير من هاني الهندي، وأن الذي نقل إليه أمر هذه المناقشة هو عبد الوهّاب رحون. وقال: بأنه وصله تقرير من هاني الهندي عن المقابلة التي تمّت بينه وبين الملازم الأول صفوان، وقد طلبتُ منه مشاهدة هذا التقرير، فأجاب بأنه في السفارة وسيطلعني عليه بعد الاجتماع. وقد رشّح لي عوضاً عن نوفل - الذي لم تتوفّر الثقة بيننا وبينه - عبد الوهّاب رحون. لكنني طلبت

غير هذا الأخير؛ لأنه صديقي ومتفاهم معه. عندئذ قام وأحضر لائحة ببعض الضباط، أخذ بسرد أسمائهم، وهي: توفيق مخلوف الذي كُلف من قبلهم بالاتصال بي، وسبق لهذا العقيد أن حمل رسالة من جادو عز الدين إلى العقيد نور الدين كنج، الذي طلب منه إبلاغ القيادة، فرجاه توفيق أن يبقى الموضوع سرًا. وقد سردي هذه القصة محمد نسيم، (تطلب الرسالة من العقيد كنج الذي احتفظ بها).

وتابع سرد الأسماء: فهد حوراني، عبد الواحد حاج عمر، سعيد سنان، مأمون تحسين، تركي تركاوي، أديب قاضي ريجا، (وهنا ألح عليّ بالاتصال بهذا الأخير؛ لأنه في قطننا وقريب مني)، وغالب نصّار، زياد رفاعي، نوري الجسري، عبد الستار حسامي، محمد صادق الحاج، (وقال هنا: بأن مساعٍ تجري لنقل هذا الأخير إلى دمشق)، سهيل الحسن، محمد السهلي، عارف الجاجه، شحود عطاسي، عمر طه (الذي قال عنه بأنه صديق لمناف، وأنه يعرفني لكن ثقته بي ضعيفة)، وياسين سرحان، وبدوي بيازيد، وجلال الجهني، وفؤاد بريك، وسامي الزعبي، وكمال هلال، (وقال: بأن هذا الأخير يمكن الاعتماد عليه، وهو في دمشق، ورتبته كبيرة)، وخالد بدوي، وعبد الرزاق بركات، وإبراهيم نور الدين، ومحمد أحمد، ومحمد علي الرفاعي، وهلال الأصفري، ورمضان بشار (الذي قال عنه: بأنه مرافق اللواء نامق، ويمكن للملازم الأول أن يتفاهم معه بسهولة). ولما سألته عن الصلة بين هؤلاء جميعًا، وهل لهم تنظيمات؟ فقال: إن بعض هؤلاء منظم في حلقات، والبعض الآخر يعمل بشكل إفرادي. وأبدى أسفه لسبب عدم توفر الثقة، وضرب مثلاً أن بعض من استلموا رسائل من أكرم الديري قد أبلغوا القيادة، ومنهم علي كيلاي. وهنا حضر نجيب جويفل الذي ألح على ضرورة الإسراع بالقيام بالحركة، ولو لم يتحقق التعاون بيننا وبين بقية العناصر، وأنهم عندئذ سينظمون العمل لهذه الفئات كل واحدة على

حدة، وذلك أكثر سرّية وأكثر ضمانةً للنجاح. وأكّد ضرورة إعلامهم عن نتيجة عملنا حتى يوم الثلاثاء برسالة يحملها رسول من قبلنا. ثم دار حديث طويل بيننا عما يدور في دمشق، فذكر أن عربات مدرّعة يتراوح عددها بين ٣٠ - ٣٤ مدرّعة تحرّكت وتمركزت في دمشق يوم الأحد الماضي (يقصد تحرّك الكتيبة ٤٢ من المعسكرات إلى المعرض في دمشق).

ثم أبدى استياءه لتسرّب أنباء اجتماع جادو وأكرم الديري مع الضباط في ألمانيا. ووصف عبد الكريم نحلاوي بأنه رجل شديد الحذر. وقال: بأن أكرم الخطيب علّق على هذا الاجتماع بقوله: ليتصلوا لنشوف نتيجة هذه الاتّصالات، وأنهم لن يستفيدوا شيئاً. وقال: بأن القيادة كانت بحثت موضوع تسريح هؤلاء الضباط، لكنها عدلت عن ذلك، وتفكّر بنقلهم إلى الخارجية.

وفي ختام الجلسة ذهبنا إلى السفارة، حيث أطلعني على تقرير هاني الهندي المنوّه عنه سابقاً، وهو يتضمّن المقابلة الجارية بينه وبين الملازم الأول، وقد كتب في أعلى الورقة الأرقام ١٠٩-١١٩ مسلسل ١٦. كما تضمّن التقرير رأي هاني الهندي بنا، ويقترح عدم إجراء أيّ مقابلة بيننا، أو بين أيّ ضابط ممن اشترك في حركة ٢٨ أيلول وبين عبد الناصر، لأنه يعتبر ذلك تحدّيًا لشعور الوجوديين، وإذا كان لابدّ من إجراء اجتماع من هذا القبيل فليكن مع المشير.

وفي السفارة أيضًا سلمني أمر إشارة، والشيفرة والرموز، والتردد، لتأمين الاتّصال بواسطة جهاز لاسلكي نؤمنه من طرفنا. وأبدى تخوّفه من أن القيادة تنوي إجراء تنقلات بين صفوفنا لتشتيتنا، وينصح بالعمل السريع قبل وقوع ذلك.

المقابلة مع صيَّاح عامر ١٥ / ٧ / ١٩٦٢ م:

تمكَّنا من التعرُّف على صيَّاح عامر عن طريق صديق لنا هو النقيب بهاء اليماني، والتقينا به الساعة ١٧ مساءً، وقد أبلغه الملازم الأول صفوان عن اتِّصالنا بمحمد نسيم. فقال صيَّاح: بأنه سيسافر غدًا إلى بيروت. وقال: بأن قائد الجيش لا يريد الوحدة، وأن كلاً من سلامة عبيد وسلمان هنيدي قد زاراه بالأمس، وحاولا إقناعه بإعادة الوحدة دون جدوى. وقال: إن قائد الجيش أعلن أمامهما بأنه سيزور الجبل مع رئيس الجمهورية لرفع الستار عن نصب الشهداء. وقد حاولا إقناعه بالعدول عن ذلك؛ لأن الجبل لن يقبل أن يُرفع الستار عن النصب من قبل انفصالي... وصرَّح صيَّاح بأنه في حالة تصميمه على الذهاب إلى الجبل فإن العناصر الناصرية ستحول دون إتمام الاحتفال، بقذف بعض القنابل والمتفجرات.

وقد تعرَّضنا للكلام عن الضُّباط الناصريين، فأجاب بأن لديه مجموعة يمكن أن يعرفنا على بعض عناصرها، وعدَّد الأسماء التالية: محمد عمران (وقال: إنه سيعرِّفنا به، فهو خبير بالشؤون العسكرية)، ومن هذه الأسماء: وهيب الرفاعي، توفيق مخلوف، أديب قاضي ريحا، موسى الزعبي، عمر المصري. وطلبنا منه جمعنا مع جاسم علوان، فقال: بأنه موجود في حمص، وأن واسطة الاتِّصال به هي زوجة سامي الجندي. ووعد بإيصالنا إليه لتنسيق العمل معه. وقبل أن نفترق اتفقنا على كلمة سرٍّ بيننا بالهاتف وهي: (أبو سليمان عندي)، ويردُّ الملازم الأول على ذلك: (أبو أيمن هون).

المقابلة مع صيَّاح عامر في ١٨ / ٧ / ١٩٦٢:

وقد تَمَّت هذه المقابلة بعد عودة صيَّاح من بيروت. وكان بهاء الذي عَرَفْنَا به حاضراً هذه المقابلة. والتفت صيَّاح قائلاً لبهاء: هل اتَّصل بك أحد؟ فردَّ بأن مصطفى عمران سأل عنه في المنزل يوم ١٦ / ٧ مرَّتين في نفس اليوم دون أن يجده، فاتَّصل به يوم ١٨ / ٧. وضرب له موعداً يوم السبت ٢١ / ٧. وقال صيَّاح لبهاء بأن محمد عمران يريد مقابلتك لوحداً (والحديث مسجَّل). وانصرف كلُّ من بهاء وصيَّاح للاجتماع بمحمد عمران على انفراد.

اجتماع النقيب بهاء مع محمد عمران بحضور صيَّاح عامر:

وقد تعرَّض في الاجتماع للوحدة وأخطائها السابقة. وقال عمران: بأن عبد الناصر هو مجرد ديكتاتور، ويُستبعد أن يكون عميلاً أمريكياً كما يُقال. وطلب من بهاء أن يتعاون معه، ويبيِّن له بأن الكتلة البعثية قويَّة في الجيش في مناطق دمشق، وأن التعاون بين هاتين الكتلتين يؤدي إلى نتائج حسنة. فقال بهاء، وأكَّد: بأن البعثيين يسيطرون تمام السيطرة في حمص، وخاصةً اللواء الخامس. وتظاهر عمران بأنه لا يجبُّ الصلة مع القاهرة مباشرةً، وأنه يفضل العمل بدون توجيهاتها. وهو - في اعتقادنا - يقصد من وراء ذلك إلى هدفين: الأول أن يُظهر البعثيين بمظهر الأشخاص البعيدين عن الاتِّصال بعبد الناصر. وبالتالي أن يحتكر هؤلاء الاتِّصال بالقاهرة دون غيرهم. واعتقادنا هذا ناتج عن تصرُّفات صيَّاح عامر وأقواله التي سبق أن بيَّناها والمسجَّلة على شريط. وانتهى الاجتماع بعد تحديد موعد للقاء بين عمران والرائد.

اجتماع الرائد عطار وصيَّاح عامر بحضور الملازم الأول صفوان وبهاء في
السيارة بتاريخ ١٩ / ٧ :

في البدء اجتمع بهاء مع صيَّاح عامر الذي عرض نتيجة اتصالاته مع محمد نسيم
في بيروت، وعرض عليه بهاء الاجتماع بالرائد، فرحَّب بذلك، وحاول أن يتذكَّر
كلمة السَّرَّيين المصريين وأديب قاضي ريحا، ليعطيها إلى الرائد، حتى يتمَّ الاتصال
بينهما، لكنه لم يتذكَّر وترك ذلك لسفرة قادمة إلى بيروت.

ومتَّت المقابلة بين الأربعة المذكورين آنفًا، وجرى حديث مسجَّل. وقد
ذهبنا في النهاية إلى منزل سامي الجندي حيث تعرَّف الملازم الأول بزوجته،
واتَّفقا على الذهاب في اليوم التالي إلى حمص، للاتَّصال بجاسم علوان. وقد قام
بمهمة التعارف صيَّاح عامر.

السفر إلى حمص بتاريخ ٢٠ / ٧ / ١٩٦٢ م:

صباحًا وحوالي الساعة [٥:٣٠] غادرنا دمشق إلى حمص مصطحبين معنا
زوجة سامي الجندي، بغرض تأمين اجتماع مع جاسم علوان. وفي حمص قامت هذه
الزوجة يصحبها الملازم الأول باتصالاتها الخاصَّة بغرض تأمين الاتصال، فلم تفلح
بذلك حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، حيث أفادت بأن جاسم علوان ليس موجودًا
في حمص، ولو كان في حمص لتحقَّق هذا الاتِّصال، وغادرنا حمص حوالي الساعة
[١٥:٣٠] من نفس اليوم.

مراحل اتِّصال زوجة سامي الجندي لتأمين الاجتماع بجاسم علوان:

توجَّه الملازم الأول مع السيدة إلى منزل (أبو النور طيارة)، وصعدت السيدة
لوحدها إلى المنزل، ثم عادت بعد نصف ساعة لتقول بأن جميع الذين يعرفون مكان
جاسم علوان موقوفون. ثم اتَّصلت بالهاتف بمنزل زائري طيارة، ولكن زوجته لم

تعرف المكان أيضًا. فتوجَّهنا إلى منزل مدحت الفيصل، ودخلت السيدة لوحدها إلى المنزل، وبعد قليل خرجت ومعها زوجة مدحت الفيصل، وقالت: إن مدحت موجود في الدريكيش. ثم اتَّجه الجميع (الملازم الأول، وزوجة سامي، وزوجة مدحت) إلى منزل صالح التركاوي، وهنا اصطحبوا معهم زوجة الأخير، وتوجَّهوا إلى منزل فوز التركاوي، الكائن في جورة الشياح. ودخلت زوجة سامي ومعها زوجة صالح إلى المنزل، وخرجتا بعد قليل، وقالت زوجة سامي: إن (فواز) سيردُّ لنا الجواب الساعة الثالثة بعد الظهر. وافترق الجميع. وفي الموعد المحدد بعد الظهر قالت زوجة سامي: إن جاسم غير موجود في حمص، وأنه ربما كان في بيروت أو القاهرة.

المقابلة التي تمَّت بين الرائد وأنور حماده بتاريخ ٢٠/٧/١٩٦٢م:

في هذا اليوم وحوالي الساعة [٢٠:٣٠] جاءني أنور إلى المنزل وعلى وجهه علائم القلق، قال لي: لقد زارني هذا اليوم أحمد الداية مع بديع السيوفي، وكانا قلقين وخائفين، حيث علما أن القيادة على علم باتِّصالاتهم مع بيروت ونشاطهم لإعادة الوحدة مع مصر. وأخذ أنور يسرد ما دار بينهم في الاجتماع، فقال: قال أحمد الداية: إن محمود مطعم عندما استدعاه اللواء نامق قال له: (أهلاً بالناصري)، ففوجئ محمود، واتَّخذ من هذا التصريح دليلاً على افتضاح أمره، وأنه لا بدَّ من أن يكون الرائد والملازم الأول قد أعلما القيادة بذلك؛ لأنها يتمتَّعان بثقتها. وإلا كيف يفاجئه اللواء نامق بذلك في مثل هذا الوقت بالذات؟ ولماذا لم تُثر حوله الشبهات قبل معرفة الرائد والملازم الأول بحقيقته؟ وردَّ أنور على ذلك بأن محمود مطعم قد يكون هو نفسه يلعب هذا الدور، لما هو معروف عنه من حُسن صلاته مع العميد هاشم، فقد زاره العميد في منزله منذ ١٥-٢٠ يوماً بمناسبة فرح أخيه... الخ. وأنه حسب انطباعاته عن محمود مطعم لا يتوانى أن يقوم بمثل هذا العمل... الخ.

ثم، وقال بديع السيوفي: بأن المقدم عدنان نجار قد زاره هذا اليوم أيضًا، وكان منزعًا جدًا لما سمعه من اللواء نامق، حيث استدعاه بحضور العميد أكرم، وقال له: إن نشاطك للناصرية معروف، ونحن عارفين كل شيء. وأخرج لائحة أسماء أخذ يعددها له قائلاً: لقد كنا نود أن نحاسبك حسابًا عسيرًا... إلى أن... وإلا... ثم اقترح أحمد الدايه على أنور وبديع أن يعلموا القيادة بكل ما يعرفون تبريرًا لاتصالاتهم ومواقفهم السابقة، إنقاذًا لهم في المستقبل. ولكن أنور ردَّ على ذلك: إنك مغموس حتى أذنيك، وإن إخبار السلطات لن يجديك شيئًا الآن، وقد يكون هذا الكلام نوعًا من التهويش لا قيمة لذلك.

المقابلة التي تمت بين الرائد والملازم الأول وصيَّاح عامر يوم ٢٢ / ٧ / ٦٢:

اجتمعنا في اليوم المحدد حوالي الساعة ٢٠، وفي السيارة دار بيننا الحديث عن زيارة صيَّاح لبيروت، وإن محمد نسيم اعتذر عن تسليم جهاز لاسلكي حتى لا يكشف أمره على الحدود، وأنه ينتظر حصول الحركة خلال أسبوعين على الأكثر من تاريخ اللقاء الأخير مع الرائد في بيروت. وقال صيَّاح بأن محمد عمران على استعداد للاجتماع مع الرائد اليوم. وبالفعل ذهبنا سوياً إلى دار محمد عمران (مسجل).

المقابلة بين الرائد ومحمد عمران في ٢٢ / ٧ / ٦٢:

لاحظتُ قبل دخول الدار وجود بطاقة باسم عبدو حمصي على باب الدار. وبعد أن دخلت استقبلنا محمد عمران وجرى الحديث، فأبلغ عرض محمد عمران على الرائد عن وجوب تحديد النقاط للاتفاق والتفاهم. ثم قام وأحضر دفترًا كتب على بعض أوراقه رؤوس أقلام. وتكلَّم عن أهمية التعاون بيننا وبينهم (أي كتلة البعثيين)، وعن الوحدة ومفهومها وأسسها، وتوحيد الرأي حول العناصر

الاستعمارية والمتعاونة مع الاستعمار والشيوعية والانتهازية. وقد طلبت تحديد مفهوم العناصر الاستعمارية، فقال: الأردن، والعراق، والسعودية... الخ. فقلت له: سأناقشك في هذا الموضوع لا على أساس وجهة النظر التي أحملها شخصياً ولكن على أساس معتقدات وآراء الناس، فإن مصر في نظر الكثير من هؤلاء هي أيضاً من العناصر المتعاونة مع الاستعمار. وعددت له بعض الأمثلة التي تثبت أن عبد الناصر هو من العملاء الأمريكيين. وقد قال: إن عبد الناصر ليس أمريكياً ولكنه يلتقي مع أمريكا لمحاربة الشيوعية. فقلت له: بأنه يقبض ثمن هذه المحاربة. وأكدت له بأن عبد الناصر عميل لأمريكا، فراح يسوق لي الأدلة محاولاً إثبات براءة عبد الناصر من هذه التهمة. وانتهينا أخيراً بأن عدل رأيه في عبد الكريم قاسم بأنه هو الآخر ليس عميلاً ولكنه متعاون مع الاستعمار.

ثم انتقلنا إلى الحديث عن الاشتراكية وتحديد مفاهيمها. وقد خالفته في كثير من وجهات النظر التي أبدّاها؛ لأنه كان يعرف الاشتراكية من خلال مبادئ حزبه. إلا أننا اتفقنا في النهاية على أن الاشتراكية هي منع تسلط رأس المال ومنع استغلال العامل والفلاح من قبل أصحاب الأراضي وأرباب العمل.

ثم انتقل إلى الكلام عن القيادة فتساءل عن القيادة الحالية ومن يجب أن يبقى ومن يُغيّر. وأبدى رأيه بأن من الواجب تغييرها بكاملها واستبدالها بقيادة جديدة. ثم أرجأنا الحديث في أشخاصها لاجتماع مقبل.

ثم انتقل إلى الكلام عن طريقة العمل والخطّة العسكرية للانقلاب، وكيفية دعمها من العناصر المدنية. وبيّن أن البعثيين هم أقوىاء في كافّة المناطق، وأنني وزملائي أقوىاء في منطقة دمشق وقطنا، بالإضافة إلى وجود عناصر بعثية في منطقة دمشق وقطنا. أما في الأوساط المدنية فقد أبدت عدم اهتمامي

بالموضوع. وقد اتفقنا في الختام على أن قيادة الحركة يجب أن تكون من اتجاهنا، وأن تبني قضية الوحدة مع مصر. واتفقنا على تشكيل لجنة من ستة أشخاص تكون مهمتها بحث سائر التفاصيل. وافترقنا بعد أن حددنا موعدًا للاجتماع يوم الثلاثاء في ٢٤ / ٧ / ١٩٦٢ م.

المقابلة التي تمت في ٢٣ / ٧ / ٦٢ بين الرائد والملازم الأول من جهة، ومحمد نسيم من جهة ثانية:

تم الاجتماع في منزل محمد نسيم الساعة [٧:٣٠] مساءً، وقد شرح الرائد حراجة الموقف ودقته، خاصة بعد اعتقال بعض المتسللين، وعلى الأخص المدعو عبد البديع حجازي، الذي يُخشى أن يدلي بمعلومات تؤدي لافتح المؤامرة. واستغل محمد نسيم هذه الفرصة كي يقول لنا بأن الانتظار لا يجدي، وأن علينا أن نقوم بالحركة في الحال. ولذلك فقد أرسل إلى القاهرة كي لا يتناول الرئيس في خطابه يوم ٢٣ / ٧ أشخاص الحكم في سورية مدنيين وعسكريين. وأن يكون موضوع الخطاب عامًا فيما يتعلق بسورية. والغاية من ذلك خلق جوٍّ من الهدوء النسبي يفسح المجال أمامكم بالعمل دون أن تلتفت إليكم الأنظار؛ لأن تعرضه لبعض الأشخاص يخلق حملة إذاعية متبادلة، وبالتالي يكون عملكم في هذا الجو صعبًا.

وعلى ذكر عبد البديع حجازي، أبدينا عدم ممانعتنا لنقل بعض الأقلام المتفجرة، وقد سلمها لنا بالفعل بعد ذلك.

ثم جرى البحث حول الحركة ووجوب القيام بها بأسرع ما يمكن، خلال أيام فقط كسبًا للوقت. وقد سأل محمد نسيم عن كيفية إتمامها، فأجاب الرائد بأن احتلال الإذاعة وتطوير الأركان هما العمل الرئيسي في الحركة، وأن ذلك يتيسر الآن، ولا

يبقى إلا تأمين بقية المناطق للمساندة والمؤازرة. فردَّ محمد نسيم بأن صيَّاح عامر قد أكَّد له ضمان بقية المناطق. وتساءل عن طريقة احتلال الإذاعة، فأجبنا بأن ذلك - ولا شك - عمل انتحاري نجد أنفسنا مرغمين على الإقدام عليه، وأن القضية حياة أو موت، وربما كان النجاح حليفنا، أو أن قفص الاتِّهام ينتظرنا في حالتي الفشل أو التأخير. فظهرت على وجهه علامات التأثر، وصار يمسح جبينه بمنديل كان بيده.

وقد طلبنا إتمام التعارف بيننا وبين بقية العناصر، وإرسال رسالة من محمد نسيم إلى هاني الهندي؛ كي تكون وسيلةً للثقة بيننا وبين جماعته من القوميين العرب المدنيين والعسكريين. إلا أنه أجاب بأن ذلك يزعج هاني، ويشكِّل دليلاً مادياً إذا عثر أحد على هذه الرسالة. وأكَّد بأن هاني لا يحبَّذ مثل هذه الرسائل، وأنه قد أرسل إليه عقب الرسالة الأولى، وعلى التحديد يوم السبت الماضي، المدعو عرفان حمور يرجوه عدم إرسال مثل هذه الرسائل. ثم سأل عن نتائج اتِّصالنا بمحمد عمران، فشرحنا له ذلك، وسأل عن نتائج سفرتنا إلى حمص إذ قد أعلمه صيَّاح بذلك، فقلنا: بأننا لم نستطع الاجتماع بجاسم علوان. فأجاب بأن جاسم سيكون قريباً منكم يوم الحركة، وسيظهر في الوقت المناسب تماماً، وأن صيَّاح عامر سيكون صلة الوصل بيننا. ثم تساءل عمن نرشِّحه لقيادة الجيش، فقلنا له: إن محمد عمران يقترح أن يكون العميد وهيب الرفاعي... فقال محمد نسيم: ولماذا لا يكون جاسم؟ فقلنا: بأن ذلك ممكن بعد فترة من الزمن. وطلبنا مبلغاً من المال فأحالنا على صيَّاح عامر، وقال: بأنه قد دفع له مبلغاً من المال لتوزيعه على المسجونين من العمَّال. واعتذر عن دفع المبلغ لنا مباشرةً لسبب إغلاق السفارة يومئذ، ووجود حفلة عيد الثورة. وقال: بأنه سيعطي صيَّاح عامر عوضاً عن المبلغ الذي نقبضه منه في سفرة قادمة.

وقبل أن نفرق اتفقنا على إرسال صيَّاح عامر يوم ٢٦ / ٧ / ٦٢ إلى بيروت مُزوِّدًا برسالة منا عن تطورات الحركة. ثم غادرنا المنزل إلى السفارة، حيث استلمنا الأعلام المتفجَّرة، وهي عبارة عن ثلاث علب فيها ١٨ قلمًا (صاعق موقوت).

اللقاء بين محمد عمران والرائد في ٢٤ / ٧ / ٦٢:

في هذا اليوم توجَّهت حسب الموعد إلى دار محمد عمران، ففتح لي صيَّاح عامر، وكان الاتفاق أن يُحضر محمد عمران أعضاء اللجنة في هذا الاجتماع، إلا أنني لم أجد سوى محمد عمران. وقد علَّل صيَّاح ذلك بأن محمدًا مراقب، ووجود عدد كخمس أو ستة أشخاص ضبَّاط في منزله يشير الشبهات. لذلك فضَّلنا أن تكون الاجتماعات ثنائية. لكنني عبَّرت عن استيائي، وقلت: بأن التعاون يجب أن يكون واضحًا من أول الطريق. (ذلك لأنني كنت على علم بما دار بين بهاء وصلاح). ولكن محمد عمران أكَّد وجود الثقة، إلا أنه قال: بأن هناك نقاطًا أخرى لابدَّ من الاتفاق عليها. وهنا استأذن صيَّاح بالانصراف. وذكرنا قبل انصرافه بضرورة الإسراع في العمل؛ لأن الوقت ليس بصالحنا. فوافق محمد عمران على ذلك.

ثم جرى البحث من جديد في اللجنة التي اتفقنا على تشكيلها من قبل. وقد رشَّح محمد عمران ضابطًا عن قطنا هو المقدم عثمان كنعان، ووعد بترشيح آخر من منطقة الكسوة يبلغني اسمه عن طريق المقدم المذكور. وحددنا كلمة السرِّ للتعارف مع عثمان كنعان، وطريقة التعارف: فيقف عثمان كنعان بالقرب من العמוד اليساري لدخل نادي الضبَّاط الساعة الثامنة مساء يوم الأربعاء، فأتقدَّم منه وأقول: (مساء الخير أبو بشار).

ثم عاد الكلام لوجوب تغيير القيادة كلها لعدم إمكانية التعاون مع أيّ واحد منها. وقال عن العميد خليل موصلي: بأنه شيوعي، وأنه يسعى لخلق كتلة من الشيوعيين في الجيش. وأبدى كذلك رأيه في اللواء نامق فقال: بأنه على شاكلة زهر الدّين. ودار البحث عن قائد الجيش، فاقترحت رفعت خيري، لكنه لم يؤيد ذلك، وقال: بأنه على شاكلة نامق كمال، وحبّد العميد وهيب الرفاعي، لأنه من أنجابه، ووصفه بأنه ضعيف. وطلب معرفة رأي الضباط المُسرّحين بعد ٢٨ أيلول، فقلت: إن ذلك متروك للقيادة الجديدة، فأكد لي أن الخطأ الجسيم بعد ٢٨ أيلول هو تسريح هؤلاء الضباط، وأن من واجب الحركة الجديدة أن تصحّح هذا الخطأ، فتعيد هؤلاء إلى مراكزهم. ثم انتقل إلى الموقوفين لمعرفة رأيي بتوقيفهم، فأجبت: بأن ذلك متروك أيضاً لنفس اللجنة. وأكدّ هنا بأن هؤلاء أوقفوا لسبب موضوع الوحدة، والحركة عندما تقوم عليها أن تحلّي سبيلهم. وقد سألت أيضاً عن رأيي في الضباط الموجودين خارج سورية، فأجبت: بأن أمرهم متروك أيضاً للقيادة الجديدة، وخاصّة وأن لي انطباعات خاصّة حولهم.

ثم استعرضنا أعضاء القيادة المراد تشكيلها، فأثنى على زياد الحريري، وفهد الشاعر، وتوفيق مخلوف، وعدنان نجّار.

وافترقنا على أن تكون اجتماعاتنا المقبلة مع المقدّم عثمان كنعان وبقية اللجان السياسية المذكورة آنفاً.

وبتاريخ ٢٥ / ٧ / ٦٢ التقى كلّ من الرائد والملازم الأول مع صيّاح عامر، وطلبنا منه مبلغ ٥٠٠٠ ليرة بناءً على ما تمّ بيننا وبين محمد نسيم في بيروت. وافترقنا بعد أن وعد بتحديد موعد لمقابلة هاني الهندي.

وبتاريخ ٧/٢٥ أيضًا التقيتُ حسب الموعد مع المقدم عثمان كنعان، وتمّ التعارف بيننا بالطريقة المتفق عليها. وقد رفض الاجتماع بالملازم الأول لأنه يفضل الاجتماعات الثنائية. ودعاني إلى منزله، حيث دار الحديث بيننا حول الأوضاع الراهنة، والفوضى، والقلق، وضرورة الوحدة كي تكون حدًا فاصلاً لهذه الحالة. وصلنا من ذلك إلى وجوب التعاون المثمر، وأن هدفنا من لقائنا هو إعادة الوحدة بعمل عسكري حاسم تكون من أولى مهامه:

١- تغيير جهاز القيادة الحالي.

٢- تشكيل حكومة وطنية من العناصر التقدمية.

٣- البدء بمفاوضة مصر مباشرة، وإتمام الوحدة خلال عشرة أيام من تاريخ الحركة.

٤- إعادة الضباط المسرّحين بعد ٢٨ أيلول، والإفراج عن الموقوفين.

وطلبتُ منه أسماء المندوبين الواجب التعارف بهم قبل الحركة حسب الاتفاق مع محمد عمران، أجاب بأنه سيوافيني بهم. وقال لي: بأن الكتيبة ٣٤ مضمونة، وكذلك الكتيبة ١٢٢، ففيها نديم حربي. ولما كان على عجلة من أمره ويريد السفر إلى بلودان، فقد أنهى الاجتماع عند هذا الحدّ، على أن نلتقي السبت ٧/٢٨، ويجري في هذا اللقاء تحديد أسماء الأشخاص لإتمام التعارف بهم والتعاون معهم.

المقابلة التي جرت بين الملازم الأول وهاني الهندي بدار صيّاخ عامر بتاريخ

٦٢/٧/٢٦:

جرى الحديث في هذه المقابلة عن ضرورة إعلان الجمهورية العربية المتحدة يوم الانقلاب من الإذاعة. وكان رأي هاني الهندي مؤيّدًا لذلك تمامًا، الذي وجّه كلامه

إلى صيَّاح قائلاً: هذا هو الرأي السديد يا صيَّاح؛ لأن إعلان الجمهورية العربية المتحدة يفسح المجال لمصر بالتدخل، ويضع حدًا لكافة العناصر المناوئة. واعترض صيَّاح على ذلك؛ لأنه يؤمن بضرورة تشكيل حكومة في البدء، وتعمل هذه الحكومة لإعادة الوحدة ضمن الشروط التي يُتفق عليها. وفي النهاية وعد هاني الهندي بالإيعاز لإخوته مناف ونوفل بالتعاون معنا ووضع إمكانياتهم تحت تصرّفنا.

المقابلة التي جرت بين الرائد والملازم الأول وصيَّاح عامر بتاريخ ١٩٦٢ / ٧ / ٢٦:

في هذه المقابلة التي تمّت الساعة ٢٣ مساءً استلمنا من صيَّاح عامر مبلغ الخمسة آلاف ليرة، وعاد فذكرنا بأنه يرى تشكيل حكومة وطنية ثم إعلان الوحدة، بدلاً من إعلانها ساعة وقوع الحركة (والحديث مسجَّل). واتفقنا على أن نسلمه في اليوم التالي رسالةً لمحمد نسيم وتصريحًا للسفر إلى لبنان.

مقابلة الملازم الأول مع نوفل هندي بتاريخ ١٩٦٢ / ٧ / ٢٧:

جاء نوفل بنفسه إلى منزل الملازم الأول، وأبلغه أن أخاه هاني أعلمه عن العزم على تنفيذ الحركة خلال أيام قليلة، وقال: بأنه يضمن كتيبة دبّابات في حمص و ٦-٨ طيارين، وأخرج من جيبه ورقةً مرفقةً بهذا التقرير. وقد عبّر عن وجهة نظره هو الآخر بوجوب إعلان الجمهورية العربية المتحدة من الإذاعة في بدء الحركة، وأكد على وجوب إرسال دبّابات إلى مطار الضمير حتى لا تتدخل قوى البادية ضد الحركة. وقال أيضًا بأنه سيعرّفنا بـ ٦ ضباط من اللواء ٧٢، وآخرين من اللواء ٧٠، واللواء ١٨، ومن مدرسة المدفعية م-ط، وطيارين، وغير ذلك. وافترقنا بعد تحديد موعد في اليوم التالي الساعة ٢٠ أمام الأرصاد الجوية.

وفي ٧/٢٨ جرت مقابلة ثانية بينهما (الحديث مسجّل). وفي المساء الساعة [٢١:٣٠] ذهب الرائد والملازم الأول إلى دار نوفل الذي كان عنده أديب قاضي ريجا، فاعتذر نوفل عن الخروج؛ لأن بعض الضباط في زيارته، إلا أن أديب خرج وعاد مع الملازم الأول للسيارة، حيث كان الرائد فيها، وجرى حديث في هذه السيارة (مسجّل). وقد تناول الحديث أقوال قاضي ريجا بأنه يفتش عنا، وأن يوسف مزاحم تلقى أمراً بالتعاون المطلق معنا من القاهرة، وأن علينا أن نلتقي به، وأن الموضوع أصبح خطيراً، وطلب منا القيام بالحركة هذا اليوم إن استطعنا، إذ نخشى إن لم نفعل أن نُعتقل. وسأل عما أعددنا للحركة وعن الخطّة، فشرحنا له موجزاً عن ذلك. فقال: بأنه كان يعتقد حسب ما وصله من أنباء من القاهرة بأن كلّ شيء قد أُعدّ له عدّة. فقلنا: إننا تعهّدنا دمشق، وهم تعهّدوا بقية المناطق.

وجرى الاتفاق قبل انتهاء المقابلة على أن يحدّد موعد اجتماعنا مع يوسف مزاحم، وأن نعود لنجتمع مع أديب الساعة ٢٤ من نفس الليلة.

وعاد أديب في الموعد ليخبرنا بأنه لا لزوم للاجتماع بيوسف مزاحم، طالما أن الحركة لن تتم في هذا اليوم. وذهبنا إلى منزل أديب، حيث دار الحديث حول استعراض قوّاتنا في دمشق. قلنا: إن محمد عمران والمقدّم عثمان أكّدا بأنها مضمونة. وأكّد ذلك أيضاً نوفل هندي، فوعد أديب بالاستيضاح عن ذلك من محمد عمران في الغد. وقال: بأن موقف اللواء في السويداء هو مؤيّد للحركة. (وكان نوفل قد وعد أثناء مقابلة الملازم الأول له على باب بيته بتعريفه بأسماء ١٦ ضابطاً من اللواء الرابع في السويداء، وذلك قبيل التنفيذ).

وقال أديب عن الجبهة بأنها مؤمنة تماماً، وكذلك اللاذقية ففيها العقيد عبد

الكريم سوادى، وفي حلب يمكن التعاون مع جماعتكم هناك والعقيد نافع عبيد. وأعطانا كلمة السرّ للتعارف مع كافّة الذين سيشترون بالحركة، وهي (زهر الريزفون) وقال: بأن يوسف مزاحم سيبلغ عناصره نفس هذه الكلمة، وأن الملازم الأول محمد مزاحم يجتمع مع الملازم الأول للتعارف. ثم تعهّد بإرسال مندوبين إلى المناطق لإبلاغها احتمال قيام الحركة في الـ ٤٨ ساعة القادمة. ثم تطرّقنا إلى بحث الاعتقالات، وقال أديب: إنه سيتفاهم مع المقدّم عثمان صالح آغا حول هذا الموضوع، وأنه يجب تنظيم قوائم بالأشخاص المطلوب اعتقالهم، ومنهم كافّة أعضاء القيادة الأحد عشر، أما رأيه في القيادة الجديدة فهو أن يكون أكرم الديري قائداً للجيش، وجاسم معاوناً. ثم افترقنا الساعة ٢ بعد منتصف الليل، على أن نتعرّف على موقف سائر المناطق، وتحديد موعد الساعة ٩ من مساء اليوم التالي للاجتماع مع يوسف مزاحم.

١٩٦٢/٧/٢٩:

كان الرائد بانتظار من يأتي ويعرّفه بنفسه مستعملاً كلمة السرّ التي وُزّعت بالأمس. وحوالي الساعة [٩:٣٠] قام بزيارة معمل البطاريات لتأكيد مواعده مع المقدّم كنعان الساعة [١:٣٠] بعد الظهر. ولكنه وجده قد ذهب إلى دمشق. وفي الساعة ١٢ ظهرّا دخل الملازم يحيى الضلي إلى مكتب الرائد، وبعد استعراض بعض شؤون الخدمة توجه إليه قائلاً: إنه حدث بالأمس ما يستدعي أن يقوله، وأخذ برواية القصة التالية:

حوالي الساعة [١:٣٠] بعد منتصف الليل الماضي قرع بابه شخص مدني طلب إليه الدخول لحديث هام. وفي داخل المنزل تعرّف عليه باسم صلاح، وأنه من طرف

يوسف مزاحم، ثم قال: (إننا نعرف أنك ضدَّ الوضع الحالي، وهناك حركة ستقوم اليوم أو غداً، وأنت تعرف أن العقيد عادل حاج مراد قد اعتقل منذ أسبوعين، والأمل معقود عليك، وأن الأستاذ يوسف مزاحم موجَّه هذه الحركة، وأن زوجة جاسم علوان طلبت الاتصال بك. والتفت قائلاً: ولعلك عرفت الآن اتَّجاه الحركة)، ثم أبلغه كلمة التعارف وهي: (زهر الزيزفون)، وأن هناك من ضبَّاط ٢٨ أيلول مشتركين معنا في الحركة. وواعد بنقل المعلومات أولاً بأول في الغد، ثم انصرف.

وبعد ظهر يوم ٢٩ / ٧ / ٦٢ جاء الملازم الأول يحيى مرَّةً ثانيةً، وقال: إن صلاح زاره الساعة ٣ بعد الظهر، وأبلغه أنه ينتظر قيام الحركة في بحر ٤٨ ساعة القادمة، وأن كلمة السرِّ لا تزال كما هي، وأن هناك من ضبَّاط ٢٨ أيلول على تعاون معنا، وأن تركي التركاوي قد تبلَّغ ذلك، وهو معنا، وأن البعثيين سيشترون في هذه الحركة، إلا أننا نخشى استغلال الحركة من قبلهم. وكذلك جماعة زياد حريري؛ لأنهم يريدون أيضاً استغلال الحركة لمصلحتهم الشخصية. وعرف الملازم الأول الاسم الكامل لهذا الشخص، وهو: صلاح الدِّين ريمان الموظَّف في دائرة الأوقاف، وهو من عين الفيحة، وكان يحمل مسدساً مرخصاً، وكان يستخدم دراجةً عاديَّةً في تنقلاته.

بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٦٢، المقابلة التي تمَّت بين الرائد والملازم الأول من جهة وأديب قاضي ربحا:

وقد التقينا به في الشارع الواصل بين الجسر وأبو رمَّانة الساعة ٢١ مساءً، فأخبرنا باعتقال يوسف مزاحم، ونبَّهنا إلى خطورة الوضع البالغة، وأن اعتقالنا - إن لم نقوم بالحركة حالاً - أصبح وشيك الوقوع. فأجبنا بأننا لم نتلقَ خبراً عن موقف بقية المناطق حتى الآن. فقال: لقد بلغنا حمص بأن تؤيد وتؤازر إذا قامت حركة في دمشق

في بحر الـ ٤٨ ساعة القادمة، وبلغنا العقيد نافع عبيد في حلب للتعاون مع جماعتنا هناك. أما السويداء فقد تمّ إبلاغها، وتعهّد أحمد ناصيف بالسفر إليها في الغد ليكون ليلة التنفيذ هناك. وكذلك الجبهة، فقد تمّ إبلاغها، وأن المقدّم فوّاز سيسافر إلى هناك قبيل التنفيذ. أما اللاذقية فلم نتمكن من تبليغها، لذلك سأرسل ضابطاً إلى العقيد عبد الكريم سوادي لإعلامه.

ثم اقترح علينا مناقشة إمكانية نصب كمين لموكب الرئيس والقائد العام عندما يكونا^(١) في طريق عودتهما من السويداء إلى دمشق، بعد انتهاء حفلة رفع الستار عن النُصب التذكاري.

وتعهّد ببحث الموضوع مع أحمد ناصيف (والحديث مسجّل). وافترقنا بعد أن حدّدنا ساعة الصفر للحركة: الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء في ٨ / ١.

ثم توجّهنا معه إلى منزل أحمد ناصيف فلم نجده. وتركنا ليذهب إلى المقدّم عثمان آغا. وفي الساعة الثالثة صباح يوم ٣٠ / ٧ / ١٩٦٢م اتّصلنا هاتفياً مع محمد نسيم بيروت الذي اتّصل بنا في الساعة ٥ (محادثات مسجّلة)، وتبادلنا برقيات لاسلكية بعد ذلك حسب (الشفيرا) التي بين أيدينا وهي محفوظة لدى المقدّم محمود شوقي.

المقابلة التي تمّت بين الملازم الأول محمد مزاحم والملازم الأول بتاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٦٢:

حوالي الساعة [١٥:٣٠] حضر الملازم الأول محمد مزاحم إلى منزل الملازم الأول. وعند استقباله قال للملازم الأول: صباح الخير يا زيزفون. وردّ عليه الملازم

(١) كذا في المصدر، والصواب: يكونان.

الأول أن الأمر خطير، وأن الحركة يجب أن تتم يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٢ الساعة الثانية بعد منتصف الليل. فردّ عليه الملازم الأول مزاحم أن كل شيء جاهز، وأن تبليغ الضباط: سعيد يونس، قدري منجد، محمد أحمد نعيم، عبد الحميد الجمل، موسى العلي، سيتم هذا اليوم؛ لإعلامهم عن الحركة المنتظرة خلال ٤٨ ساعة. وقال محمد مزاحم: بأنه سيذهب مع سعيد يونس، وعبد الحميد الجمل، وموسى العلي، إلى حمص لكي يكونوا على مقربة من العملية. وأنه عند إذاعة البيان من دمشق سينطلقون ويدخلون اللواء الخامس.

لكن عبد الحميد الجمل سيعود إلى دمشق الساعة [٢٣:٣٠] بتاريخ ٣٠ / ٧ / ٦٢. وسأله الملازم الأول عن سبب عدم اتّصاله به قبل هذا التاريخ، فأجاب بأنه أرسل الملازم يوسف حوري عدّة مرّات يوم ٢٨ / ٧ / ٦٢ ولم يتمكّن من الاجتماع به. وقال عن يوسف حوري بأنه من أشدّ العناصر حماساً للعملية. وانتهى الاجتماع.

المقابلة التي تمّت بين الملازم الأول والعقيد توفيق مخلوف بتاريخ ٣٠ / ٧ / ٦٢: حوالي الساعة [١٠:٠٠]، وعلى مدخل مكتب القائد العام، اجتمع الملازم الأول مع العقيد توفيق مخلوف، وطلب من الملازم الأول أن يتعرّف على غرفته، ولكن الملازم الأول طلب إليه أن يتمّ هذا التعرّف في غير هذا الوقت، لأن غرفته ملأى بالضباط، وافترقا.

وحوالي الساعة [١٤:٣٠] اجتمع الملازم الأول بالعقيد مرّة أخرى أمام مدخل مكتب القائد العام، ففاجأه العقيد بقوله: «شو هالتخليص يلي قمتم فيه؟»، ولكن الملازم الأول ردّ عليه بأنه سيّصل بمكتبه في وقت آخر، أو يحضر إليه.

وفي الساعة [٨:٣٠] يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٢ ذهب الملازم الأول إلى مكتب توفيق مخلوف واجتمع به، وجرى بينهما الحديث الآتي:

قال مخلوف: إن الخطأ الكبير ونتائجه وخيمة. قال الملازم الأول: إذا قرّرنا أن يكون العمل هذا اليوم فما هو استعدادك؟ قال مخلوف: إنه يقتضي تبليغ المناطق. واستطرد يقول: إما أن ننقذ اليوم ونغامر، أو نؤجلها إلى الموعد السابق المحدد لها، الذي هو ٨ / ٨ / ٦٢. فقلت له: إن أمر اعتقالنا قريب، لذلك يجب الإسراع بالعمل. وطلب منه معرفة إمكانية الاتصال مع الوحدات هذا اليوم للتنفيذ. فأجاب مخلوف: بأنه يمكن أن يتصل مع مساعد في الجبهة، وهو يستطيع أن يبلغ الجميع رغبته بكل شيء.

وطلب الملازم الأول تحديد كلمة سرّ للعملية، فردّ مخلوف بأنه من الأفضل تأجيل ذلك إلى الساعة [١٨:٣٠] من نفس اليوم، حتى يمكن تنسيق العمل. وهنا سأل مخلوف عن أخبار الرائد، فقال: بأنه في اللواء. ثم تساءل الملازم الأول عن هدف الحركة. فقال مخلوف: نحن عرب ونسعى لتشكيل دولة عربية، لذلك إذا كنتم تقومون بالعمل على أساس تغيير القيادة فإنه يمكن أن يشترك معكم عدد كبير من الضباط، وخاصةً زياد حريري وكتلته. وقال مخلوف: بأنه عليكم تأمين عملية اعتقال الضباط الخطرين قبل التنفيذ، أمثال: سعيد العاقل، ومحمود شوقي، وهاشم آغا، وخليل موصلي، وعودة عابد... الخ.

وأبدى مخلوف تخوّفه وفزعته من اعتقال أديب قاضي ربحا وعثمان كنعان، وقال: إنه يخشى أن يعترفوا بشيء عليهم، وعندها يصبح الأمر خطيراً للغاية، وقد يُعتقلون، لذلك لابدّ من السرعة. وأثنى ثناءً عاطفياً على موقف صيَّاح عامر، حيث أنه لم يعترف

بشيء عن البعثيين. ولكن يخشى أن يخطئ أديب قاضي ربحا أو عثمان كنعان خلال التحقيق معهما، وعندها تكون المصيبة. وتابع كلامه يقول: بأن هناك تسجيلاً على أديب قاضي ربحا، وهو يخشى أن يكون هناك من يبلغ عنه أو يكتب عليه أي شيء. وانتهى الاجتماع بينهما ليلتقيا مساء الساعة [١٨:٣٠] من نفس اليوم، ويعطيه الجواب ما إذا كان موافقاً على إجراء العملية هذا اليوم، أو غداً.

تحليل ختامي للمؤامرة الناصرية على سورية:

لقد بدأ اطلاعنا على هذه الحركة منذ ثلاثة أشهر تقريباً. وقد تبين لنا من حوادثها أن عبد الناصر كان يهدف للقيام بحركة ثورية في سورية قبل أعياد الثورة في ٢٣/٧. ولم يكن يبالي بالدماء التي كانت ستراق في هذه الثورة. وقد انحصر كل همّه في نجاحها بأي ثمن وبأي وسيلة، وبالتعاون مع أي عنصر من العناصر ولو كانت مختلفة في أهدافها وليست على تفاهم فيما بينها، مستغلاً شعور الشعب السوري تجاه الوحدة.

ولقد كان ينوي الصعود على هذه الفئات جميعها، ثم ضرب بعضها البعض الآخر، بعد الحصول على النصر الذي حققته له. ولذلك فقد قامت السفارة المصرية بالاتصال بالفئات التالية:

- ١ - المدنيين والعسكريين من أعضاء حركة القوميين العرب.
- ٢ - المدنيين والعسكريين من حزب البعث العربي الاشتراكي.
- ٣ - العسكريين من ضباط ٢٨ أيلول.
- ٤ - المدنيين والعسكريين من بقايا العهد الماضي، وهم: الناصريون، والنفعيون، والذين كانوا يتنعمون على حساب الشعب في العهد الماضي.
- ١ - أما الفئة الأولى، فكان على رأسها هاني الهندي الذي كانت صلته بالسفارة

وطيدة. وكان يرسل إليها تقارير عما يجري معه بشكل منتظم. وكان يهتم بالدرجة الأولى بالجانب المدني من الحركة. وكانت صلة الوصل بينه وبين الحركة في الجانب العسكري أخويه نوفل ومناف.

وكان رأي هذه الفئة أن تعلن الحركة منذ الساعة الأولى لقيامها عودة سورية إلى الجمهورية العربية المتحدة، وأن يُعلن ذلك في البلاغات الأولى للحركة. وكان أمل هؤلاء بنجاح الحركة امتدادًا لأملهم في حركة ٢٨ آذار التي حاولوا استغلالها، وكان هاني الهندي يسعى بين بعض القائمين بها وبين القاهرة لتحقيق الغاية المرجوة منها. وليس من شك بأنهم كانوا يأملون أيضًا الحصول على منافع شخصية وحزبية إن تمت الحركة بالشكل الذي أرادوه.

٢- أما الفئة الثانية، فكان أقطابها ثلاثة: مدني، هو صيَّاح عامر. وعسكريان، هما المقدم المُسَرَّح محمد عمران، والمقدم عثمان كنعان.

وقد دفع هؤلاء للاشتراك بهذه الحركة عوامل كثيرة. أولها: أنهم يتوقون للعودة إلى الحكم، ويأملون - إن هم اشتركوا في هذه الحركة - بأن يصبحوا الساعد الأيمن لعبد الناصر. وكيف لا يؤيدون هذه الحركة وقد وعدت السفارة المصرية بإسناد منصب وزاري لزعيم حركتهم صلاح الدين البيطار. والعامل الآخر: هو إنقاذ عدد كبير من ضباطهم من المحاكمة والسجن والتسريح، إذ أن كثيرًا من الضباط الموقوفين بتهمة القتل والعصيان في حلب هم من هؤلاء، أمثال: حمد عبيد، وحسن شهوان، وحاج رحمون، وغيرهم... ولقد كانت لهؤلاء اليد الطولى في حركة حمص وحلب والجبهة بعد ٢٨ آذار مباشرة، تلك الحركة التي هدفت لفصل جزء من سورية، وطلبت الاستعانة بمصر عسكريًا، وسفكت من الدماء الزكية ما يُعتبر خسارة لسورية والأمة العربية قاطبة، ووضعت البلاد في أزمة خطيرة كادت تسبب

حرباً أهليّة طاحنة تودي بكيانها واستقلالها. وقد تصدّت للدفاع عنهم جريدة «الصدى العام» بقولها: إن هؤلاء يجب أن يكونوا بجانب الادّعاء لا في قفص الاتّهام... والعامل الثالث: هو أنهم يأملون بعد قيام الحركة بإعادة المُسرّحين من الضبّاط البعثيين إلى الجيش.

ولعل فيما حملته جريدة البعث أيضًا من مقالات وبيانات أكبر دليل على حماسهم الشديد لعبد الناصر، وتأييدهم بذلك لحكمه الديكتاتوري الأسود. ولقد كانت هذه الجريدة بمثابة دعاية علنية للحركة، مهمّتها أن تهيبّ الناس نفسيًا لقبولها وتأييدها.

ولقد كان رأي هذه الفئة أن تقوم الحركة على أساس أهدافهم ومبادئهم، وأن يسعى المنفّذون للحركة في إعادة الوحدة خلال عشرة أيام من تاريخ وقوع الانقلاب، بعد إرسال لجنة للتفاوض مع مصر. وكان هؤلاء يتظاهرون بأنهم يريدون وحدة مع مصر خالية من عيوب الوحدة السابقة. ولقد كان في نيّة هؤلاء استغلال الحركة بكاملها لصالحهم الشخصي والحزبي، وكانوا يعتمدون على عدد من ضبّاطهم المبتوثين هنا وهناك، وكان محمد عمران هو لولب هذه الحركة الذي تتجمّع لديه كافّة إمكانيات البعثيين في الجيش، كما كان صيّاح عامر صلة الوصل بينهم وبين السفارة المصرية، ينقل إليهم تعليماتها، وينفّذ رغباتها، ويزوّد حركتهم بأموالها، بالرغم من أنهم تظاهروا أمام بعض الضبّاط الحيايين بأنهم ليسوا موافقين على الاتّصال بالسفارة المصرية وتلقي الأوامر منها.

٣- الفئة الثالثة هي ضبّاط ٢٨ أيلول، وهم في الأصل ضبّاط حيايين ليس لهم حزيّات معيّنة، ولكن جمعتهم ثورة ٢٨ أيلول. ولقد حاولت السفارة المصرية في بيروت استغلالهم، وأكّدت لمن بقي منهم في الجيش داخل سورية بأن النحلاوي وزملاءه يريدون العودة إلى الوحدة، ويوافقون على القيام بحركة لأجل ذلك. إلا أن

السفارة قد خاب ظنها بهؤلاء. فقد عمد الضباط الذين عُرض عليهم الاشتراك في هذه المؤامرة إلى كشفها وإخبار السلطات عنها. وبذلك أثبتوا أنهم رغم حرصهم على الوحدة وقدسيتهما يحرصون أيضاً على سلامة بلدهم، ويؤمنون بالحكم الديمقراطي السليم البعيد كل البعد عن الديكتاتورية والحكم الفردي البغيض.

٤ - أما الفئة الرابعة، فهي التي تنعق مع كل ناعق، وتسير وراء كل داعية. ولقد اشتركت هذه الفئة بالمؤامرة أملاً في تحقيق مصلحة مادية أو شخصية، ولم تكن أبداً تؤمن بهدف أو غاية سوى الكسب والحصول على مراكز مرموقة.

وقد دخل في هذه الفئة من كانت لهم مناصب هامة في عهد الوحدة أو أنهم كانوا يتقاضون رواتب باهظة لقاء عملهم في أجهزة المباحث التابعة للسرّاج، أمثال سعيد السواس.

ولقد كان هؤلاء على صلة مباشرة بحوادث التخريب والمتفجرات التي رُوّعت الآمنين في دمشق والمدن السورية لفترة من الزمن. كما كانت على صلة بحوادث العمّال وإضراباتهم التي سببت للبلاد خسارة اقتصادية، ولم يجن ثمارها سوى العدو الغاشم. ولقد كان اعتماد السفارة المصرية على هؤلاء كبيراً. ومن أبرز من اعتمدت عليهم السفارة في هذا المضمار: يوسف مزاحم، وعدد من السياسيين الذين كانوا يُصدرون بيانات يؤيدون فيها عبد الناصر وعهد الوحدة السابق.

ولقد كانت السفارة المصرية تعد هؤلاء بكثير من المناصب الهامة، فلقد وعدت مثلاً بإسداء مناصب وزارية وقيادية لكل من: نهاد القاسم، ويوسف مزاحم، وأكرم الديري، وعبد المجيد طرابلسي، وحسن عبيد، وغيرهم من الشخصيات الحزبية والسياسية.

تلك هي الفئات التي اشتركت في المؤامرة، وكم كان رهيباً أن تقع البلاد في ويلات هذه المؤامرة الخبيثة! وكم كان رهيباً أن ينشطر الشعب إلى فئات متناحرة متقاتلة! وكم

من الدماء الزكية كانت ستهرق! ومن كان سيستفيد من كل ذلك إلا العدو الغاشم وأعدائه، ممن ينتطعون باسم الوحدة والقومية العربية والشعارات الرنانة الكاذبة! ولقد كان اتصال السفارة المصرية بهذه الفئات كل فئة على حدة. وكانت تشجع كل فئة على القيام بالحركة. وجعلت من نفسها صلة الوصل بين هذه الفئات جميعاً. ولم تعمل على تعريف هذه الفئات ببعضها البعض، حتى إذا فشلت إحداها بقيت الأخرى تتابع العمل والتأمر. وتركت إجراء التعارف بين هذه الفئات بكاملها إلى مرحلة التنفيذ وإلى ساعات قليلة قبل القيام بالحركة.

ولعل هذه القضية ستكون درساً لعبد الناصر وأعدائه يجعلهم يتأكدون تمام التأكد بأن سورية هي الدولة العربية المؤمنة بوحدتها وقوميتها، وأنها لن تنجرف في تيارهم البغيض الذي كرهه العرب بالائتداد معهم.

ولعل هذه القضية تكون رادعاً لكل من تحدّثه نفسه بالتأمر على سلامة بلاده ووطنه، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)، وسيرى الظالمون أيّ منقلب ينقلبون.

التوقيع:

الرائد صدقي العطار، والملازم الأول صفوان جبري

تابعت شعبة المخابرات خيوط المؤامرة حتى كشفتها واعتقلت القسم الأكبر من عناصرها. وكان ذلك في أواخر شهر تموز ١٩٦٢، إذ كان من المقرر أن يتم الانقلاب في يوم ٢٣ تموز ١٩٦٢، ثم تأجل إلى أواخر شهر آب، وهذا - على ما أعتقد - كان الدافع إلى الخطاب الناري الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر في الاسكندرية، خلال أعياد ثورة تموز، وهاجم فيه الوضع في سورية هجوماً عنيفاً؛ لأنه كان يتوقع حدوث الانقلاب آنذاك، ثم فوجئ بالتأجيل. وقد كان خطاب الرئيس عبد الناصر السبب في دفع سورية لتقديم شكوى إلى الجامعة العربية، وهي الشكوى التي بُحِثت في مؤتمر شتورا^(١). اهـ.

(١) «مذكرات عبد الكريم زهر الدين»، ص ٢٨١ - ٣٠٥.

تعليق:

١- عجيب أمر هذه الجماعة! تتناول على غيرها بالأقدمية وقوة الانضباط، ودقة التنظيم، بل هي - كما يقول لنا قادتها - من علم غيرها العمل الجماعي، ثم يكون فيها مثل هذه الاختراقات؟!

فقد رأينا موقف الأستاذ السباعي من نجيب جويفل في حرب فلسطين، وعندما أراد اعتقاله هرب من الحرب ليؤدي دوره في انشقاق ١٩٥٣م بمصر، ثم ظهر في سورية وكأنه لم يفعل شيئاً من قبل، وكان له دور بارز في انقلاب مرير، ثم برز في الأردن وصنع انشقاقاً داخل القيادة، ولم نسمع أن قيادة مصر كتبت لقيادة سورية تحذرها من دور هذا الرجل المشبوه. وقيادة الأردن ليس لها أن تدعي جهلها بما فعل في سورية، لا سيما وأن الشيخ مصطفى السباعي يُعدُّ مرجعية لكل من إخوان سورية ولبنان والأردن. جدير بالذكر أن جويفل لم يكن الرجل الوحيد الذي اخترق هذه الجماعة وفعل فيها الأفاعيل.

٢- والأعجب من هذا إخوان مصر! فهم لا يرون في نجيب جويفل ما يراه إخوان سورية أو الأردن أو الكويت أو لبنان! فالشيخ يوسف القرضاوي عندما مُنع من السفر إلى قطر، قابل صلاح نصر مدير إدارة المخابرات العامة في مصر، وقد قال له نصر: (إن همزة الوصل بيننا هو واحد منكم تعرفونه ويعرفكم هو الأستاذ محمد نجيب جويفل، وسيرتّب معكم طريقة الاتصال بكم، وسأصدر الأوامر برفع الحظر عن سفركم، ويمكنكم أن تستعدّوا للعودة إلى قطر متى شئتم)^(١).

(١) حديث للدكتور يوسف القرضاوي في «النبا»، العدد (١٣٤)، ١٢ / ١ / ٢٠١١م.

إذًا: فالشيخ يوسف القرضاوي يعلم أن محمد نجيب جوفل من كبار رجال المخابرات العامة، ويقول عنه في مذكراته: (بقيت في حمص نحو عشرة أيام مليئة بالحياة والنشاط في إطار السرية المفروضة على العمل الإسلامي، وكان يقيم في حمص أخونا محمد نجيب جوفل رجل النظام الخاص، وهو صديق رفيقي محمد علي سليم، وكلاهما شرقاوي، ولكنه لم يكن موجودًا بحمص ولا بسورية فترة بقائي بها، فلم يُتاح لي أن ألقاه. وقد اختلف الإخوة السوريون في دور نجيب جوفل في إخوان سورية، وبعضهم يحمله تبعة ما حدث من انقسام هناك، وليس عندي علم بتفاصيل ذلك، وقد أفضى إلى ما قدّم، سامحه الله وجزاه بنيتّه).

غفر الله للشيخ القرضاوي؛ لا، لم يختلف الإخوان في سورية في دور نجيب جوفل، ولم يبق معه إلا شذمة من الذين تركوا الإخوان، وأتبعوا شهواتهم، وغير مقبول من الشيخ أن يقول: (وليس عندي علم بتفاصيل ذلك)، فعنده علم بأن جوفل من كبار رجال المخابرات - كما أخبره صلاح نصر - وعنده علم من كبار قادة الإخوان بأن جوفل كان يحمل رتبة (جنرال) وماذا بعد ذلك؟! ومن الجدير بالذكر أنني قرأت عددًا من مذكرات آخرين من الإخوان، فوجدتهم ذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيخ القرضاوي.

الحقيقة أن عدد المصريين الذين ينشطون في الشأن العام كان قبل أكثر من نصف قرن متواضعًا - بغض النظر عن أحزابهم واتجاهاتهم - وهذا العدد المتواضع لا يتعدى نشاطهم حدود مصر، فهي دنياهم وهي - أم الدنيا كما يصفونها - وما عدا مصر فهو (من أعراب المدينة)، ولا يستحق دراسة التفاصيل، وإذا كان بالمشال الآتي يتّضح المقال:

فعندما وقع انشقاق بمصر في جماعة الإخوان المسلمين انحازت جماعة الإخوان في سورية كلها، ومن غير استثناء، إلى جانب القيادة الشرعية ممثلة بالمرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي، ولم يقل أحد من إخوان سورية: (إن الأمر لا يعنيني). أو: (كان بين المنشقين علماء أفاضل مثل الشيخ محمد الغزالي والشيخ سيّد سابق). وكان إخوان سورية مدرّكين لأبعاد الانقلاب ودور عبد الناصر فيه، وعندما وقع مثل هذا الانقلاب في سورية اختلفت الصورة عند إخوان مصر، وصرنا نقرأ أمثال ما سقناه من كلام القرضاوي.

٣- اشتهر اسم الرائد صدقي العطار بعد انقلاب الانفصال في ٢٨ / ٩ / ١٩٦١ م، مع أنه لم يكن أعلى زملائه رتبة، وإن كان أنشطهم في علاقاته العامة، ومما لا زلت أذكره أن أحد الضباط رحمه الله قال لي: اتصل بي منذ حين الرائد صدقي العطار، وهو يدعوني إلى العمل معهم، فمن يكون هذا صدقي: هل هو شقيق لعصام العطار؟! أم هل هو من الإخوان المسلمين ويتطلّع إلى إقامة تنظيم لهم في الجيش؟! قلت للضابط: الأستاذ عصام العطار قريب منا، وهو الذي يجيبنا على هذه الأسئلة، وكان ردُّ الأستاذ عصام العطار:

(دعوني من الحديث عن القربى، فليس هذا هو ما نحدّد مواقفنا على أساسه، صدقي العطار ينتمي إلى تنظيم في الجيش، وهذا التنظيم قاد انقلاباً عسكرياً لا نعرف أبعاده، ولا يد لنا من قريب أو بعيد فيه، ويريدون تأييدهم، وهذا لن يكون؛ لأننا لا نتحمّل وزر غيرنا، ولا نريد لغيرنا أن يتحمّل وزرنا).

٤- قال الأستاذ السباعي: (من الإنصاف لنجيب جوفيل أنه لم يستخدم

منصبه الكبير لإيذاء أحد من الجماعة، بل لقد حاول مساعدة بعض الأسرى المنكوبة).

وبمثل هذا قال آخرون من جماعة الإخوان. والذي أراه أن الذين يستأجرون أمثال نجيب جويفل يشترطون عليه أن يهدم بالجملة، ويجعل من الجماعة الواحدة جماعتين أو أكثر، والهدم بالجملة لا يمنع الأجير من تقديم خدمات لا تضرُّ بالتجزئة ليقنع المغفلين بأنه إنما نحا هذا المنحى لينقذ ما يمكن إنقاذه.



اغتيال عدنان المالكي

اغتيال عدنان المالكي

العقيد عدنان المالكي:

هو عدنان محمد شمس الدين المالكي، سوري وُلد في دمشق سنة ١٩١٩ م، والتحق بالكلية العسكرية في ١٩٣٧ م بعد نيله شهادة الثانوية، وتخرج منها سنة ١٩٣٩ م برتبة مرشح ضابط. ورُفِعَ سنة ١٩٤٠ م إلى رتبة ملازم ثان. التحق بالقوات الوطنية السورية في معركة الاستقلال، وشارك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ م. واجتاز بتفوق دورة المدرسة الحربية العليا في فرنسا، والتي أهّلته شهادتها لحمل لقب ضابط ركن مُجاز.

كان عدنان المالكي يناصر الرئيس شكري القوتلي العداء، ولهذا فقد كان من أشدّ الضباط حماسةً لانقلاب حسني الزعيم^(١). ثم شارك بفعالية في انقلاب الشيشكلي، واختلف معه عندما انفرد في الحكم، فحاول أن يقود حركة تمرد ضده بالتعاون مع ضباط حزب البعث، إلا أن الشيشكلي كشف هذه الحركة قبل أن تنضج، واعتقل عدنان المالكي، وبقي في السجن ما يزيد على سبعة أشهر، وعاد للجيش بعد سقوط الشيشكلي. وآخر الوظائف التي أُسندت إليه هي: معاون رئيس الأركان العامة.

(١) يقول محمد سهيل العشي عن سبب هذه العداوة: (وربما كان مرد ذلك لشؤون تتعلق بأراضي زراعية بالغوطة، حيث لهما أملاك فيها). والعشي ابن دمشق ويعرف الأسرتين. انظر كتابه: «فجر الاستقلال في سورية».

اغتياله:

بتاريخ ٢٢ / ٤ / ١٩٥٥ م أُقيمت مباراة بكرة القدم في الملعب البلدي بدمشق بين فريق الجيش السوري وفريق الجيش المصري تحت رعاية رئيس الأركان العامة شوكت شقير. الضابط راشد الكيلاني الذي كان يجلس بالقرب من السدة يروي لنا أهم حدث في هذه المباراة فيقول:

(بعد بدء المباراة ببضع دقائق، سمعتُ صوت طلقة نارية، وكأنها تخرق رأسي، وعندما التفتُ إلى الخلف، رأيت رجلاً يرتدي لباس رقيب في الشرطة العسكرية، يصوب مسدسه إلى الأمام، وعينه غائرتان كأنه وحش مفترس، فرميتُ نفسي إلى الأرض، خوفاً أن تصيبني الرصاصة التالية، فقد كان هذا المجرم يقف وراءنا تماماً، وهكذا فعل معظم من كان بجوارنا، وعندما نهضتُ بعد توقف صوت الرصاص وجدت القاتل مرمياً على الأرض، فقد قُتل هو بدوره، من قبل أحد المشتركين في هذه المؤامرة، بقصد إخفاء الجريمة، كما وجدتُ أن عدنان المالكي قد لفظ أنفاسه الأخيرة، وبقي جالساً على كرسيه دون حراك ورأسه يتدلى على مسنده).

والذي أذكره أن سورية اهتزت من أدناها إلى أقصاها لاغتيال العقيد عدنان المالكي الذين لم نكن نسمع^(١) باسمه من قبل، كما سمعنا بإعدام حسني الزعيم وبسقوط أديب الشيشكلي، وقبل أن تتضح الأمور سارعت السلطات الأمنية إلى إغلاق مراكز الحزب السوري القومي، واعتقال الفاعلين من أعضائه، واعتبار الحزب حركة سرّية، فسحبوا الترخيص بإنشائه.

كان حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب القومي السوري ينشطان

(١) أعني أبناء جيلنا الذين ما كانوا يسمعون باسمه.

بين الأقليات، وكان عدد الأقليات في حوران ضئيلاً، ولم يكن بيننا - نحن الإسلاميين - وبين القوميين السوريين صدامات تستحق الذكر؛ لأن المدعوين عندنا غير المدعوين عندهم. كانت الصدامات على أشدها بينهم وبين البعثيين، وكان القوميون أهل تضحية وإقدام، ورسائل زعيمهم أنطون سعادة وأقواله عندهم كالقرآن الكريم عند المسلمين، ولا زلت أذكر أن أحدهم كان يترنم وهو يردد قول جوليت زوجة أنطون سعادة: (إن السجن لن يغير من عظمة الرسالة)، وصاحبنا الذي كان يردد هذه المقولة كان جاهلاً لا يفهم هذه الرسالة ولا من أرسلها!

المجتمع الطلّابي في تلك الأيام كان صورة واضحة لمواقف قادة الأحزاب السياسية، فالطلاب الذين ينتسبون لحزب البعث العربي الاشتراكي استغلّوا اغتيال المالكي استغلالاً لا يقف عند حدود اغتيال عقيد في الجيش السوري، وحملوا كلّ من لا يتفق معهم في آرائهم وزر الاغتيال، ثم زعموا أن اليمين وراء هذه المؤامرة، مع أن الجميع كان يدين الاغتيال.

تبين أن القاتل (يونس عبد الرحيم) رقيب في الشرطة العسكرية، وهو والذين أجهزوا عليه أعضاء في الحزب القومي السوري، وخلال ساعات قليلة استطاع جهازا المخابرات العسكرية [المكتب الثاني] والشرطة العسكرية اعتقال الغالبية العظمى من أعضاء الحزب القومي السوري، ثم تشكّلت المحكمة التي كان يرأسها القاضي بدر الدين علّوش، ومما يستحق الذكر أنه كان من بين الوثائق المضبوطة وثيقة تدلّ أن الحزب القومي السوري كان - اعتباراً من تاريخ ١١/١/١٩٥٥م - يمدّد مكتب المعلومات الأميركي بتقارير عن نشاط الشيوعيين والإخوان المسلمين

في [الجمهورية الشامية]، ويزوِّده ببعض المعلومات عن لبنان ونشاط الشيوعيين فيه لقاء تزويد الأميركيين للحزب بمعلومات تهمُّهم عن البلاد أو خارجها^(١).

تقدَّمت بنا الأيام وتوسَّعت معلوماتنا، فوقفنا على أمور مهمَّة أو جزها فيما يلي:

١ - جننا على ذكر اغتيال عدنان المالكي بعد مضي بضع سنين على هذا الحدث، وكان يتصدَّر مجلسنا ضابط في الاستخبارات العسكرية، وهو من خيرة إخواننا ديناً وأخلاقاً وذكاءً، فقال: صحيح أن الحزب القومي السوري هو الذي ارتكب هذه الجريمة، ولكنه استُدرج إليها من قِبَل جهة أخرى.

وكنْتُ لأوَّل مرَّة أسمع لهذا الكلام، فسألته: من هي هذه الجهة؟ فأجاب:

رئيس الأركان شوكت شقير، ورئيس الشعبة الثانية [المخابرات] عبد الحميد السراج، ورئيس الشرطة العسكرية أكرم ديري.

فقلت: لماذا لم تكشف المحكمة هذه المسألة؟!

فأجاب: غفر الله لك، فهذه الجهة الحاكمة هي التي اختارت رئيس المحكمة والنائب العام والقضاة، فهي موجَّهة.

فقلت له: من أين لك هذا؟!

فأجاب: هذا ما يتهماس به الضبَّاط في المخابرات العسكرية، لاسيَّما بعد أن دالت دولة هذه الجهة، وأيضاً فقد قرأت ملفَّات هذه القضية في [أرشفيف] الاستخبارات.

٢ - وعندما عدْتُ أقرأ ما نُشر فيما بعد تبَيَّن لي أن أحد قادة الحزب (جورج عبد المسيح) هو الذي اتخذ قرار هذا الاغتيال منفرداً، ولم تتخذ قيادة الحزب، فبعد

(١) انظر «مذكرات أكرم الحوراني»، ص ١٨١٠.

نشر قرار الاتهام توجّه عصام المحايري من سجن المزة مع بعض رفاقه الموقوفين بكتاب إلى الرأي العام يحمّل فيه جورج عبد المسيح وبعض القادة الحزبيين مسؤولية ارتكاب جريمة اغتيال المالكي، ويّتهمهم بخيانة أهداف الحزب ومبادئه^(١).

وفي سنة ١٩٥٧م عُقدت محكمة حزبية شكّلها الحزب القومي السوري، كانت نتيجتها إدانة جورج عبد المسيح بتخطيط وتنفيذ جريمة قتل عدنان المالكي، لدوافع خاصة بدون علم زعماء الحزب وقادته الآخرين، وأنه المسؤول عنها بمفرده^(٢).

وقال زميل دورة عدنان المالكي الضابط محمد سهيل العشي: (وقد جرى التحقيق بهذه الحادثة المروّعة، وبقيت هناك أسرار بين عبد الحميد السراج رئيس شعبة المخابرات وبين أكرم ديري آمر الشرطة العسكرية آنذاك. ووفاء لما حدث معي عندما كنتُ في وزارة الداخلية، أذكر أن رسالةً وردتني من أحد كبار مسؤولي الحزب القومي السوري وكان سجيناً في سجن المزة العسكري، تقول: بأن الحزب بريء من مقتل المالكي، فتشوا عن القاتل)^(٣).

كان العقيد عدنان المالكي يرأس أكبر تكتّل عسكري في الجيش، ويشمل هذا التكتّل جماعة الشيشكلي، وضباط حزب البعث، واليساريين وغيرهم، ولبعض هؤلاء طموحات يقف في وجهها شخصيّة المالكي التي لا يستطيعون تجاوزها.

وهذا التكتّل ينافسه تكتّل الحزب القومي السوري الذي كان قبل ضربه أكبر تكتّل عسكري في الجيش، كما كانت العداوة على أشدها بينهم وبين المالكي وتكتّله.

(١) «مذكرات أكرم الحوراني»، ص ١٨١٠.

(٢) «وطن وعسكر»، مطبع السّان، ص ٣٦٢.

(٣) «فجر الاستقلال في سورية».

ومن الجدير بالذكر أن عدنان المالكي لم يكن بعثياً وإن كان أخوه رياض من أعضاء الحزب الفاعلين، إلا أنه كغيره من كثير من ضباط الجيش يرفعون شعارات مشابهة لشعارات حزب البعث، وعندما يحقق أحدهم هدفه يتنكر للشعارات التي كان بالأمس ينادي بها. وللمالكي تجربة مريرة مع حزب البعث تحدت عنها محمد سهيل العشي في كتابه «فجر الاستقلال في سورية»، فقد اتفق معهم على القيام بانقلاب للإطاحة بأديب الشيشكلي، وتراجع البعثيون في اللحظات الأخيرة التي سبقت التنفيذ، وكان عدنان قد تورط فكان مصيره السجن ثم التسريح من الجيش. يقول سهيل العشي: (ذهبتُ مع الصديق الصَّبَّاح إلى دار عدنان المالكي، وإذا بي أفاجا به بلحية كثة على باب داره، يودّع الضيوف الذين كنت أعرفهم ويعرفوني. فوجم المالكي وهو يرحب بي، وقال: يلعن... لقد أخجلتني، فقلتُ: لماذا؟ أجاب: كنتُ أشتكك أمام هؤلاء الشباب، وأنت من جماعة الشيشكلي، وها أنت تفاجئني بالزيارة. فقلتُ له: من طول عمرك أجذب، ولقد احترت بماذا تنعنتني، فمرة زلّة القوتلي، ومرة زلّة الشيشكلي، ولم تدرك أنني لا أبيع نفسي، ولستُ ممن يُباع ويُشترى. ذهب الذين كان في وداعهم بعد سماعهم هذا الحوار، ودخلتُ مع الصديق الصَّبَّاح، وهو من ضباط أكرم الحوراني قلباً وقالباً، وما كدنا نجلس حتى صرخ عدنان بالأخ نبيه: يلعن... أنت وصاحبك... مو اتفقنا على القيام بالحركة؟ وليش تخاذل؟! والتفت إليَّ الأخ نبيه، وإذا به أصفر اللون من مفاجأة هذا القول، ومن وجودي أسمع الحديث.

رحم الله عدنان المالكي الذي كان كتلة متأججة من اندفاع الشباب وحماسه، ولكن بقناعات لا تخدم الصالح العام، ولا تصبُّ في قناة الحكمة والتؤدة المطلوب توفرها في مراكز أصحاب القرار.

ولن يغرب عن بالنا موضوع التعاون مع العراق لمكافحة الشيكلي، وهو أمر يحتاج إلى كثير من التمعُّن ووضعُه في الميزان، فقد كان السياسيون كلُّهم يعرفون في العراق انتهاءها آنذاك إلى بريطانيا، وأن الوصيَّ عبد الإله ونوري السعيد ومن يتبعهما، إنما يسير بتوجيه من الأم بريطانيا. فكيف نقيِّم إذاً هذا التعاون، والذي ذهب إلى حدِّ قبول المساعدات المالية^(١).

وقال الضابط مطيع السَّمان: (كان المالكي طيِّب القلب، ليس عنده مستودع أسرار ولا قدرة على خداع يمتاز على أقرانه السابقين، بيتاً وتربيةً وسلوكاً ووطنيةً، ومفهوماً للحياة العسكرية والاجتماعية واليومية.... وكان في الجيش من يسلِّط الأضواء عليه لأغراض ليست نبيلةً ويتَّهمه بكلِّ ما يصيب الآخرين من أضرار وما يُحجب عنهم من فوائد، يقصد حربه وخلق المطبَّات أمامه وتعميق الخلافات بينه وبين سواه)^(٢).

قالوا: لم يُسرَّح غسان جديد إلا لأنه علويٌّ.

وقال مصطفى طلاس: (يكفي لإسقاط هذه التُّهمة وبيان تهافتها أن عدنان المالكي كان قد اتخذ قراراً - وعلى مسؤوليته - بقبول كافَّة البعثيين المتقدِّمين للكلية الحربية، الدورة الثانية عشر [١٩٥٤ - ١٩٥٦ م] وعددهم سبعون طالباً من أصل مئة، وهذه الدورة التي أُطلق عليها اسم دورة المالكي هي الدورة التي أحدثت خللاً كبيراً في بنية التركيب العقائدي في الجيش السوري، وجعلت البعثيين أكثريةً مطلقةً، ولو كان المالكي طائفيّاً لكان دقّق في الهويّات، ووجد أن أربعين من أصل السبعين كانوا

(١) «فجر الاستقلال في سورية»، دار النفائس، محمد سهيل العشي، ص ١٥٥.

(٢) كتاب: «وطن وعسكر» مذكرات مطيع السَّمان، ص ٣٥٩.

علويين... وعندئذ كان أبعدهم عن الجيش، كما أبعدهم ذلك المُسمَّى غسان جديد^(١).
 إننا نوافق مصطفى طلاس في ردّه على مزاعم من قال: إن عدنان كان يكره العلويين، ولكننا لا نوافق في زعمه: إن الدورة الثانية عشر [١٩٥٤-١٩٥٦م] وعددهم سبعون طالباً من أصل مئة، هي التي جعلت البعثيين أكثرية مطلقة في الجيش السوري. إن طلاس يعرف جيّداً متى وكيف صاروا أكثرية مطلقة، ويعرف هل هم بعثيون، أم سمّوا أنفسهم بغير اسمهم الحقيقي!

دُفن عدنان المالكي في مقبرة المهاجرين، ثم نُقل جثمانه إلى الصّريح القائم حالياً في أعلى الشارع الذي سمّي باسمه، كما أُقيم في الساحة المجاورة تمثال له. ومما لا شكّ فيه أن الذين أقاموا صنماً لعدنان المالكي هم من المتجاهلين أو من المتحدّين لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، والرجس: هو من أخطأ الأعمال وأقذرها وأكثرها دناءة، ويكفي في وصفه قوله تعالى: ﴿رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

ها قد مرّ على إقامة هذا الصنم ستون عاماً، ومضى ذاك الجيل، وكلما شاهده من رزقه الله سلامة الفطرة تساءل: ماذا أراد الذين أقاموا هذا الصنم؟! هل أرادوا استغلال أمر هذا المسكين حتى بعد موته؟! فكان لهم المغنم في دنياهم! ويذكر هو بعد موته ذكرى مرتبطة بهذا الصنم؟! أم أرادوا عودة عصر هبل واللات والعزى؟! أم أرادوا فساد وإفساد مدينة المساجد ومدارس العلم والجمعيات الخيرية؟! وكما علمت من القادمين من دمشق أن الأصنام كثرت فيها، وأسأل الله لثورتنا المباركة أن تطهرها من كلّ ما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، وتعود أفضل مما كانت عليه قبل أن تُبتلى بهذه العصابة الباطنية المجرمة.

(١) «مرآة حياتي»، العقد الأول، ص ٤٦٥. مصطفى طلاس.

**الأوضاع العامة
من ١٩٥٤ - ١٩٥٨ م**



تمهيد:

عاد الحكم المدني بعد سقوط أديب الشيشكلي، وراح الناس يمارسون حرياتهم على أوسع نطاق، فمراكز الأحزاب التي كانت مقفلة ومختومة بالشمع الأحمر فُتحت أبوابها، ورجال المخابرات غابوا عن الوجود، ولم يعد الناس يخشون سطوتهم وبطشهم، وجرت الانتخابات، فكانت نزيهة وكانت الأكثرية لحزب الشعب، والحزب الوطني، وكتلة العشائر.

أما الإخوان المسلمون فلم يخوضوا غمار هذه الانتخابات خلافاً لموقفهم من انتخابات ١٩٤٧ م و١٩٤٩ م، لماذا؟! سأجيب على هذا السؤال عندما أتحدث عن الانتخابات الفرعية.

وفي غياب الإخوان وحاضتهم الإسلامية في دمشق بالذات نجح نائبان عن الحزب القومي السوري، ونائب عن الحزب الشيوعي كان له دور هدام في سياسة البلد.

اجتمع المجلس النيابي، وكان له دور في استقرار سورية، وبين ١٩٥٤ - ١٩٥٨ م تقلّب على رئاسة الوزراء: صبري العسلي، سعيد الغزي، وفارس الخوري. وترسّخ الاستقرار بعد عودة شكري القوتلي من مصر واختياره

رئيسًا للجمهورية، وللقوتلي شعبية قوية داخل سورية وخارجها وخاصة في مصر والسعودية. وفي ظلّ هذا الوضع الجديد أصبحت سورية قلب العربوبة النابض، ورفعت شعار الوحدة العربية، وتحرير البلدان العربية من نير المستعمر، وصار لها ثقل في السياسة العالمية.

قال أحد رموز اليساريين^(١) الذين كانوا من أشدّ المعارضين لرئيس الجمهورية وأركان النظام:

(والحقيقة التي تجدر الإشارة إليها أن الحكومة الوطنية وقيادة الجيش لم تضع أية عقبة أمام أبناء الشعب السوري على اختلاف معتقداتهم الدينية، وطبقاتهم الاجتماعية، أو انتماءاتهم السياسية، ولم تفرّق بين طائفة وأخرى أو بين المدن والريف). وقال أيضًا: (على أن واجب الأمانة للحقيقة يقضي بأن نؤكد أن الحكومة الوطنية لم تضع أي قيود تحول دون انتساب العناصر الحزبية للقوّات المسلّحة أو وظائف الدولة. وهذه فضيلة يجب أن تُذكر للنظام البرلماني الديمقراطي الذي كان يقوم أساسًا على أكثرية من الكتلة الوطنية بزعامة الرئيس شكري القوتلي، بينما نجد اليوم أن نظام الحزب الواحد يصنّف المواطنين إلى درجات حسب ولائهم للحزب... ويصرّ على مبدأ الجيش العقائدي)^(٢).

كلمة حقّ - وإن كانت قد جاءت متأخرة جدًا - لا سيما وقائل هذه الكلمة - أعني أحمد عبد الكريم - بقي سفيرًا حتى وقت متأخر للنظام الذي ينقده، ولكن

(١) اليسار الذي عرفناه في سورية: اشتراكي، قومي، علماني، ثوري، وحدوي، ومن أشهر هؤلاء حزب البعث الاشتراكي، الحزب الشيوعي بقسميه. وأغلبية المتتمين لليساّر مستقلّون، لكنهم يؤمنون بفكر حزب البعث.

(٢) انظر كتاب: «حصار سنين خصبة وثمار مُرّة»، مؤلفه: أحمد عبد الكريم، ص ٢٩٠.

المرجّم له لم يقل: إن هذا الحزب منذ توليه الحكم استهدف أهل السنة وحتى العصاة منهم. كما لم يقل: إنهم بطشوا بقيادة ومؤسسي حزب البعث، حتى إنه لم يبق لهم وجود، ولم يقل: إن حزب البعث أصبح طائفة باطنية قُرْمَطِيَّة.

الجيش والأحزاب:

رغم أن القوانين والأنظمة تمنع الحزبية داخل الجيش إلا أن الحكومات الوطنية كانت تفتقر إلى جهاز أمن يخبرها بمواطن الخطر، ومن جهة أخرى فقد كانت تعرف بعض الشيء ثم تغض النظر غير عابئة بأن هذا الجيش صنعته فرنسا، وعرفت من تقرب ومن تبعد.

وما كانت الحكومات الوطنية تجهل دور الأقليات داخل الجيش وتكتلها على شكل طوائف، فقد تباع الطائفة وتشترى بالقومية والوطنية، لكن الإطار الطائفي هو الأقوى وهو الذي يجمع الشيوعي مع القومي السوري، أو الشيوعي مع البعثي، وهكذا.

يتحدث أحمد عبد الكريم عن تكتل الدروز دون أن يذكر اسم الدروز صراحةً، فيقول: (كان الزعيم شقير يبدو وكأنه من الناحية السياسية أقرب ما يكون لحزب البعث العربي الاشتراكي، يعطي الانطباع بأنه على صلة وثيقة بالعقيد عدنان المالكي... ولكنه في الواقع كان يقف على المسافة نفسها من جميع الأحزاب... ويحاول أن يقنع حزب الشعب والحزب الوطني بأنه هو الذي يكبل نفوذ العقيد عدنان المالكي وإخوانه من الضباط البعثيين، ويحول دون هيمنة حزب البعث على الجيش، ويقاوم أنصار الشيشكلي، ويقاوم تسلط وزير الدفاع الدكتور معروف الدواليبي على الجيش، ويقلم أظافر أخيه المقدم مصطفى الدواليبي. وقد استغل هذه

الظروف بذكاء، وأصبح يتكلم باسم القوّات المسلّحة مع جميع القوّى، بل وينطق باسمها مع البعثات الدبلوماسية الأجنبية والعربية في دمشق.

وأذكر بهذه المناسبة أن العقيد توفيق عزّ الدين اقترح عليّ وعلى أمين النفوري مرّة في منزله التعاون مع اللواء شوكت شقير لتقليص نفوذ البعثيين في القوّات المسلّحة، وليكون له الدور الذي يستحقّه، وكان ردُّنا أن البلد والجيش لا يتقبّل زعامة شقير؛ لأنه لبناني، ولم يمض على حصوله على الجنسية السورية أكثر من خمس سنوات، وإننا نرفض العودة للتكتّلات في الجيش. ومنذ ذلك الوقت حصل بيننا وبين العقيد عزّ الدين نوع من الجفوة، وشعرنا بأن الزعيم شقير أخذ يُخَذِّرُنَا ويبتعد عنا^(١).

قائد قوّى الأمن الداخلي اللواء مطيع السّمّان ذكر رواية أحمد عبد الكريم دون ذكر اسمه وأضاف: (دعاه - المجهول الذي نقل عنه - توفيق عزّ الدين وأمين أبو عسّاف وجادو عزّ الدين وآخرون من الشاكلة نفسها^(٢))، إلى اجتماع في دار الأول للاتفاق معه، توطئةً للاتفاق مع زمّرتة بالجيش لأن تكون الولاية في رئاسة الجمهورية من بعد الأتاسي لشوكت شقير، إلا أنه لم يوافق، ولم يقبل لاعتبارات أفصح لي عنها، والله أعلم^(٣).

لقد ذابت الفوارق بين الدرزي اللبناني والدرزي السوري وبين أيّ درزي مهما كان وطنه، وأصبحت الرابطة الدرزية فوق أية رابطة، وكذلك كان حال سورية أيام الانفصال عندما أصبح عبد الكريم زهر الدّين قائداً للجيش، وفي سنة ١٩٦٧ م عندما بطش الحكّام النصيريون بشركائهم الدروز وقتلوا سليم حاطوم وبتطشوا

(١) كتاب «حصاد سنين خصبة»، لأحمد عبد الكريم، مصدر سابق.

(٢) أي من الضبّاط الدروز.

(٣) كتاب: «وطن وعسكر»، لمطيع السّمّان، ص: ٣٦٢.

بالضباط الدروز، لقد ذابت روابط الحزب كما يذوب الثلج بعد يوم مشمس، وأصبحت رابطة الطائفة تقابل وتقاتل طائفة أخرى دون أي ستار.

بقي سؤال أحسب من الأهمية بمكان طرحه: كيف استطاع شوكت شقير أن يخدع دهاقنة السياسة في سورية، بحيث صار كل منهم يشعر بأن شقير له وحده، ويسير في الاتجاه الذي يريده...؟ وفي وقت لا ينفع فيه الندم خرج هؤلاء السياسيون - رغم اختلاف أحزابهم وتباين مقاصدهم - بنتيجة واحدة، ألا وهي: أن شقير لم يكن مع أحد منهم، وكان يظهر خلاف ما يبطن، والذي يبطنه درزيته، فلقد كان مع درزيته وحدها وقائده كمال جنبلاط الذي كان لصيقاً به بعد استقالته من رئاسة الأركان، وهو وجنبلاط كانا متحالفين مع عبد الناصر، وهذا الدور الذي لعبه شقير لا يتقنه إلا من كان أكثر مراوغة من الثعلب، وكان بارعاً ذكياً، غزير الثقافة، وزيادةً على هذا وذاك لابد أنه كان يتقن التقيّة، والسياسيون يتعاملون مع قوميّ عربيّ ورئيس أركان الجيش، ولا يفهمون التقيّة، ولم يسبروا أغوار الباطنيين.

النصيريون والجيش:

قال المقدم محمد معروف: (كان العلويون يشكّلون ثمانين بالمئة من عداد الجيش خاصّةً في سلاح المشاة... ولهذا تسابق العديد منهم إلى الانخراط في جيش الشرق عندما بدأت فرنسا في الإعلان عنه).

محمد معروف من أبناء الطائفة النصيرية، وقد انتسب إلى الكلية الحربية منذ عام ١٩٣٩ م، فهو بأمر الجيش وأمر الطائفة عليم. وللقارئ أن يتصوّر أن أبناء الطائفة النصيرية الذين تتراوح نسبتهم ما بين ٧ إلى ١٠٪ من الشعب السوري، يشكّلون ٨٠٪ من عداد جيش الشرق. فالجيش جيشهم مهما التمس البعض الأعذار لهيمنتهم

على الجيش، هكذا أرادت فرنسا، وهكذا استمرّ الوضع كما كان أيام الاستقلال وإن كان هناك تغيير في الشكل.

برز منهم ضباط كبار من أمثال: عزيز عبد الكريم، وغسان جديد، ومحمد ناصر، ومحمد معروف، وعلم الدين قوّاس وغيرهم. وشاركوا في الانقلابات التي ابتليت بها سورية، وتقلّدوا مناصب مهمّة في الجيش وفي مختلف المراحل، وكان من أشهرهم العقيد محمد ناصر قائد سلاح الطيران الذي جرى اغتياله في ٣١/٧/١٩٥٠م، ووُجّهت التهمة إلى كلّ من إبراهيم الحسيني وعبد الغني قنوت، وتشكّلت لذلك محكمة خاصّة برئاسة القاضي إسماعيل القولي وعضوية المُقدّمين نبيه صباغ وحسن غنّام، وقد برّأت المحكمة بالأكثرية الحسيني وقنوت.

وننقل فيما يلي خبراً مهماً أدلى به العقيد محمد سهيل العشي في كتابه «فجر الاستقلال في سورية»، (ص ١٤٩)، قال العشي:

(وقد أسرّ لي الصديق المقدّم زهير الصلح، عندما كنت في باريس لعملية القلب المفتوح، أن العقيد سعيد حبي رئيس المخابرات العسكرية آنذاك، أفضى إليه بسرّ مقتل محمد ناصر، ذلك أن الشيشكلي استدعى سعيد حبي وطلب إليه التحقيق في خبرٍ يقول: إن محمد ناصر يُعدّ لانقلاب. وتوصّل سعيد حبي لمعرفة حقيقة الأمر، فإن انقلاباً كان معدّاً فعلاً بالتعاون مع القوات الأردنية، ونقل الصورة إلى الشيشكلي، وكان اغتيال محمد ناصر في اليوم التالي. وأضاف العشي: إنني أذكر هذا الحديث كما سمعته من فم صديق أعرف فيه الصدق مع كلّ احترامي للعقيد محمد ناصر ولعروبوته النقيّة، ولكنني أروي بأمانة ما سمعت مع كلّ التحفّظ).

إلا أن الضابطَيْن: غسان جديد ومحمد معروف، بلغا مبلغاً من التآمر على

وطنهم لم يبلغه أي ضابط سواء كان من أبناء الطائفة النصيرية أو من غيرها، وتحديدًا قبل عام ١٩٦٣ م، أما بعد هذا التاريخ فقد رأينا من الغدر والخيانة والإجرام بحق الآمنين من أبناء الوطن ما يندر ذكره في التاريخ.

لقد استطاع هذان الضابطان، بالتعاون مع حلف بغداد - كالعراق وبريطانيا وأمريكا - من تجنيد معظم أبناء الطائفة النصيرية، ومعظم أبناء الطائفة الدرزية، وبعض أبناء العشائر في المناطق السورية المجاورة للعراق.

ذكرنا في مطلع هذا الجزء تقريرًا لمحمد صفا نشرته وثائق حلف بغداد وعلّق عليه غسان جديد، هذا إضافةً إلى الكتاب الذي كتبه المقدم محمد معروف تحت عنوان: «أيام عشتها: ١٩٤٩ - ١٩٦٩ م» اعترف فيه بالمؤامرة وبالأموال والأسلحة التي كان يتلقاها من العراق، وعن تعاونهم مع أديب الشيشكلي، وسأعود إلى نقل فقرات من هذا الكتاب نظرًا لأهميته.

استهدفت المخابرات السورية غسان جديد تريد اغتياله، وبتاريخ [١٩ / ٢ / ١٩٥٦ م] الساعة الثالثة بعد الظهر، خرج غسان من مكتب الحزب في رأس بيروت، واستقلّ سيارته، وكان القاتل يترصّده [عزت شعث، فلسطينية الجنسية] وأطلق النار عليه من الخلف فقتله، وليست هذه هي المرّة الأولى التي حاولت فيها مخابرات عبد الحميد السراج اغتيال أو اختطاف غسان جديد، وباغتياله انتهت صفحات من التآمر على الحكم في سورية.

يقول محمد معروف: (كنت وغسان على لائحة الاغتيالات التي وضعها السراج، ولعلي كنتُ أكثرَ حذرًا منه، فالمرافقة المزوّدة بالرشاشات لم تكن تفارقني، كما أنّني استأجرت عدّة بيوت بأسماء مستعارة، وكنتُ أتنقّل بينها للمبيت ليلاً، وكلها

كانت محروسة، كما كنت أستخدم عدة سيارات، وكنت إذا خطر لي أن أحضر فيلمًا سينمائيًا - وهو أمر نادر الحصول - أدخل إلى الصالة بعد بداية العرض، وأخرج قبل نهايته، ويكون المقعدان اللذان عن يميني ويساري فارغين، كما كنت أشغل المقعدين من خلفي مباشرةً باثنين من عناصره، ورغم هذه الاحتياطات فقد تعرّضت لعدد من محاولات الاغتيال^(١).

كان معروف قادرًا على استئجار عدد من البيوت وأسطول من السيارات، وعدد كبير من الحرس المدجّجين بالسلاح، فكم كانت العراق تنفق عليه، وكم من الصعوبات كانت تذللها له؟!

محاكمة المتهمين:

في [٨/١/١٩٥٧م] عقدت المحكمة أولى جلساتها، وكانت قد تشكّلت على النحو التالي: العقيد عفيف البزري رئيسًا، وهو شيوعي، المقدم أمين النفوري عضوًا، المقدم صالح يوسف آغا، ومثل الادعاء العام العقيد محمد جراح وكان من سلك الدرك.

إذًا: فالمحكمة عسكرية موجهة من الجيش ومن المخابرات بشكل خاص، وهؤلاء يساريون يمثلون انتصار اليسار على اليمين في الجيش. وهي ليست محاكمة متهمين تتعامل معهم بالأدلة الدامغة بل هي محاكمة لليمين - كما يسمّونه - وللمحافظين الذين استنكروا هذه المؤامرة، ولهذا فقد سخرُوا أجهزة الإعلام في حملتهم الظالمة ضد خصومهم، فرئيس المحكمة زعم قبل المحاكمة أن جميع المتهمين مذنبون وسيعلقون قريبًا على أعواد المشانق في ساحة المرجة، وذهب ميشيل عفلق إلى

(١) «أيام عشتها»، ص ٢١٣.

أبعد من هذا عندما كتب في إحدى افتتاحيات جريدة البعث: (إن الطبقة الاجتماعية المحافظة، لا المتهمين فقط، هي المجرمة؛ لأن مصالحها الخاصة دفعتها للقيام بهذه المؤامرة، فلا بد من تدميرها).

فمن هي الطبقة الاجتماعية المحافظة؟! وإذا كنا غير متمسكين بديننا وبالعوادات والتقاليد العربية الأصيلة فماذا يبقى لنا في هذه الحياة؟! لقد ظهر عفلق على حقيقته وعلى غير ما اعتاد أن يتستر به...

وتمضي الأيام، ويكبر الطلبة الذين تعهدهم عفلق بالتربية والإعداد، وعندما استوى عودهم أبوا إلا أن يسقوا عفلق من الكأس التي حاول أن يسقي خصومه منها، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِعَصَادٍ﴾ [الفجر: ١٤]. لقد اتهمه طلابه بكل ما اتهم به خصومه، مما اضطره للهرب من سورية لا يلوي على شيء.

صدرت أحكام ظالمة جائرة، وكان معظمها بالإعدام، والذي حاك هذه المؤامرة من ألفها إلى يائها يحدثنا في كتابه: «أيام عشتها»، عن مهزلة هذه الأحكام، ونكتفي بمثالين:

الأول: يقول محمد معروف: (صبحي العمري: ضابط سابق في العهد العثماني، ونائب عن دمشق، شغل منصب المدير العام للأمن العام السوري، كان يزورني عند قدومه إلى بيروت بين الحين والآخر، ولم يكن قد صدر بحقي آنذاك أي حكم. في إحدى زيارته كان غسان [جديد] عندي على الغداء، فتناول الطعام معنا، وقبل أن يغادر غسان قال لي: منذ الآن سأتصل بك باسم جورج خوري، وعليك أنت أن تتصل بي باسم مستعار أيضًا. فقلت له بشكل عفوي: فليكن فيليب ضرغام. ودوّنت هذا الاسم المستعار على جواز سفري العراقي بدلاً من اسمي الحقيقي).

وعندما اعتُقل صبحي العمري، وكان معروفًا بتردّده عليّ - وشهد الله أنه لم يكن له أي دور في الحركة أو معرفة بها - صودرت منه مفكرته، وكان قد سجّل عليها رقم هاتفي واسم جورج خوري - أي غسان جديد - واسم فيليب ضرغام - محمد معروف - وكانت هذه هي وثيقة الاتّهام الوحيدة ليُحكم عليه بالسجن المؤبّد).

الثاني: (الدكتور منير العجلاني: أستاذ القانون في الجامعة السورية والنائب الدائم عن مدينة دمشق، والوزير المستقلّ في أكثر الوزارات منذ الاستقلال، وهو - بحق - سيّد المنابر، تجمعني به صداقة ومعرفة منذ الانقلاب على حسني الزعيم. كنت على العشاء في مقهى «العرعار» الواقع بين برمانا وظهور الشوير، فلمحت الدكتور العجلاني وبصحبته عدنان العائدي، تركت طاولتي للسلام عليهما، وقبل وداعهما طلب الدكتور العجلاني أن أعطيه رقم هاتفي وعنواني؛ لأنه سيزورني في اليوم الثاني، ففعلت. في اليوم الثاني وفي الموعد المحدّد وصل إلى منزلي الدكتور العجلاني ومعه العائدي، ومن سوء الحظ أن صلاح الشيشكلي دخل عليّ بعد وصولهم بدقائق وبصحبته برهان أدهم - الذي جنّده السراج فيما بعد للعمل في المخابرات معه - وكان الحزب السوري القومي قد اكتشف علاقة برهان أدهم هذا مع السراج، ولكننا أبقينا عليه لتمير ما نوذّر إيصاله إلى المكتب الثاني، وكان في نيتنا بعد ذلك إلقاء القبض عليه، فكنا نشركه في بعض اجتماعاتنا ونزوّده ببعض الأخبار الملفّقة بغية التشويش، غير أنه شعر بالخطر بعد عدّة اجتماعات فانسحب ولم يعد.

كانت هذه الزيارة لمنير العجلاني سببًا في إصدار حكم قضائي عليه بالحبس لمدة عشرين عامًا).

وبعد ذكره للظلم الذي لحق بالمتهمين، ختم معروف كلامه بقوله:

(وأقول هنا كلمة حقٍّ للتاريخ والوطن: إنه لم يكن للمدنيين جميعاً - إذا استثنينا الأمير حسن الأطرش، والنائب هایل سرور [رئيس عشيرة المساعيد]، وسامي كُبَّارة - أي علاقة فعلية بالحركة. لقد حوكموا وصدرت في حقهم أحكام متفاوتة، وكان ذلك على أساس النوايا والميول فقط وليس على أساس الفعل. وعلى هذا الأساس نفسه كان يجب أن يُحاكم قسم كبير من الشعب السوري؛ لأنه كان يرى أن الحكم في سورية مطبَّعة للمخابرات ولفئة متسلطة من ضباط الجيش)^(١).

قلتُ:

لقد كانت هناك مؤامرات وليس مؤامرة واحدة. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وعراق نوري السعيد، متورطة في هذه المؤامرات. ولو تشكَّلت محكمة مستقلة [وليست عسكرية]، وعُرض عليها المتهمون لتبيَّن الحق من الباطل، ولتجنَّب البلاد فتناً كثيرة، ولكن المحكمة العسكرية التي شكَّلتها أهل اليسار، أدانت الأبرياء، ولم تتَّهم بعض المتورطين الذين جاء ذكرهم في وثائق حلف بغداد.

فويلٌ، ثم ويلٌ، ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء

(١) «أيام عشتها، ١٩٤٩-١٩٦٩»، المقدم محمد معروف، ص ٢٥٦-٢٥٧.

البعث النصيري

هل هناك أكثر من بعث؟! نعم هناك بعث نصيري، وآخر عفلقني، وثالث حوراني، وإليكم الحقائق التي جهلها معظم الناس في بلادنا، وظنوا أن وراء هذه الجعجعة طحناً.

اغتيال العقيد عدنان المالكي سنة ١٩٥٥ م لم يعد جريمةً يفصل فيها القضاء المستقل، ولكن اليسار استغلَّ هذا الحدث وبطش بالحزب القومي السوري- كلَّ الحزب سواء كان مذنّباً أم بريئاً- ثم اتَّخذ من هذا الحدث وسيلةً لإرهاب من يخالفهم الرأي، والغريب أنه جرى اغتيال العقيد محمد ناصر من قبل، وتشكَّلت محكمة مزيفة برأت المتهمين، ثم خرجوا وكأن شيئاً لم يكن، فما هو الفرق بين هذا العقيد وذاك العقيد؟!

ومن جهة ثانية: فإن أصحاب الاتجاه المخالف لليसार ليس لهم أيُّ علاقة باغتيال المالكي، ولم يخالفوا قرارات أهل اليسار، ووافقوا على تشييد صنم لعدنان المالكي، والمهم عندهم أن يسلموا من أيِّ اتِّهام بالتواطؤ مع المتهمين.

ومن جهة ثالثة: فبعد ما يُسمَّى انتصار مصر عبد الناصر في معركة قناة السويس، قويَّ التقارب بين أهل اليسار وعبد الناصر، وأصبح هذا الفرعون رمزاً للوحدة والحرية والاشتراكية، وصار محمود رياض سفيره في دمشق يملك من التوجيه والتأثير ما لا يملكه شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية.

وهذا يعني أن المحور المصري قد انتصر على محور بغداد، ومما لا ينقضي عجبني منه: سداجة شعوبنا؛ فمصر عبد الناصر كانت مرتبطةً بأمريكا، وهذا ما تحدّث عنه

المعارضة المصرية وقتذاك، ثم ظهرت فيما بعد وثائق فاضحة، وعراق نوري السعيد كانت مرتبطة بأمريكا من خلال حلف بغداد، فكيف يكون ارتباط أهل اليسار مع مصر انتصاراً للعرب، والارتباط ببغداد خيانة؟!

وإذا: فلقد هُزم الحزب القومي السوري، وأبعدت عناصره من الجيش السوري، وكان من قبل من أقوى الأحزاب داخل الجيش السوري، وبإبعاده خلا الجوُّ لحزب البعث العربي الاشتراكي، وإذا استثنينا الشيوعيين والإسلاميين فهناك تداخل بين الأحزاب في سورية، فأكرم الحوراني كان قومياً سورياً، وبعد حزب الشباب الحموي أسس الحزب العربي الاشتراكي، ثم توحد مع حزب البعث العربي الاشتراكي، وكذلك أديب الشيشكلي انتقل من الحزب القومي السوري إلى حركة الاتحاد العربي، فهذه الأحزاب وسيلة وليست غاية، وإذا تحقق الهدف - أعني المنصب - فداعية الوحدة يصبح انفصالياً، وداعية الحرية يصبح مستبداً، وداعية الاشتراكية يصبح من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة.

أعود إلى عنوان هذه الفقرة: «البعث النصيري»، فأقول: لقد استطاع العقيد غسان جديد، ومن معه من أبناء الحزب، تجنيد أبناء الطائفة النصيرية في حزبهم، وكان تدريبهم في لبنان على شكل دورات، فبعضهم يعود وينتظر اليوم الموعود، والبعض الآخر شكّل غسان جديد منه جيشاً بلغ تعداده عدّة آلاف، ولكن أحداث المنطقة سارت بغير الاتجاه الذي يريده غسان ومعروف وبغداد نوري السعيد، وما كلُّ ما يتمناه المرء يدركه.

لقد جرى اغتيال غسان جديد، واشتدّ الطغيان اليساري في سورية بعد معركة قناة السويس، ثم نشبت حرب أهلية بين المسلمين والنصارى في لبنان، ثم وقع انقلاب وحشي في العراق سُجل فيه نوري السعيد، والشاب الملك فيصل بن غازي

ابن فيصل، وولي العهد عبد الإله بن علي، ولم يَسَلَم أحد من أبناء الأسرة الحاكمة. جاءت الفرصة المناسبة لأكرم الحوراني وبعثه لاقتحام الجبل النصيري، ومدينته حماة قريبة جدًا من الجبل.

فكان أول انتصار حققه الحوراني اعتبار مدينة حماة والقرى المجاورة لها مركزًا انتخابيًا واحدًا، وأكثر القرى المجاورة نصيرية، ونكايةً بالإسلاميين سينتخب النصيريون أكرم الحوراني وقائمه، فهو يعدهم بالقضاء على الإقطاع والرأسمالية، وتوزيع الأراضي على من يستحقها، ولولا ضم القرى إلى المدينة ما نجحت قائمة الحوراني.

قال المقدم محمد معروف: إن اللواء سامي الحناوي استدعاه إلى مكتبه وقال له: «إن الانتخابات في حماة مغلقة لقائمة عبد الرحمن العظم، وحسني البرازي، ويجب مؤازرة أكرم الحوراني». وإنه «لا أمل له في النجاح إلا إذا شعر الناصبون بأن الحكومة تقف إلى جانبه»، وأضاف أعضاء المجلس العسكري: «إنه لا يجوز في هذا الوقت أن يكون أكرم الحوراني خارج المجلس النيابي».

وقال: «كنا جميعًا [في المجلس العسكري] موافقين، فتقرر إرسال قوة عسكرية إلى حماة، وتعيين المقدم سليمان ناجي آمرًا للمنطقة. وعُيِّن الملازم محمد كامل الصالح، وهو قريب لي [أي لمعروف]، في الشرطة العسكرية هناك.

جرت الانتخابات... وقد أعلمنا بأن لائحة عبد الرحمن العظم تكتسح الموقف، وكان الوضع مختلفًا في ريف حماة، حيث الغالبية من العلويين، وكثير منهم من عشيرة محمد كامل صالح، فتمكّن من التأثير على بعضهم، فانتخبوا أكرم الحوراني. وهكذا نجح أكرم الحوراني بفارق ١٢٨ صوتًا عن آخر مرشح في قائمة عبد الرحمن العظم وهو الشاعر بدر الدين الحامد».

جدير بالذكر أن ميشيل عفلق وصالح البيطار سقطا في هذه الانتخابات، وكذلك وهيب غانم، وهذه هي شعبية حزب البعث في أوساط السوريين إذا جرت انتخابات نزيهة.

وفي اليوم الثاني من ظهور نتائج انتخابات حماة، كتب منير الرئيس في افتتاحية جريدة القبس متسائلاً مستغرباً:

لماذا حشدت الدولة كل أنواع الدعم المادي والمعنوي لوزير [أكرم الحوراني] لتفرضه نائباً، ولتجمع له الأصوات بجميع الوسائل من الضغط والإرهاب؟! ووزير آخر يكدح ويعرق ويلهث، هو وحزبه، فلا يجد من الدولة غير الإعراض [ويعني ميشيل عفلق^(١)]، «فهل يجوز أن يكون في الحكومة الواحدة وزراء مضطهدون وآخرون مدللون؟ فوزير الزراعة في حماة - أكرم الحوراني - تُسجى له المواكب والكتائب المسلّحة في المدينة والريف، وتطوف المصفّحات غادية رائحة تتهادى وتزجر وتربط في الساحات العامة والشوارع، ويفتّش رجال الجيش الداخلين والخارجين من المدينة وإليها... والوزير في ظل هذه المواكب المسلّحة يطوف بسيارته الرسمية بعض القرى والأحياء واعدًا باسم الحكومة والجيش أنصاره بالمن والسلوى ومتوعّدًا خصومه بيوم عبوس قمطير».

اعتقلت السلطة منير الرئيس بسبب هذا المقال، ومكث أياماً في سجن المزة، ثم أُفرج عنه^(٢).

قدّم أكرم الحوراني بالذات، ومن ورائه حزب البعث، الكثير الكثير لأبناء

(١) ما بين قوسين من قولي.

(٢) انظر التفصيل في كتاب: «أيام عشتها» - مصدر سابق - للضابط محمد معروف.

الطائفة النصيرية، ومن أهم ما قدّموه لهم تسهيل قبول أبنائهم في الكلية العسكرية، وهو الدور الذي تكفّلت به فرنسا عندما أسست جيش الشرق، فضمن لهم البعث الأكثرية في الجيش، أو لنقل: الأكثرية المنظّمة طائفيًا.

في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي عرف التنظيم العسكري لحزب البعث ثلاثة ضباط ينشطون في صفوفه، وهم: محمد عمران، صلاح جديد، وحافظ الأسد. عمران يذكره أكرم الحوراني في مذكراته بشيء من الكراهية وعدم الارتياح، وهذا شأن الحوراني، أما دوره داخل التنظيم فلا اعتراض عليه. وأما صلاح جديد فكان قوميًا سوريًا، وعند حاجته الماسّة قدّم له مصطفى حمدون المساعدة، فكان ذلك مقدّمةً لانتقاله من القومية السورية إلى القومية العربية. وأما الأسد فكان بعثيًا منذ كان طالبًا في ثانوية اللاذقية.

وجود هؤلاء الضباط في صفوف البعث لا يثير أي ريبة أو شبهة؛ لأنه لا فرق عندهم بين دين ودين آخر، أو بين طائفة وطائفة أخرى، وزيادة على ذلك كلّهم تابعون وليسوا متبوعين.



من مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرِ

من مأمّنه يُؤتى الحذر

الحذر - مهما كان - لا يدفع عن المرء ما لا بدّ له منه، وإن جهد جهده، وقيل: (لا ينفع حذر من قدر). وهذا مثل عربي قديم ذكره الميداني في «مجمع الأمثال». ولو جاء رجل من بطانة أكرم الحوراني^(١) وقال له: إياك ثم إياك من هؤلاء الضبّاط الثلاثة [عمران، وجديد، وأسد]، إنهم يعملون من أجل تشكيل بعث جديد ليس له أدنى صلة ببعثكم، وسوف يبطشون بكم إذا نجحت مؤامرتهم، فهم يكرهونكم أشدّ الكراهية، ويكرهون ما تدعون إليه من وحدة وحرية واشتراكية!

إذا افترضنا أن الحوراني صبر على محدّثه حتى أتمّ نصيحته، فسوف ينفر منه وينأى بنفسه عنه، لأنه يعتبره دسيّسةً من دسائس الاستعمار والرجعية، أو على الأقلّ فلسوف يسخر منه ويتنذّر بقصته:

ضبّاط أغرار ليسوا من قيادة الحزب الفكرية والإدارية، كيف سيسرقون حزب البعث منا؟! المرء يسرق متاعاً أو طعاماً ولكن كيف يسرق حزباً؟! إنه لأمر مضحك!!

لكن الذي حدث فيما بعد أن هؤلاء الضبّاط الثلاثة سرقوا الحزب كله وسمّوا

(١) مؤامرة هؤلاء تستهدف حزب البعث بجميع هياكله، وإنما ذكرت أكرم الحوراني بالذات لأنه تاريخياً مسؤول عن التنظيم العسكري البعثي، ومن جهة أخرى فهو من أشدّ البعثيين حذراً، وأكثرهم دهاءً ومكرًا وخبثاً.

الأمر بغير أسمائها، وطاردوا مؤسسي الحزب وأهل الرأي فيه من غير شفقة ولا رحمة: أعدموا واغتالوا عدداً منهم، وغَيَّبُوا في غياهب سجونهم عدداً أكبر، وآخرون منهم تيسَّرت لهم أسباب الهرب من البلاد، وعاشوا بقية عمرهم في المنفى بين بيروت، وباريس، والجزائر، والأردن، ولندن، ولنبدأ بالقصة من أولها:

وصل الأسد إلى القاهرة عام ١٩٥٩م، ويقول عن نفسه: إنه وجد القاهرة مكتئبة من الوحدة مثل اكتئاب سورية. وبعد أن يتحدَّث عن موقف السوريين من الوحدة يقول عن البعث: أما بالنسبة للبعثيين فكانت الشكوى المتكررة من مسألة انتحار حزبهم. فالانصياع لإلحاح عبد الناصر على أن يحلَّ الحزب نفسه، جعل عفلق يترك البعث دونها قيادة ولا دفاع... وانتاب الأسد وأصدقائه في منفاهم في القاهرة شعور بالصدمة؛ وحتى بالخطر... وأوصلت أيام البطالة والغضب في القاهرة إلى نقطة الغليان سخطاً كانت تجيش به صدورهم ضد عفلق والبيطار، اللذين اتخذوا قرار حلَّ الحزب سنة ١٩٥٨م بدون استشارة قواعده، فاعتبروا ذلك جريمة.

واستذكر الأسد تلك الأيام بقوله^(١):

(لقد أصبحنا فاقدى الثقة في التزامهما بأهداف الوحدة والاشتراكية، وشعرنا بأنهما كانا يتاجران بالشعارات... والواقع أن الريفيين الحشنيين الذين انضموا إلى الحزب من خلال تيار الأرسوزي لم يكنوا قط أي إعجاب بالمنظرين الدمشقيين البرجوازيين).

وعندما راح الضبَّاط الشباب ينظرون في مأزقهم أقنعوا أنفسهم بأن عفلق

(١) تنظر التفاصيل اللاحقة في كتاب «الصراع على الشرق الأوسط»، باتريك سيل، صديق الأسد ص ١٠٤ فما بعدها.

والبيطار رحبا بإنهاء الحزب، لأن ذلك أتاح لهما إسكات الانتقاد الذي كان بين القوى الأكثر راديكالية في قواعد الحزب.

ولكن، ألم يكن عبد الناصر ملومًا مثل عفلق؟ يقول الأسد:

(لقد شعرنا بعداوة هائلة حيال حزبنا، وهي عداوة تنزل مسلسلًا من عبد الناصر نفسه).

ففي سنة عام ١٩٦٠م أقامت المجموعة الأولى تنظيمًا سرّيًا أطلقوا عليه اسم (اللجنة العسكرية). كان الأسد في الثلاثين من عمره... وقد تبدّى من شخصيته منذ ذلك الوقت خصلتان تطوّرتا كثيرًا فيما بعد: الأولى كانت انتهاجه السريّة التي استعملها كسلاح لكسب الوقت، والإمساك بزمام المبادرة النفسية، وإخفاء ما يتخذه من قرارات. والثانية كانت إدراكه المبكر بأن اللاعبين السياسيين الآخرين لا يسهرّون على إعداد ما عليهم من عمل، وأنهم لا يتمتّعون بذاكرة جيدة، ويتصرّفون بطريقة اندفاعية. وخلال جميع مراحل حياته كانت أكثر صفات تحركاته استمرارًا معه هي صفة الحذر والتخطيط الصبور الذي يسبق هذه التحركات. وقد تعلّم أن يتفحّص بعناية الأرض قبل أن يبدأ بالتحرك عليها.

كان أكبرهم والدماع الموجه لهم هو المقدّم محمد عمران المولود عام ١٩٢٢م، وهو ينحدر من عائلة صغار ملاك الأرض، تنتمي إلى عشيرة الخياطين. لعب عمران تحت تأثير أكرم الحوراني دورًا صغيرًا في الانقلاب ضد الشيشكلي عام ١٩٥٤م. كان مولعًا بالقراءة والنقاش... وعندما أُوفد في وقت مبكر إلى فرنسا لمتابعة دورة تدريبية أدهش أصدقاءه بتفضيله الذهاب إلى المكتبة العامة بدل الحانات والمقاهي. ولكن كان ينقصه مقدار من القسوة ليتماشى مع الخشونة، التي راحت تتزايد داخل مجموعته. وقد دفع فيما بعد ثمنًا غاليًا لانعدام القسوة عنده.

أما صلاح جديد فكانت شخصيته مناقضةً لعمران. كان يابسًا، صموتًا، ذكيًا، دقيقًا، كان يؤثر الاستماع أكثر من التكلم، ولذلك كان يجعل الآخرين يحسّون وكأنه يخصي عليهم كلماتهم ليستعملها ضدهم ذات يوم، وله آراء واضحة اليسارية، وحين احتدم الصراع على السلطة قُدِّر له أن يكون منافس الأسد الرئيسي.

وُلد جديد عام ١٩٢٦ م، وينتمي إلى أسرة متوسطة من عشيرة الحدادين التي هي أكبر وأهم العشائر العلوية، كان ولاؤه للحزب القومي السوري، ثم بدّل موقعه وانضمَّ إلى البعث عندما كان ملازمًا ثانيًا في الخمسينيات. ولهذا التغيير قصة، فقد اصطدم ذات يوم مع أمره المباشر، فلجأ طالبًا المساعدة من مصطفى حمدون الذي كان أحد رجالات الحوراني ويعمل في المخابرات العسكرية، وبعد أن حلَّ حمدون مشكلته أدخله في الحزب.

وهذا مثال على الكيفية التي كان الحوراني والبعث يكسبان بها أصدقاء عسكريين...

أما شقيقه غسان جديد فقد بقي في الحزب القومي السوري وأصبح واحدًا من قادته، وجرى اغتياله في بيروت سنة ١٩٥٧ م، ويُقال: إن ذلك تمَّ بأمر من رئيس المخابرات السورية عبد الحميد السراج.

كان عمران أوسعهم ثقافة، وجديد أكثرهم مكرًا، والأسد أشدَّهم حذرًا. قال (باتريك سيل):

وكان أول عمل قاموا به هو أنهم أقسموا على السرية، وكان لديهم جميعًا تجربة في التعرجات السياسية، وكانوا مشتركين في غريزة قديمة هي غريزة الكتمان والتقية التي تتصف بها مجتمعات الأقليات المضطهدة في الشرق الأوسط، كانت خليتهم في عزلتها أشبه ما تكون بالمحفل الماسوني.

ويقول حافظ الأسد:

(كانت السلطات المصرية مستمرة في مراقبتنا، كانت تعرف أننا بعثيون سابقون، وأننا ننتقد ما يجري، إلا أنهم لم يكونوا يظنون أننا بقادريين على عمل أي شيء، والواقع أننا لم نكن قلقين كثيرًا من المصريين، كان خوفنا الحقيقي هو أن يكتشف قادة حزبنا ما نقوم به من نشاط).

وفي موضع آخر قال حافظ الأسد: (سافر عمران وجديد إلى سورية، والتقى سرًا ببعض البعثيين المدنيين مستطلعين آراءهم، ومقدمين لهم التشجيع ولكن بدون أن يكشفوا لهم أنهم قد أقاموا منظمة عسكرية سرية. وقد تمّ الالتزام بالكتمان نفسه تجاه زملائهم المنفيين في مصر). وقال الأسد مستذكرًا فيما بعد:

(لم يكن الضباط الذين اتصلت بهم يدركون بأن هناك تنظيمًا وقيادة، رغم أنهم كانوا يعرفون أنني اشتغل بالسياسة كعضو في الحزب، وكانوا يرون أن اقترابي منهم ليس عفويًا؛ وبعد مدة تشكّلت ثقة كافية لجعلهم يحتفظون لأنفسهم بأية معلومات نقلتها لهم. فالبعثيون - ولا سيما العسكريون من بينهم - لديهم إحساس بمشاكل الأمن، ولم يسألني أحد: من أنت بالضبط؟ ومن تمثل؟).

ويضيف الأسد:

(كان معظمهم [الضباط الذين انتظموا معهم] من خلفية ريفية... ولم يكن هناك أحد من دمشق أو المدن الأخرى، وكان عدد كبير منهم من الأقليات الدينية).



لابد لأبناء هذه الأمة بعد هذه النكسات من معرفة أساليب ومداخل عدوِّنا. كيف يحاربنا؟ وكيف يُظهر ما لا يبطن؟ وما هي الثغرات في صفوفنا التي يتسلل من خلالها؟ ولهذا فقد عمدت إلى نقل ما قاله حافظ الأسد عن إنشاء (اللجنة العسكرية)، وما قاله (باتريك سيل)، الذي كان قريباً من حافظ أسد، ومؤتمناً عنده على كتابة سيرة حياته، وكانت لي هذه الوقفات:

الوقفة الأولى:

المجموعة الأولى من هذ التنظيم العسكري تتألف من: محمد عمران، وصلاح جديد، وحافظ أسد، دون أي إضافة أخرى، وهذا ما أشار إليه الأمين العام لحزب البعث في كتابه: «التجربة المرة»^(١)، وآخرون من قادة حزب البعث.

أما المجموعة الثانية فتتألف من: محمد عمران، صلاح جديد، حافظ أسد، أحمد المير، عبد الكريم الجندي، وهذه رواية حافظ أسد لـ (باتريك سيل)، وكان ذلك في عام ١٩٦٠م.

والمجموعة الثالثة، وهي التي تحدّث عنها مصطفى طلاس، حيث يقول في كتابه «مرآة حياتي»: وفي أوائل شهر نيسان من العام ١٩٦١م جاءني الرفيق أحمد المير،

(١) منيف الرزاز.

وقال لي: هناك موضوع مهم أودُّ أن نتحدّث به معاً... وتابع الرائد أحمد المير كلامه: إن الجماعة [ويقصد الحزبيين العسكريين] قرّروا المباشرة بإنشاء تنظيم سريّ داخل القوات المسلّحة، وذلك أن رفاقنا المدنيين لا يمكن أن يعوّل عليهم.

ومضى يحدّثه عن سوء قادة الحزب، وبعد سؤال وجواب قرر طلاس الانضمام لهذا التنظيم.

فلماذا كنتم أسد أمر هذا التنظيم عن زميله طلاس سنة أو يزيد؟ وبعد نجاح انقلابهم، وأصبح الحديث عن التنظيم العسكري ليس سرّاً مطلوباً كتمانهم فقد تعمّد مؤسسوه ذكر روايات متناقضة عن نشوء هذا التنظيم، وقد أصاب (باتريك سيل) في قوله عن الضبّاط الخمسة: (وكانوا مشتركين في غريزة الكتمان والتقّيّة، التي تتّصف فيها الأقليات المضطّهدة في الشرق الأوسط، كان ثلاثة من الخمسة علويين، واثنان [المير والجندي] من فرقة شيعية أخرى هي الإسماعيلية، وكانت خليتهم في عزلتها أشبه ما تكون بالمحفل الماسوني).

الوقفّة الثانية:

هم بعثيون، ولكنهم يكرهون قيادة حزب البعث، ولا ثقة لهم بالرفاق الحزبيين المدنيين، كيف؟! يقول حافظ أسد: (والواقع أن الريفيين الحشنيين الذين انضموا إلى الحزب من خلال الأرسوزي لم يُكنُوا قط أي إعجاب بالمنظرين الدمشقيين البرجوازيين.

وعندما راح الشباب ينظرون في مأزقهم أقنعوا أنفسهم بأن عفلق والبيطار رحبا بإنهاء الحزب؛ لأن ذلك أتاح لهما إسكات الانتقاد الذي كان يتفاعل بين القوى الأكثر راديكالية في قواعد الحزب).

وفي موضع آخر يقول أسد:

(كانت المخابرات المصرية تعرفنا وتعرف أننا ننقدهم، وما كنا نخشاهم، كان خوفنا الحقيقي هو أن يكشف قادة حزبنا ما نقوم به من نشاط... وقد تمّ الالتزام بالكتمان تجاه زملائهم المنفيين في مصر).

ويروي طلاس فيما يرويّه بكتابه «مرآة حياتي»، أن أكرم الحوراني كلّفه بالاتّصال بزعيم حزب الشعب للاتفاق على مستقبل سورية بعد عبد الناصر، ونفّذ طلاس المهمّة، ثم عاد إلى اللجنة العسكرية وأخبرها بما فعل، فقال المقدّم محمد عمران: (أنا أعرف الناس بأكرم الحوراني، فهو مستعد أن يتعاون مع الشيطان من أجل الوصول إلى غايته).

أكرم الحوراني هو الذي تولّى رعاية هؤلاء، فلماذا يحقدون عليه هذا الحقّد؟ ومن الجدير بالذكر أن ما قاله عمران عن الحوراني صحيح.

والسؤال الثاني: هل أقفر الحزب من الرجال ولم يبق إلا ثلاثة ضباط نصيريين واثنان من الإسماعيليين؟! أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟! ولماذا بقي الحكم بيد هؤلاء الثلاثة لا يتجاوزهم، وورثه الابن عن والده؟!

لعل فيما حدث درس لكل مسلم سني، وليعلم أنه لن يسلم من كيد هؤلاء ولو خرج من جلده أو تخلّى عن أهم أركان الإسلام تقرّباً لهم، وفي هذا الصدد يقول منيف الرزاز في كتابه «التجربة المرّة»: (كان في ظن الناس في الوطن العربي، وفي ظنّ البعثيين بشكل خاصّ خارج سورية، بل وداخل سورية أيضاً، أن حزب البعث يحكم سورية، ولكن الحقيقة التي بدأت تتضح بالتدريج هي أن هناك حزبين بعثيين في هذا القطر: حزب بعث عسكري، وحزب البعث، وأن القوة الحقيقية الحاكمة هي حزب

البعث العسكري، وأن هذا الحزب مختلف في منطلقاته السياسية عن حزب البعث، وأما في التنظيم فهو يعمل على أن يرث الحزب بعد أن يزرع قياداته بالتدريج).

وهذا الذي حدث، لقد زرع العسكريون قيادتهم وأخرجوا من الحزب قيادة حزب البعث: كالحوراني، وعفلق، والبيطار، ثم أمين الحافظ. ووصل بطشهم إلى رئيس اللجنة العسكرية محمد عمران، وغيره.

ولكن الأسئلة المطروحة: كيف انضمَّ الضباط البعثيون إلى هذه الحركة التي يقودها رجال لم يكونوا في يوم من الأيام من أهل الحل والعقد في الحرب، أمثال: مصطفى الحاج علي، وموسى الزعبي، وأحمد سويدان، ومحمد رباح الطويل، ومصطفى طلاس، وعثمان كنعان، وغيرهم؟!

والسؤال الأشدُّ إيلاماً ومرارةً: كيف أقبل قادة ومؤسسو حزب البعث يهرعون لتحمل مسؤولية انقلاب عسكري لا يد لهم فيه؟ وكيف لم يسألوا أنفسهم: لماذا كتم عنا هؤلاء الضباط النكرات أمر تنظيمهم العسكري؟! وبالتأكيد هم لا يثقون بنا، فكيف نغامر بأنفسنا وبحزبنا ونحن لا ندري أين هم ذاهبون بنا؟! وهل كانوا سيلجؤون إلى حزب البعث لو كانوا متأكدين من نجاح انقلابهم جماهيرياً؟!

في ١٨ تموز ١٩٦٣م، أي بعد أقل من أربعة أشهر من الانقلاب، استدرج الانقلابيون البعثيون شركاءهم الناصريين إلى مجزرة مروعة، ليس فيها أدنى شفقة ولا رحمة، وبمن؟! بمن كانوا بالأمس يعتبرونهم رفقاء وشركاء، وتعاهدوا أن لا يغدر أحدهم بالآخر... أقاموا للناصرين محكمة ميدانية، وكان الحكم بالإعدام يصدر خلال دقيقة، ثم يُساق المتهم إلى المشنقة، والناس داخل سورية وخارجها ينظرون إلى دعة الوحدة والحرية والاشتراكية ماذا يفعلون!! وكان الحكم بالسجن المؤبد أو نحوه يتم خلال ثوان معدودة.

والشاهد هنا أن أمين عام حزب البعث الحاكم ميشيل عفلق، ورئيس الوزراء صلاح البيطار، والحاكم العرفي أمين الحافظ، هؤلاء وأمثالهم هم الذين نفذوا هذه المجزرة الرهيبة التي تُعتبر المجزرة رقم (١) في تاريخ حزب البعث. مرّة أخرى أقول: هؤلاء هم المنفذون، أما المخطّطون فهم محمد عمران وصلاح جديد، وحافظ أسد، وأمثالهم، وماذا تعني هذه الأسماء في ذلك الزمن؟!!

جاء من البعثيين من يقنع رئيس الوزراء صلاح البيطار بأن يلبس لباساً عسكرياً ويحمل سلاحاً ويفتّش السيارات المارّة في الطرقات، ثم تُلتقط له صور، ففعل. وخرجت الصحف في اليوم التالي وفي صفحتها الأولى صورة رئيس الوزراء كرجل سير أو جندي في يوم استنفار للجيش من الدرجة الأولى. ولا أدري ماذا كان يقصد الذي أوعز للبيطار أن يقوم بهذا الدور؟! وكل الذي أدريه بأن المخطّطين والمسؤولين الفعليين عن هذه المجزرة أرسلوا لصلاح البيطار من يغتاله في فرنسا.

الوقفّة الثالثة:

يقول (باتريك سيل) بناءً على مقابلاته مع حافظ أسد: (لم يكن هناك أحد من دمشق أو المدن الأخرى في تنظيمهم العسكري، وكان عدد كبير منهم من الأقليات الديّنية). لماذا؟! (لأن الريفيين الحشنيين الذين انضموا إلى الحزب من خلال تيار الأرسوزي لم يكنوا قط أي إعجاب بالمنظرين الدمشقيين البرجوازيين).

والسؤال الذي يفرض نفسه: لماذا يتكرّر في مقابلات حافظ أسد وأمثاله ما يعني كرههم لمدينة دمشق، ثم المدن السورية كلها بعد دمشق؟!!

ولماذا تكرّر ذكر الصراع بين الريف والمدن؟!!

هذا الشعار [الصراع بين المدن والريف] الذي يردّده الباطنيون يستهوي

السذج المغفلين من أبناء السنّة الريفين فيجدون قواسم مشتركة بينهم وبين الأقليات الديّنية والعرقية التي يسكن معظمها في الريف، ويشارك الطرفان في معركة يقودها الباطنيون، ثم يكتشف أبناء السنّة من الريف والمدينة أنهم استُدرجوا إلى معركة ليس لهم فيها ناقة ولا جمل.

هذه حالنا في سورية منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا، كان مجرد ذكر أهل السنّة مستغرباً أشدّ الاستغراب، أما هجوم الباطنيين ومن نحاً نحوهم من البعثيين وسائر اليساريين على دمشق، فلأن دمشق مدينة عربية إسلامية شامخة، دمشق بمعاهدها وعلمائها ودعاتها ومساجدها تستقطب الطاقات الشرعية من مختلف بلدان العالم الإسلامي، دمشق ليس لأعداء الإسلام نصيبٌ فيها، دمشق عاصمة بني أمية، ما هادنت ولن تهادن- إن شاء الله- القرامطة وأفراخ القرامطة، ستلفظ خبثها وإن ظنوا أنهم ماكتون.

ومن فضل الله علينا أن هذه الثورة^(١) المباركة- رغم خسائرها الفادحة- قد كشفت كلّ شيء، وليس بعد ذلك لأحد عذر بجهله. لقد عرف الناس- حقّ المعرفة- حقيقة النصيريين والرافضة، وبالأخصّ الرافضة الفرس.

ولقد دمجت هذه الثورة الريف بالمدن، فلا مجال بعد ذلك للتفريق بينهما، وأصبح أهل السنّة صفّاً واحداً، وإن نبا عنهم أمثال أحمد حسّون الذي سمّاه النظام النصيري مفتياً، فتاريخ أهل الشقاق والنفاق معروف في تاريخنا الإسلامي.

(١) أعني الثورة التي تفجرت قبل خمس سنين ونيف- عام ٢٠١١م.



عصيان قطنا



عصيان قطنا

انتهى (عصيان قطنا) بسيطرة نهائية للبعثيين والشيوعيين على شؤون الجيش والأمن، ولأهمية هذا الحدث سوف أسرد أهم ما قاله خصوم البعثيين وحلفائهم على لسان العقيد سهيل العشي، وأهم ما قاله البعثيون على لسان أكرم الحوراني.

رواية العشي:

رأت القوات المسلحة السورية أن تستبدل اللواء شوكت شقير باللواء توفيق نظام الدين واطاعة فيه آمالها لتصفية أجواء القوات المسلحة. ولكن الأيام أثبتت بأن نظام الدين لا يملك السمات الشخصية التي تؤهله لمثل هذا الدور... وقد حاول نظام الدين مرةً أن يثبت وجوده، فأصدر أمراً بتنقلات شملت عدداً من ضباط الأركان، منهم الضابط مصطفى حمدون من رئاسة الشعبة الأولى، وكذلك السراج من الشعبة الثانية.

وسرعان ما كان الجواب عصياناً قامت به وحدات معسكر قطنا قرب دمشق، تطالب بإلغاء هذا الأمر من التنقلات. وكان الضابطان الممثلان لهذا العصيان المسلح مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت مع رهط من ضباط الحزب الاشتراكي الحوراني، مما يدلُّ دلالة واضحةً على أن أكرم الحوراني كان وراء هذا العصيان، لأن حمدون لا يتحرك إلا بإشارة من الحوراني.

وكان - آنذاك - خالد العظم في وزارة الدفاع، فعقد اجتماعاً في داره، ضمَّ كلاً من العقداً: عمر قباني، وسهيل العشي، وحسن العابد، وتوفيق شاتيلا، وعبد الرحمن مردم بك، بحضور قسم من الوزراء، وقد أبدى هؤلاء العقداً رأيهم في العصيان، جواباً على أسئلة خالد بك والوزراء، وأدانوا هذا العصيان بطبيعة الحال.

وقد فوجئ هؤلاء العقداً بدخول اللواء توفيق نظام الدين ومعه العقيد عفيف البزري، والمقدم أمين النفوري، والنقيب مصطفى حمدون، وآخرون. وسألنا نظام الدين عن سبب وجودنا، فأجبناه: جئنا تنفيذاً لأوامر وزير الدفاع. ولما طلبنا إليه أن يتمسك بما أصدره من أوامر تهرَّب من الإجابة، ولمسنا فيه ميلاً واضحاً لإلغاء أمر التنقلات. ولما بدأت أعاتبه على هذا الموقف، تعرَّضت لهجوم من الضباط المرافقين له، وخاصة البزري الذي قلت له بأنه آخر من يحق له أن يتكلم.

وانتهى اللقاء بأن فصل بيننا وزير الدفاع والوزراء الموجودون، فأخذنا خالد بك إلى غرفة أخرى، وأنهى الزيارة بحديث الإكبار والودِّ. كان نظام الدين قد غادر مع صحبه ليلغي أمره بالتنقلات، لتسير الأمور كما كان مرسومًا لها من قبل ضباط العصيان، ويقال: بأن هذا العصيان قد حلَّ بتدخل من القاهرة.

اشتدَّت سلطة العسكريين على الساحة... كلَّ ذلك وأكرم الحوراني رئيس مجلس الشعب يواكب هذه الأحداث مشتركاً فيها. ولقد استطاع عبد الحميد السراج في رئاسة شعبة المخابرات، بمساعدة القيادة المشتركة العربية (المصرية)، وبمساعدة اللواء محمود رياض سفير مصر في دمشق أن يجعل من نفسه قطب الرحي، تدور حوله الأحداث، وينسج لها خيوطها بكل براعة وإتقان خارجاً عن حدود قانون وأعراف الجيش والأمة^(١).

(١) «فجر الاستقلال في سورية». مؤلفه محمد سهيل العشي، ص ١٩٠ - ١٩١.

رواية أكرم الحوراني:

مهّد الحوراني لروايته بما يلي:

«بدأ (نيكسون) زيارته للخرطوم، كما بدأ (ريتشاردز) زيارته لليبيا ثم لبنان ثم بغداد بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٥٧ م، وقد صدر بلاغ مشترك أثنى فيه (ريتشاردز) على نوري السعيد الذي رحّب بقرار الولايات المتحدة في المساهمة باللجنة العسكرية بحلف بغداد، وأعلن اتفاقهما على مقاومة النشاط الهدّام، وأعلن العراق قبوله رسمياً لمبدأ (أيزنهاور).

وحوالي منتصف شهر آذار على ما أذكر - أي أثناء زيارة (ريتشاردز) للشرق الأوسط - زارني مصطفى حمدون في منزلي وأخبرني بأن الملازم الأول نعيان زكار، وكان يعمل آنذاك مع عبد الحميد السراج بالشعبة الثانية، أخبره بأن تنقلات خطيرة في الجيش صدرت ولم تعمم بعد على القطعات».

ترى ما هذه التنقلات الخطيرة؟! يأتيك الجواب أنها نقل ضابطين من الجيش من مكان لآخر، وليس سجنهما أو تسريحهما، ثم يقول الحوراني:

(وقد قدّرت فور انتهائه [حمدون] من حديثه أن العمل قد بدأ فعلاً لقلب الأوضاع في سورية، وأن ما يحدث الآن هو أخطر بكثير مما حدث عندما أقصي شوكت شقير عن رئاسة الأركان وعُيّن بدلاً عنه توفيق نظام الدين عام ١٩٥٦ م، بل ربما كان ذلك مقدّمة لما يحدث الآن، وأن الولايات المتحدة والسعودية وراء الإيعاز بهذه التنقلات، وأن القوتلي استدرج جماعة النفوري، وغيرهم من الضباط مستغلاً نوازع المنافسة ليستخدمهم مطرقة لضرب الحزب).

ويتابع الحوراني:

(كانت علاقتنا مع الجيش - كما ذكرت سابقاً في مناسبات عديدة - لا تستهدف سوى منع الرجعية والاستعمار من استخدامه وسيلةً لتصفية حركتنا، ولم يدُر بخلدنا يوماً استخدامه للقيام بانقلاب عسكري والوصول للحكم؛ إذ لو كان هذا غرضنا لتمكّنّا من ذلك قبل أن يقوم حسني الزعيم بانقلابه، وفي مختلف مراحل الانقلابات العسكرية الأخرى، وقد يبدو مستغرباً أن أقول: إن قوتنا في الجيش قبل انقلاب حسني الزعيم وبعده كانت كبيرة جداً).



الوقفه الأولى:

أكرم الحوراني لا يبالي فيما يطلقه من اتهامات لخصومه ليس لها أي مصداقية، انظر إلى قوله: بدأ (نيكسون) زيارته للخرطوم، كما بدأ (ريتشاردز) زيارته لليبيّا ثم لبنان ثم بغداد. مرة أخرى أتساءل ما علاقة هذه الزيارات للبلاد العربية بنقل ضابطين في الجيش السوري من مكان إلى آخر؟ وهذا النقل من اختصاص رئيس الأركان توفيق نظام الدين، وهو وحده الذي تراجع عن النقل تحت ضغط اليساريين عليه.

الحوراني لم يأت بدليل يربط ما بين تحرّك (نيكسون) أو (ريتشاردز) ونقل هذين الضابطين؟!

وقد ينقل الخصم ما يتوهم أو يوهم الحوراني بأنه دليل في تراجع رئيس الأركان عن قرار النقل.

وهل يريد الحوراني أن يتوقف العالم عن الحركة في مثل هذه الحالة؟! الولايات المتحدة الأمريكية كانت لاتزال تحتفظ بعلاقات مع سورية، وغير مستغربة مثل هذه الزيارات.

الوقف الثانية:

(ما إن انتهى مصطفى حمدون من حديثه حتى قدّر الحوراني أن العمل قد بدأ فعلاً لقلب الأوضاع في سورية، وأن ما يحدث الآن هو أخطر بكثير مما حدث عندما أقصي شوكت شقير عن رئاسة الأركان وعُيّن بدلاً عنه توفيق نظام الدين عام ١٩٥٦ م، بل ربما كان ذلك مقدّمة لما يحدث الآن، وأن الولايات المتحدة والسعودية وراء الإيعاز بهذه التنقلات، وأن القوتلي استدراج جماعة النفوري وغيرهم من الضبّاط مستغلاً نوازع المنافسة ليستخدمهم مطرقة لضرب الحزب).

خيال خصب: انظر إلى أقواله: قدّرت... ربما... السعودية والولايات المتحدة وراء هذه التنقلات، وأن القوتلي استدراج جماعة النفوري!!

والذي علمناه مما مضى أن شوكت شقير هو الذي استقال، وأنه كان عدوًا لدودًا لعدنان المالكي، وأنه متّهم باغتياله، وأنه لم يكن محمود السيرة عند السياسيين والعسكريين على مختلف اتجاهاتهم.

وإذا كان لا بد من: قدّرت، وربما، وأوعزت، فلماذا لا تثار مثل هذه الظنون حول شوكت شقير وابنة عمه؟! التي كانت زوجة لأحد كبار رجال المخابرات الأمريكية، ثم مسؤولة إدارية كبيرة في البيت الأبيض، كما ذكره رجل المخابرات الأمريكية في «حبال من رمل»^(١).

وإذا تجنّبنا: قدّرت.. وربما.. وأوعزت.. وظننت.. التي لا يجوز أن يبنى عليها سياسي يحترم نفسه، فإن التنقلات داخل الجيش من مهمات رئيس الأركان ووزير الدفاع والحكومة القومية التي يُعتبر حزب البعث ركنًا من أركانها، ومن هؤلاء خرج

(١) لمؤلفه (ولبر كرين إيفلاند).

قرار نقل الضابطَيْن، ثم قرار إلغاء النقل، فلماذا التجني على رئيس الجمهورية شكري القوتلي الذي لم يسمح له أكرم الحوراني ذات مرة بتغيير سيارته - كما جاء في «مذكرات الحوراني» - والذي رضي من الغنيمة بالإياب بعد عودته وانتخابه رئيسًا للجمهورية، فكان لا يقطع أمرًا يتعلق بالجيش دون أخذ موافقة قيادة الجيش.

الوقفه الثالثة:

يقول الحوراني:

(ولم يدُر بخلدنا يوما استخدامه - الجيش - للقيام بانقلاب عسكري والوصول إلى الحكم، إذ لو كان هذا غرضنا لتمكنا من ذلك قبل أن يقوم حسني الزعيم بانقلابه، وفي مختلف مراحل الانقلابات العسكرية الأخرى، وقد يبدو مستغربًا أن أقول: إن قوتنا في الجيش قبل انقلاب حسني الزعيم وبعده كانت كبيرة جدًا).

أما أن حزب البعث كان قويًا جدًا، فهذا - مما نعرفه من تاريخ الجيش، ومن وثائق حزب البعث التي نُشرت - ادّعاء لا نصيب له من الصحة، والصحيح أن أكرم الحوراني - بالذات - كان له تنظيم داخل الجيش يقوده ضباط حمويون. وهذا يفسّر لنا السرّ الذي أدلى به أديب الشيشكلي لصديقه العقيد سهيل العشي في ساعة مأساوية، وكان كعاداته أسرف في شرب الخمر، قال له ما ملخصه: كان مقرّرًا اغتيال حسني الزعيم قبل وصول قواته الانقلابية إلى دمشق، لكن شركاء الشيشكلي غيّرُوا الموعد المتفق عليه، ففوّتوا الفرصة عليه، وأبقوا على حسني الزعيم قائدًا للانقلاب.

والذي نعرفه ويعرفه كلٌّ من شهد تلك المرحلة أن شريك الشيشكلي هو صديقه ورفيق عمره أكرم الحوراني ومجموعته من الضباط، وكان معظمهم من حماة، وكانت المجموعتان في بداية انقلاب الشيشكلي تعملان وكأنهما جماعة واحدة.

وبعد الخلاف الذي نشب بين الحوراني والشيشكلي اتفقت مجموعة الحوراني ومجموعة عدنان المالكي على القيام بانقلاب يطيح بحكم أديب الشيشكلي، وقبل الموعد المتفق عليه، تراجعت مجموعة الحوراني - لأمر لا يزال مجهولاً - فكانت عاقبة المالكي السجن ثم التسريح من الجيش.

أكرم الحوراني لا يستطيع أن ينفرد بانقلاب عسكري، ومن ثم فهو أكثر دهاءً من أن يوقع نفسه في ورطة لا يُكتب لها الحياة في بلد مثل سورية، ولهذا كان يضع قدمًا في السياسة وقدمًا أخرى في الجيش، ويوازن بين هذه وتلك، ونجح في الأولى والثانية، لكنه نجاح مؤقت، وجاء من طلابه من يقول له: وما من ظالم إلا ويُبلى بأظلم.

ونتابع بعد هذه الوقفات رواية الحوراني، فنأخذ منها الأهم دون أي خلل: كنت أمام خيارين للدفاع عن أنفسنا: فإما القيام بانقلاب عسكري، وإما إعلان العصيان في الجيش في سبيل إلغاء هذه التشكيلات، وكان العصيان في اعتقادي كافيًا لإلغائها. وهكذا خرج المقدّم مصطفى حمدون من منزلي وهو يكرر: اتفقنا إذاً على العصيان المسلّح؟ فأجبت: بدون تردد ولا تأخير).

(عقد المقدّم مصطفى حمدون اجتماعاً في منزل عبد الغني قنوت ضمّ عددًا من رفاقه منهم: عبد الغني عياش، مزيد الهندي، نعيان زكار، عدنان حمدون، ممدوح شاغوري، محمد عمران، بشير صادق، وغيرهم... وحددوا - على ما أذكر - يوم ١٧/٣/١٩٥٧ م موعدًا لتنفيذ العصيان).

سارت الأمور بالشكل المرسوم وتمركزت القطعات على الهضاب المطلّة على معسكر قطنا. أما أكرم الحوراني فيقول:

(سأجتمع برفاقي وأخبرهم بما اتفقنا عليه، وقد وافق الأستاذان صلاح [البيطار] وميشيل [عفلق] على ذلك بدون تردد عندما أطلعتهما على الموقف).

وقال الحوراني:

(أما أنا فقد اجتمعت عصر يوم العصيان بوزير الدفاع خالد العظم في منزله وأنبأته بالأمر، وشرحت له وجهة نظرنا من التنقلات الجديدة في الجيش وأغراضها وموقفنا منها، فكان متفقاً معي تمام الاتفاق).

بعد ذلك: ذهبت إلى السفارة المصرية، وكان السفير محمود رياض عالماً بخبر العصيان ومتشائماً من إمكان نجاحه، فأطلعته على الوضع، وطلبتُ منه أن يبلغ عبد الناصر وجهة نظرنا الكاملة، فقد كان علينا بعد أن بدأت سورية خطواتها الأولى نحو الاتحاد أن نتبادل وجهات النظر مع عبد الناصر؛ الذي كان رأيه أن نكمل حركة العصيان بانقلاب عسكري والاستيلاء على الحكم، وكان خالد العظم في الوقت نفسه يعقد اجتماعاً مع أركان الحكومة وضباط الجيش لحل المشكلة).

قال أمين نفوري لحمدون: إن عقوبة عصيانكم الإعدام، فأجابه حمدون: (إذا كان بمقدورك أن تفعل شيئاً فتفضل... وإنه لأمر معيب أن يتجحّ إنسان - أمام السادة الوزراء - وهو لا يستطيع أن يحرك جندياً واحداً، وقد بدت علائم الارتياح بعد التجهُّم على وجه صبري العسلي الذي كان يكره جماعة الشيشكلي، وعلى وجوه الوزراء والموالين لنا في هذا الاجتماع، وأيقن الجميع أن كافة قطعات الجيش بأيدينا).

وقال عفيف البزري:

(إننا موافقون يا مصطفى حمدون على جميع طلباتكم وهزّ قبضته بوجه الضباط الدمشقيين متّهمًا إياهم بالرجعية).

ويقول حمدون: (وهنا توجه نحوي صبري العسلي وخالد العظم فقبتلاني، وهنّأني بانتهاء المشكلة، طالبين إليّ الحضور في الغد إلى مكتب أركان الجيش للتأكد من إلغاء الأمر والاتفاق على تشكيلات جديدة أخرى تشمل معظم قطعات الجيش).

انتهت المشكلة بالشكل الذي يريده أكرم الحوراني، ولكن بعض ضباطه ومنهم عبد الغني قنوت ومحمد عمران أرادوا أن يتحوّل العصيان إلى انقلاب ويتولوا حكم سورية، وعلى هذا الرأي كان جمال عبد الناصر، وحسم الأمر أكرم الحوراني الذي اكتفى بما تحقق من هذا العصيان^(١).

الضابط البعثي محمد عمران رجل انقلاب ولا ينبغي - كما يرى - الاكتفاء بالعصيان، ولهذا فهو في كتابه «تجربتي في الثورة» شديد النقد لأكرم الحوراني؛ لأنه يحرك الشارع في مظاهرات عمالية وطلابية، ويحرك العسكريين، ويحرك أنصاره من السياسيين... كل ذلك لأهداف جزئية محدودة، وهو في أمر هذا العصيان يقول:

(وكان من أبرز المواقف العنيفة التي اضطررنا إلى اتخاذها في الجيش، خلال تلك الفترة، هو الموقف الذي عُرف باسم عصيان قطنا عام ١٩٥٧م، فقد بدا لقيادة الحزب، وخاصة لأكرم الحوراني، أن تياراً يمينياً في قيادة الجيش يعمل على إبعاد بعض العناصر التقدمية، وكان أبرز هؤلاء: عبد الحميد السراج، وبالرغم من أن أكثر الضباط قد ساورتهم الشكوك حول جدية هذا التدبير، وأنه ربما أدّى إلى مساومة سياسية جديدة.

وكنت واحداً من هؤلاء - فلقد اتخذ القرار بتنفيذ العصيان - وكان لأكرم الحوراني فضل إقناع الضباط - كعاداته - بأنه لا تراجع عن العصيان حتى تُحلّ مختلف القضايا السياسية لصالح أهداف الحزب، وضد مؤامرات اليمين التقليدي آنذاك. نجح عصيان قطنا عسكرياً إذاً، إلا أنه انتهى سياسياً إلى تسوية جزئية، اقتضرت

(١) «مذكرات أكرم الحوراني».

على تثبيت السيد عبد الحميد السراج في مركزه بعد أن كان موشكاً على الانتقال إلى مركز الملحق العسكري في بلجيكا، مع التنازل الكامل عن حل بقية القضايا السياسية الجديّة، المختلف حولها بين الحزب وخصومه.

ودفع الضبّاط ثمن هذه التسوية تشتتاً، وأساساً ومرارة. كشفت لهم استغلال قادتهم السياسيين لنواياهم^(١) الطيّبة واندفاعهم بالعاطفة الوطنية البريئة).

ثم يتحدّث محمد عمران عن سجنه عام ١٩٥٢م بعد فشل انقلاب دبره البعثيون ضد الشيشكلي، فيقول:

(... وخلال ظروف التوقيف وما بعدها، أُتيح لي لأول مرّة، الاحتكاك بأكبر عدد من موجهي الحزب وقياداته وقواعده. وكانت مفاجأتي الكبرى هو اكتشافني لضعف الصياغة التنظيمية في أجهزة الحزب، وتناقض الأفكار بين أقطابه وأعضائه، والخلل الجذري في الإعداد التربوي والنضالي، وضعف روح الانسجام والتكامل بين عناصره الأساسية... وتبيّن لي منذ ذلك الوقت، بذور الأمراض التي سوف تستشري مع تقدّم تجربة الحزب، ولكنني كنت مع ذلك مندفعاً بحماسي للمُثل العليا، معتبراً تلك النواقص مما يمكن تلافيه مع تطور العمل، ونضوج الخبرة لدى القادة والأعضاء المؤسّسين آنذاك. ولقد كان انغمارنا جميعاً تحت وطأة الأحداث المتلاحقة، يؤجّل دائماً عملية التأمل في البنيان الذاتي للحزب، وضرورة بنائه بصورة موضوعية، تُخرجه من شكله العفوي ومن علائقه الشخصية، ويؤكد له منهجاً مدروساً في تصرفاته).

(١) لقد رأينا نوايا هؤلاء الضبّاط الطيبة - كما يزعم عمران - واندفاعهم بالعاطفة الوطنية البريئة - كما يقول - بعد انقلاب الثامن من آذار والنكبات التي ألحقوها بالأمة وبحزبهم!

(لقد كانت صلتنا - نحن الضباط البعثيين - آنذاك بأكرم الحوراني وجماعته من العسكريين أكثر من القادة الآخرين، باعتبار أن هذه الجماعة كانت تؤلف الصف الأول من طلائع العمل السياسي داخل الجيش آنذاك، وقد تمكنا من الإعداد لانقلاب حلب عام ١٩٥٤م على الشيشكلي... وكان العسكريون يتوقعون وصول الحزب إلى الحكم مباشرة بعد نجاح الانقلاب. غير أننا بعد أن علّقنا الآمال على الكبار والقادة السياسيين للحزب خاصة، لتحويل الانقلاب إلى صالح حكم الحزب بأهدافه التحررية والديمقراطية آنذاك، فوجئنا بعملية إجهاض لكل هذه التوقعات، تحققت فيما دُعي حينئذ بمؤتمر حمص).



الوقفه الأولى:

قولُ أكرم الحوراني وتابعه مصطفى حمدون بأن محمد عمران مهووس في الانقلابات العسكرية صحيحٌ، وخشية من انقلاب جديد يدبره أرسل إليه نظام حافظ الأسد من يغتاله في طرابلس الشام. وقول محمد عمران عن أكرم الحوراني خاصة ثم عن قيادة حزب البعث: (وشقَّ زعماء الحزب لأنفسهم طريق السلطة الجزئية، أو شبه الكلية أحياناً، باستخدام الشارع من ناحية، والتنظيم العسكري من ناحية أخرى)، صحيحٌ ووصفٌ دقيقٌ لمسيرة حزب البعث قبل الثامن من آذار ١٩٦٣م.

الوقفه الثانية:

وما قاله عمران عن ضعف الحزب التنظيمي، وتناقض الأفكار بين أقطابه وأعضائه صحيح أيضاً، ولولا الأقليات التي سرقت الحزب لأهدافها الباطنية لما حكم الحزب مدينةً من المدن. أما عن الانسجام فيما بينهم ، فمن يقرأ «مذكرات الحوراني» وما أُذيع عن محادثات الوحدة يعلم جيّداً أن هذا الانسجام مفقود بين عفلق والحوراني، بل كان كل واحد منهما يكيد للآخر. أما صلاح البيطار فتابع لعفلق مع شذوذات قليلة، وهذا قبل أن يستقلَّ بعمل خاص به وغير مرتبط بالبعث.

من جهة ثانية، فقد نقلتُ ما قاله عمران لأبيّن حقيقة الأحزاب السورية من داخلها، فهي ضعيفة وإن نفخت نفسها وبالغت في تقدير قوتها وحجمها. وهذا الذي ينقد بعثه ما الذي جاء به بعد حركة الثامن من آذار؟! هل حقّق الانسجام بين الأطراف التي لا تُحصى، أم صنع وحدةً فكريّةً بين القيادة والأعضاء أو بين القيادة القومية والقطرية؟! أو بين العسكريين والمدنيين؟! أو بين الطوائف، أو داخل الطائفة الواحدة؟!

بكل المقاييس المعتبرة: لقد دمّرت ثورة الثامن من آذار حزب البعث، وبطشت بأقطابه، واستخدمت - بل وأسرفت - في استخدام لغة الحديد والنار، واستعانت بالشرق والغرب ضد الأمنين من أبناء الشام، وقُتل عمران قبل أن يرى ما فعله شركاؤه؛ الذين فعلوا من السوء والفحشاء ما لم يفعله أحد من قبلهم، وما عجزت إسرائيل وغيرها عن فعله، ثم انفرد حافظ الأسد بالحكم وتركه من بعد هلاكه لابنه المعتوه بشار، ومثل هذا لا يحدث إلا في غياب الرجال داخل الحزب، وكذلك غياب الحرية.



مجلس قيادة الجيش



مجلس قيادة الجيش

قلنا فيما مضى: وضع اليساريون قدمًا في السياسة وقدمًا أخرى في الجيش، إلا أنهم أدركوا منذ وقت مبكر أن من مَلَك أمر الجيش مَلَك سائر شؤون الحكم، فرمَوْا بثقلهم في الجانب العسكري. وطالما أن الحكم بيد خصومهم فقد حرصوا أن يكون الحكم ضعيفًا يستجيب لضغطهم كلما أرادوا منفعة لهم، وكان لهم ما أرادوا باسم شعار الديمقراطية والحرية، وهم أول من يتنكَّر لمثل هذه الشعارات عندما يكون الحكم بأيديهم.

كان الحزب القومي السوري أكبر منافس لهم داخل الجيش، ولكنهم استطاعوا التخلص منه بعد اغتيال العقيد عدنان المالكي، ثم تخلَّصوا من ضبَّاط في تكتلات أخرى مثل العقيد محمد صفا، ومحمد ناصر، وآخرين، وبقي من أسموهم (الضبَّاط الشوام)، ولا أدري كيف يلمز اليساريون بمثل هذه التسمية؟! ولماذا لا يقولون: الضبَّاط الدروز، والضبَّاط النصيريون، والضبَّاط الأكراد، والضبَّاط الحمويون الذين كان جلُّ اعتماد أكرم الحوراني عليهم؟!

الضبَّاط الشوام أبناء عائلات محترمة، وسجلهم الوطني نظيف، وقد رفضوا التنظيمات الحزبية داخل الجيش انطلاقًا من اقتناعهم بأن مهمَّة الجيش هي حفظ البلاد والعباد، وعندما يتولَّى العسكريون الشؤون السياسيَّة يعملون في غير اختصاصهم

وينصرفون عن الأمر الذي أوْتَمَنُوا عليه. هذا ما كان يراه من أَسْمَوْهم الضَّبَّاط الشوام، وكانوا يتولَّون بجدارة رتَبًا عاليةً، ولولا حقد اليساريين لكانت قيادة الجيش بيد هؤلاء.

إذا لابدَّ من التخلُّص من الضَّبَّاط الشوام، والذي يوزَّع التهم ويحاكم عليها هو رئيس المخابرات المقدم عبد الحميد السراج وزملاؤه، أمثال عبد الغني قنوت، ومصطفى حمدون، وبشير صادق، وغيرهم. وجاء ما سمي مؤامرة (ستون)، فتشكَّلت محكمة عسكرية لمحاكمة المتهَمين برئاسة الزعيم جمال فيصل، وعضوية العقيد بشير المالح والعقيد راشد الكيلاني، ومثل النيابة العقيد محمد الجراح، وكان ذلك بتاريخ ١٢/١٢/١٩٥٧م.

وفي هذه المحاكمة ذُكر على لسان مسؤول المخابرات الأمريكية العريق (هيوارد ستون) أن الضَّبَّاط الشوام سيتعاونون مع المتآمرين عندما تنجح المؤامرة. وفي هذا الصدد يقول خصم عنيد من خصوم الضَّبَّاط الشوام-أكرم الحوراني: (... ولكنَّ الأمريكيين قدَّروا أن كبار الضَّبَّاط من كتلة الشوام يمكن أن يؤيِّدوا الوضع الجديد في حال إقصاء البعث العربي الاشتراكي واليساريين عن السلطة، وإبقاء الأوضاع برئاسة القوتلي، فيتولوا هم قيادة الجيش).

ويضيف أكرم الحوراني:

(ومن الإنصاف القول: إنه لم يَقم أيُّ دليل يؤيِّد اتصال الأمريكيين بكبار الضَّبَّاط الشوام أو بالأحزاب والكتل السياسية)^(١).

والذي جرى أن قيادة الجيش اتخذت إجراءً صامتاً ضد الضَّبَّاط الشوام،

(١) «مذكرات أكرم الحوراني»، ص ٢٣٧٧.

فسرّحوا من الجيش دون إحالتهم إلى محكمة عسكرية، وهذا الإجراء ظالم، فأين هذا الإنصاف الذي تحدّث عنه أكرم الحوراني، لاسيما وهو الرجل المتنفّذ في الجيش؟! وأين دور شكري القوتلي الذي يبالغ في الحديث عنه أكرم الحوراني؟! وكيف لا ينقذهم من هذا الظلم الذي لحق بهم؟!

الإنصاف المزعوم الذي تحدّث عنه الحوراني في مذكراته، كان السوريون بحاجة إليه واقعا وليس تاريخيا يكتب، لاسيما وأن الاتجاه اليساري الذي يقوده الحوراني كان هو المستفيد الوحيد من إقالة الضبّاط الشوام، وذلك لأنهم كانوا يحملون رتباً عالية، وقد مُنِعوا من تولي وظائف قيادية فعّالة في الجيش. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فمن الأعراف المزعومة في الجيش السوري أنه لا يجوز لنقيب أو رائد أو مقدّم أن يتولّى رئاسة الأركان، أو نحوها مع وجود عقيد أو زعيم، ولهذا كان لابدّ من إزاحتهم عن الطريق بهذه المؤامرة التي ليس لهم فيها ناقة ولا جمل.

ولم تجد المحكمة - وهي عسكرية!! - ما تحاسبهم عليه، ولهذا اتُّخذ الإجراء ضدهم من أهل اليسار، وبعد أن جلس هؤلاء الضبّاط الذين خسرهم الجيش في بيوتهم، وجد اليساريون الطريق مفتوحاً أمامهم إلى تولّي قيادة الجيش ورئاسة الأركان وقيادة الشعب المفصلية في الجيش.

وبعد ذبول (مؤامرة ستون) وتسريح كبار الضبّاط، خلا الجو لليساريين فشكّلوا مجلس قيادة للجيش، ويتألف من: العقيد عفيف البزري، العقيد أمين النفوري، المقدّم عبد الحميد السراج، المقدّم مصطفى حمدون، المقدّم طعمة العودة الله، المقدّم أحمد عبد الكريم، المقدّم بشير صادق، المقدّم أكرم ديري، المقدّم جادو عز الدين، المقدّم إبراهيم فرهود، المقدّم أحمد حنيدي، المقدّم أمين الحافظ، المقدّم عبد الغني قنوت، المقدّم لؤي

الشطي، المقدم زهير عقيل، المقدم ياسين فرجاني، المقدم جاسم علوان، المقدم عبد الله جسومة، المقدم حسين حدة، المقدم غالب الشقفة، المقدم بكري الكزبري، المقدم جمال الصوفي، المقدم مصطفى رام حمداني.

وكلف هذا المجلس الضباط الآتية أسماؤهم لتمثيل الجيش والتعبير عن وجهة نظره إلى جانب الحكومة: اللواء عفيف البزري رئيس الأركان، العميد أمين النفوري معاون رئيس الأركان، المقدم عبد الحميد السراج رئيس الشعبة الثانية، المقدم أحمد عبد الكريم رئيس الشعبة الثالثة، المقدم مصطفى حمدون رئيس الشعبة الأولى، وأصبح هؤلاء الضباط يحضرون اجتماعات مجلس الوزراء، ويشتركون في مناقشة القضايا الداخلية والخارجية^(١).

يقول أحد أبرز الضباط الشوام:

(... جاءني أحد زبانية السراج يطلب إليّ عدم مغادرة الدار لإشعار آخر، وعلمتُ أن هذا الأمر جرى تبليغه لعدد آخر من الضباط، وجرى تسريحنا بتاريخ: ١٧/٧/١٩٥٧م وكان بيننا: طالب الداغستاني، وعمر القباني، وحسن العابد، وهشام السمان).

ويقول في موضع آخر:

(وضّعنا السراج في الإقامة الجبرية في بيوتنا لمدة أربعين يوماً ريثما لفق لنا في مخابراته أن الضابطَيْن [الشريفَيْن] خطار حمزة وعبد الله الشيخ عطية سمعا من الملحق العسكري [ستون]، بأنه لو حصل الانقلاب الذي كان يعدّه، فسيسلم قيادة الجيش إلينا، وقد جرى توقيع مرسوم الإحالة على التقاعد هذا، من قبل

(١) «حصاد»، أحمد عبد الكريم، مصدر سابق، ص ٢٩١.

رئيس الجمهورية شكري القوتلي، بالقوة والعنف، وهو يعرف قدر هؤلاء الضبّاط ومكانتهم، وقد شدّد السراج الخناق على مراقبته، بكل ما كان يملك من خروج على حدود الحياء والأدب متعاوناً مع شراسة عفيف البزرة).

ويقول أيضاً: (إنه انتظر طويلاً حتى يجيب على أي سؤال يُوجّه إليه، سواءً من الوجهة الإدارية أو القضائية، ولما لم يحدث شيء من هذا القبيل، راسل جمال عبد الناصر وقائد الجيش جمال فيصل وعبد الحميد السراج يطلب منهم النظر بقضيته فلم يتلق أي جواب)^(١).

(١) «فجر الاستقلال في سورية»، ص ١٨٨-١٩٦، مصدر سابق، للعقيد سهيل العشي.



الوقفه الأولى:

الذي قاله العقيد سهيل العشّي عن ضعف القوتلي أمام عبد الحميد السراج، وأمام قيادة الجيش، قاله من قبل أصدقاء شكري القوتلي وأعدائه، هكذا كان رحمه الله في ولايته الثانية، يخشى الجيش ويتقيه، فهو لا يريد أن تتكرّر تجربته مع حسني الزعيم، أو أنه يشفق على بلده ولا يريد أن تتمزّق وحدتها ويكون هو سبباً في ذلك.

الوقفه الثانية:

إذا كانت هذه حال شكري القوتلي مع عبد الحميد السراج أو عفيف البزري، فما هو المنتظر من رئيس مجلس الوزراء ثم أعضاء الوزارة، وهم يرون خمسة من كبار الضباط يحضرون اجتماعاتهم، ويرقبون مواقفهم، ويشاركونهم مناقشة القرارات المتخذة.

لا شك أن الوزراء ينظرون ملياً إلى ما آلت إليه أحوال البلاد والعباد على أيدي الضباط الذين قادوا عدداً من الانقلابات العسكرية، وينظرون ملياً إلى ما آلت إليه حال: شكري القوتلي وخالد العظم، وحسني الزعيم، ومحسن البرازي، وسامي الحناوي، وغيرهم.

بل إن بعض الوزراء في هذه الحكومة كانوا سجناء في سجن المزة وغيره من السجون السياسيّة الموحشة. ومن جهة ثانية فقليل جدًّا من هؤلاء السياسيين من لا يهاب في الحق لومة لائم، وهذا القليل ليس له وجود في هذه الوزارة التي يرأسها صبري العسلي، ولناخذ مثلاً على ذلك: أقوى الوزراء وأكثرهم نفوذاً، خالد العظم، وهو وزير الدفاع فيها: فهو يرى عدم جواز الجمع بين العمل العسكري والعمل السياسيّ. هذا من جهة، ومن جهة ثانية ينظر لغيره نظرة استعلاء، ولا يرى منهم إلا عيوبهم. يقول عن العسكريين:

(وقد تمكّن الحوراني بمعرفة أولئك الضباط ومعاونتهم من السيطرة على مدرسة حمص العسكرية التي كانت تُخرّج كل سنة عدداً من الضباط الشباب، لا يقل عن المئة. والغريب أن أكثرية الطلاب الراسبين في مدارس التجهيز كانوا يهرعون إلى المدرسة العسكرية التي يرتادها كل طالب كسول يستطول مدّة الدراسة في المدارس العادية من تجهيزية وجامعية، فكان لا يواظب سوى ستين، يتخرّج بعدها ملازماً ثانياً، ثم يقفز المراتب بسرعة خيالية، بحيث لا يمضي غير سنوات، حتى يصبح عقيداً أو زعيماً، وكانت تبهره مظاهر اللباس العسكريّ، فيمشي الخيلاء متكبراً على رفاق الدراسة الخشبية، بينما كان هو يتصدّر المجالس، ويحتلّ المقاعد الوثيرة في مركز القيادة، ويأتمر بأمره عدد لا بأس به من الجنود والضباط).

(على أن كلّ ذلك لم يكن سبباً إذا ما قيس بالمنصب الذي يحصل عليه الضابط في قيادة شؤون بلاده السياسيّة وتوجيهها في الحقلين الداخلي والخارجي. وقد زاد شوق الناس للانتساب إلى المدرسة العسكرية بنسبة عدد

الانقلابات العسكرية التي كانت تعاني منها البلاد الأمرين، لكنها كانت تعود على الضباط، كل مرة بسلسلة من الترفيعات التي لا يحلم بها أي ضابط في جيش منظم، ناهيك عن النفوذ والسلطان).

ثم عاد إلى الهجوم على أكرم الحوراني، وذكر في هذا الصدد كلاماً يستحق أن ننقل فقرات منه لأهميته، فعن موقفه من الأغنياء، قال العظم:

(كان يجد لذة في إفقار الأثرياء وكسر نفوذهم وإذلالهم).

وعن الفلاحين قال العظم:

(وأما الفلاحون فكان الحوراني يملأ بطونهم الخاوية وعوداً بإعطائهم أراضي الإقطاعيين، وبإزالة كابوسهم عنهم. ولم يكن، والحالة هذه، مستغرباً أن ينجح الحوراني في استمالة العناصر الثلاثة الأنفة الذكر. فهو إنما كان يعدُّ بما ليس عنده، ويمنح ما ليس يملكه: الرتب والسلطة للضباط، وفلسطين والتقدمية للطلاب، والأراضي للفلاحين. وهذا كله ليس من مخلفات والده، ولا من كسب يده، فكيف لا يكيل الوعود بدون حساب، وكيف لا يستشري به الأمر إلى حدٍّ أنه لم يعد قادراً على الوقوف هنيئة، ليأخذ نفساً وليرتاح قليلاً^(١)).

هذا هو موقف خالد العظم من العسكريين ومن أكرم الحوراني والاشتراكيين، لكنه يسير بعكس هذه القناعات في أنشطته السياسية: فهو إقطاعي ويؤمن بالإقطاعية والرأسمالية، لكنه حليف للاشتراكيين، وهو يكره أكرم الحوراني، وتحدث الكثير عن انتهازيته وعبثه في الشؤون السياسية.

(١) «مذكرات خالد العظم»، الجزء الثالث، ص ٣٨.

ومما قاله: لقد حملته - الحوراني - على ظهري في صعوده السياسي وفي وصوله إلى رئاسة المجلس النيابي، فهل حمل هذا الانتهازي (الحوراني) لوجه الله تعالى، أم أنه انتهازيٌّ تحالف مع انتهازيٍّ آخر؟!

وتحالف العظم مع العسكريين، فكان من أقرب السياسيين إليهم، ولا يردُّ لهم طلباً، ثم يشتدُّ فيما بعد عليهم - كما في مذكراته - فكيف نجتمع بين هذا وذاك؟!

بلغ الأمر بخالد العظم أن يتحالف مع الشيوعيين عندما وقع خلاف بين البعثيين والشيوعيين، وكان من أقرب الناس إليه خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري، وقائد الجيش ورئيس أركانه اللواء عفيف البزري، والاتحاد السوفيتي خارج سورية.

بقي أن نجيب على السؤال الآتي: ما الذي كان يجمع بين (الإقطاعي الأحمر)^(١) خالد العظم وبين حزب البعث والحزب الشيوعي؟!

من الوجهة الأولى: كان يجمع فيما بينهم عداوتهم جميعاً لشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية، وصاحب التاريخ المشهود له سورياً وعربياً في مواجهة المستعمر الدخيل وتحرير سورية من المستعمر الفرنسي، وفضلاً عن ذلك فالقوتلي قريب من شعبه، وبيته مفتوح للمواطنين، وهؤلاء ليس لديهم مثل تاريخ القوتلي أو قريب منه.

ومن جهة ثانية: فالاتجاه اليساري أو التقدمي - كما يسمون أنفسهم أحياناً -

(١) هذا الوصف كان يطلق على خالد العظم.

يرون الحلَّ العسكريَّ، فركب العظم هذا المركب. ومما يجدر ذكره أن بعض هؤلاء ورثوا عن آبائهم عداوة شكري القوتلي، مثل: خالد العظم، عدنان المالكي، رياض المالكي، ويريدون الانتقام ولو كان ذلك عن طريق انقلاب عسكري يهدم عرش ديمقراطيتهم التي يتغنون بها.

ألا ما أتعس من يحيا بغير قناعاته بغية الوصول إلى هدف [وهذا الهدف عند خالد العظم هو رئاسة الجمهورية]، ثم يمضي سحابة سني عمره وهو يركض، ويركض، وراء سراب في صحراء واسعة لا نهاية لها، والأكثر إيلا مّا أن حلفاءه حققوا أهدافهم وكان له القدح المعلن في هذا الشأن.

وإذا كانت هذه حال أقوى الوزراء ورؤساء الوزارات، فكيف يكون حال الآخرين؟!



حكومة التجمع القومي

حكومة التجمع القومي

بعد سيطرة اليساريين على قرار الجيش، سهل عليهم خوض معركة مجلس الأمة [البرلمان] من أجل حصولهم على الأكثرية فيه، وكانت الأكثرية من قبل لحزب الشعب أو لتحالف حزبي الشعب والوطني.

وكان اليساريون يعرفون جيّدًا انتهازية صبري العسلي رئيس الحزب الوطني، وبخاصّة إذا ضمن رئاسة الوزراء في أية حكومة قادمة، ولا فرق في ذلك عنده بين اليمين أو اليسار.

كانت بداية المعركة إعلاميّة، فشنّوا حملةً شعواء على حزب الشعب واستخدموا كلّ ما في جعبتهم من أكاذيب وافتراءات، ثم حرّكوا الجيش وجهاز المخابرات ومظاهرات الطلبة ضد من أسموهم عملاء الاستعمار والصهيونية... ثم تنادوا إلى حكومة (التجمع القومي).

يقول خالد العظم:

(... وكانت طبيعة الأوضاع تزيد علاقاتنا وثوقًا، وتبعدنا عن الشاطئ الذي يربط فيه كل من حزب الشعب والحزب الوطني وأولئك العملاء الأجراء من النّواب الذين باعوا أنفسهم للمستعمر وصاروا عنده كالعبيد).

(وميثاق التجمّع القومي الذي وضعناه في خريف ١٩٥٦م كان البرنامج الذي

اتفقتُ عليه مع حزب البعث الاشتراكي، والذي أسهم فيه من آمن به من نواب الحزب الوطني، وغيرهم من النواب المستقلين^(١).

ولي على كلام خالد العظم وأمثاله من حلفائه البعثيين وغيرهم الملحوظات الآتية:

١- نعم كانت هناك مؤامرة بل مؤامرات، والمتورط فيها يجب أن يُحال إلى محكمة عادلة وينال العقوبة التي يستحقها، والمحكمة العرفية العسكرية التي شكّلها وزير الدفاع ورئاسة الأركان- حسب مزاج اليساريين- لن تكون عادلةً مهما حشدوا لها من دعاية إعلامية.

٢- يقول مدبر المؤامرة في كتابه «أيام عشتها» بعد اعترافه بكل شيء فعله: باستثناء حسن الأطرش، وهائل السرور، وعدنان الأتاسي، وسامي كبارة، لم يشارك معنا أحد من المدنيين، وأكثر الذين صدرت بحقهم أحكام قاسية حوكموا على صلات شخصية لهم مع الضابط محمد معروف: كلقاء عام في مقهى، أو وجود اسم أحد المتورطين في دفاتر الهاتف، أو ما إلى ذلك.

٣- انظر ماذا يقول خالد العظم عن خصومه من نواب المجلس: أجراء، عملاء، خونة... ليسوا أكثر من عبيد للمستعمر الدخيل. وفي المقابل لم يجد من يصلح لحكومة التجمع القومي- التي تمثل التقدمية والوطنية- إلا حزب البعث العربي الاشتراكي، وأفراداً من الحزب الوطني والمستقلين من السياسيين. أهذه هي سورية، أم هي كلمة يرددها كل متغطرس جبّار لا يرى في هذه الدنيا إلا نفسه؟!!

(١) «مذكرات خالد العظم»، ص ٤٠.

٤ - شنت وسائل الإعلام اليسارية - سورياً وعربياً - حملة طعن وتجريح ضدَّ الاتجاهات غير اليسارية: حزب الشعب... الإخوان المسلمون... العلماء والدعاة... شكري القوتلي رئيس الجمهورية... ولم يتركوا أحداً من الذين يختلفون معهم فكرياً وسياسياً. وشارك في هذه الحملة: الجيش الذي تحوّل إلى أداة ضغط يستخدمها اليساريون، وبالأخص المكتب الثاني - المخابرات - الذي كان يلقّق الاتهامات. وشارك في هذه الحملة أيضًا الطلبة الذين كانوا يُسيّرون المظاهرات، ويردّدون الهتافات التي يتلقّونها من اليسارين، ووسائل الإعلام التي يجيدون استغلالها.

لقد كانت مرحلة شديدة الوطأة على المواطنين، ولتصوّر القارئ الكريم الذي لم يشهد تلك المرحلة أننا نحن الإخوان المسلمين وغيرنا من الدعاة والجماعات الإسلامية كنّا ننتهم بأننا عملاء للإنجليز، والتاريخ يشهد أن هذه الجماعات الإسلامية السنية هي التي حاربت الإنجليز وحلفاء الإنجليز كما حاربت التتار والصليبيين. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فلم يكن لأحد من الإخوان المسلمين أو غيرهم من الدعاة أي علاقة بالمؤامرات التي تعرّضت لها سورية في تلك المرحلة، ولو وجدوا أيّ ممسك ضدنا ما رحمونا، لأنهم من أعدى أعدائنا، لكنهم كانوا يتبعون سياسة: اكذب، واكذب، واكذب، عسى أن يُصدّقك الناس.

٥ - نقلوا المعركة إلى داخل المجلس النيابي، وخصّصوا بمعركتهم حزب الشعب، قالوا: لماذا لم يُصدر حزب الشعب بياناً بفصل من أثبتت محكمتهم العرفية العسكرية إدانتهم؟!

وإذا سلّمنا بصحة هذا المطلب، فلماذا حزب الشعب دون سواه؟!

ولماذا لم يطلبوا هذا المطلب من الأمين العام للحزب الوطني صبري العسلي الذي لم يُصدر بياناً بفصل ميخائيل ليان؟! وعلى العكس فقد هَرَّبَه بسيارة رئيس الوزراء إلى لبنان قبل أن يُعلن رسمياً عن المؤامرة، وكان ذلك بالاتفاق مع أركان الحكم وأركان الجيش، مع العلم أن ميخائيل ليان كان ركنًا من أركان المؤامرة، وكان في الحزب الوطني أقوى من أمينه العام صبري العسلي... وقل مثل ذلك في أحزاب وتجمعات نيابية أخرى.

لقد كان صبري العسلي في المجلس رئيسَ وزارة التجمُّع ويتمتع باحترام وتقدير، وكان كلُّ من يريد أن يُثبت وطنيته من النواب يهاجم حزب الشعب، وكانت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تنقل هذا الإسفاف الذي لا يليق بمجلس الأمة، فإذا سلَّمنا أن الأحكام الصادرة عن المحكمة العرفية العسكرية سليمة من أي عيب من العيوب، فإن حزب الشعب لم يعترض عليها أو يدافع عن المتورطين من الحزب، بل صدر عن بعضهم تصريحات يقول فيها: الحزب ليس مسؤولاً عن المنحرفين ولا يتحمَّل وزرهم.

ومن جهة ثانية فإن لحزب الشعب تاريخًا في العمل الوطني لم يبلغه أكرم الحوراني، ولا خالد العظم، ولا غيرهما من أعلام اليسار، فالحزب هو جزء لا يتجزأ من الكتلة الوطنية التي حققت استقلال سورية، ومن رجالاته: هاشم الأتاسي، وناظم القدسي، ورشدي كيخيا، فهل من المنتظر أن يقابل هؤلاء سفاهة من لا ينجلون بمثلها؟!!

لا، لم يفعلوا، وشعروا أن المجلس النيابي انحدر إلى الحضيض، فقاطع كلُّ من: رشدي كيخيا، وناظم القدسي، جلسات المجلس، وقَدَّم كيخيا استقالته من المجلس

النيابي، ولم يرشح نفسه في الانتخابات التي تلت الانفصال عام ١٩٦١ م، وأخذت البلاد تسير نحو الهاوية كما سيأتي.

٦- هذا الذي ذكره خالد العظم عن حكومة التجمع القومي لم يكن له أو للحواراني فضل في تأسيسها أو الدعوة إليها، وإن أول من دعا إلى تشكيل حكومة قومية، وإقامة ميثاق قومي تجتمع عليه الأحزاب والهيئات الوطنية هو الدكتور معروف الدواليبي [أحد أقطاب حزب الشعب]، وتبنى شكري القوتلي رئيس الجمهورية هذه الدعوة، فطلب من مجلس الأمة تشكيل هذه الحكومة، فأعدت نخبة من النواب نص الميثاق، وجرى تكليف صبري العسلي في ١٤/٦/١٩٥٦ م بتشكيل هذه الحكومة، وقد شارك فيها ممثلون عن الحزب الوطني وحزب الشعب، وحزب البعث العربي الاشتراكي، والكتلة الدستورية^(١).

وها هنا جاءت ظروف سياسية استغلها العظم والحواراني أبشع استغلال، فأبعدوا حزب الشعب والكتلة الدستورية، وشكّلوا وزارة بعد مضي ستة شهور برئاسة صبري العسلي، وساروا بالتجمع القومي باتجاه مغاير للاتجاه الذي أراده من دعا إليه، وجعلوه أداة بيد اليساريين، وبلغت مأساة سورية ذروتها في ١٤/٧/١٩٥٧ م عندما اختار المجلس النيابي أكرم الحوراني رئيساً له بأكثرية ستة أصوات، وبدعم غير مباشر من مصر عبد الناصر.

(١) «أوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر»، للدكتور غسان محمد رشاد، مكتبة مدبولي.



الانتخابات التكميلية



الانتخابات التكميلية

حددت حكومة التجمع القومي الانتخابات التكميلية في منتصف الشهر الخامس من عام ١٩٥٧م، وقبل هذا الموعد بيومين أو ثلاثة، اختار الإخوان المسلمون مجموعة من شبابهم - كنت أحدهم - وسيرونا بحافلة ركاب خاصة إلى دمشق لنساعد الإخوان في هذه الانتخابات.

وفي دمشق نزلنا في مركز عام الانتخابات، وكان بيتاً عربياً واسعاً خلف الإذاعة القديمة، وفي هذا البيت كان الإخوان يلتقون من جميع المحافظات السورية فيتعارفون، وتُحدّد لهم المهمة التي جاءوا من أجلها، ثم يُوزَّعون على مراكز الانتخابات. ولا يفوتني التذكير بأنهم يتحدثون في كل شيء، دون قيد أو شرط، وكانت هذه هي أول انتخابات من نوع خاص أشهدها، كنت من قبل أشهد الانتخابات في قريننا، وكانت عشائرية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فمعظم الأصوات يحصدها شيخ عشيرتنا محمد خير الحريري وحليفه محمد يوسف أبو رومية رحمهما الله.

كان ينافسهما مفتي (إزرع) رحمه الله، وهو ابن عشيرة وعالم، لكنه لم ينجح ولو مرة واحدة، ولو رشّح نفسه أحد كبار رجالات سورية مثل هاشم الأتاسي أو شكري القوتلي عن منطقة إزرع في ذلك الوقت لما نجح منهما أحد حتى بعد محمد خير الحريري، ولهذا قلتُ: كنا نعرف النتيجة سلفاً.

أما الانتخابات التكميلية التي شهدتها في دمشق فأمرها يختلف كل الاختلاف، ولا أعدو الحقيقة عندما أقول: لم تشهد سورية مثيلاً لها من قبل ولا من بعد.

لقد انقسم المجتمع السوري - وليس الدمشقي وحده - قسمين: قسم يساري، قومي، علماني، وتقدمي - كما يدّعي - وشيوعي لا يؤمن بدين من الأديان. وهذا القسم بيده الحكم والجيش والأمن والمخابرات، وإعلام مصر عبد الناصر وغيره. وقسم خليط من العلماء والدعاة وعامة المتدينين والجماعات الإسلامية، هؤلاء من جهة، وأحزاب علمانية كانت شمسها قد اقتربت من الغروب فهي عبء علينا أكثر من أن تكون عوناً لنا.

وأشدُّ ما كان يؤلمنا الهجوم المسفُّ من إعلام اليسار على شيخنا الأستاذ مصطفى السباعي، وكان هذا الهجوم من المحرّمات عندنا وبخاصة نحن الشباب، كانت من مفرداتهم في هذا الهجوم: الكذب، الخيانة، الرجعية، العمالة... كانوا يملكون إعلاماً قوياً، وكانوا يصدرون نشرات وكتيبات بهذه المناسبة... وعندهم كتاب محترفون في نسج القصص والروايات التي لا أصل لها، وكان الشيوعيون يقفون في طليعة هذا الاتجاه.

ومما لفقوه: أن الإخوان المسلمين هم ورثة عملاء حلفاء بغداد الذين افتضح أمرهم وهُتكت أستارهم في المحاكمات الأخيرة، ألا ترون أنهم تحالفوا معهم في هذه الانتخابات والطيور على أشكالها تقع؟! ووجدتُ هذه الرواية عند الغوغاء، وما أكثر الغوغاء في بلادنا!!

وقد ناقشت فيما مضى تهافت هذه الرواية، وإذا كان لابد من أخذ البريء لقربه بشكل أو بآخر من المذنب، فرئيس حكومتهم صبري العسلي أمين عام الحزب

الوطني، وأحد أركان هذا الحزب ميخائيل ليان متورط في أكثر من مؤامرة، ولو شاءوا تعميم منطقهم على أنفسهم لوجدوا شبهات كثيرة حول صبري العسلي بالذات، وقد حوكم بعض الذين أدانتهم محكمتهم على أقل مما جاء في محاكمات بغداد عن العسلي، لكنهم يكذبون، ويكذبون، ويعرفون أنهم يكذبون ولا ينجلون.

وكان من أكذب وسائل إعلامهم: «جريدة النور» وهي جريدة الحزب الشيوعي التي تتبع بقضها وقضيضها دولة أجنبية [الاتحاد السوفياتي]، و«جريدة الرأي العام» لصاحبها أحمد عسه، وهو ليس يساريًا ولا بعثيًا إنما هو رجل انتهازي، كان بالأمس من أقرب المقربين عند أديب الشيشكلي، وعندما دالت دولة الشيشكلي اشتراه الحوراني وحزبه، ولم يتغير موقفهم منه ومن جريدته عندما كشفت وثائق حلف بغداد مقدار المبالغ المالية التي استلمها من الحلف، واستمروا يتعاملون معه ويعتبرون جريدة الرأي العام أقوى منبر إعلامي لهم. وهؤلاء هم الذين ملأوا الدنيا صراخًا بالقومية والوطنية، ويتهمون كل من يختلفون معه بالرجعية والعمالة.

وفي المقابل فإن إعلامنا كان ضعيفًا، وإن كان يندر فيهم من يصدق فإنه يندر بيننا من يكذب. لم يكن عندنا كتاب محترفون في الإعلام، ولا يزال الأمر كذلك، ولكن نستطيع أن نقول: إن يومنا خير من أمسنا بعض الشيء.

كان للإخوان «مجلة الشهاب» وهي محدودة الانتشار، وكتّابها هم أنفسهم شعراء وأدباء وسياسيون وتدخل الأمور ببعضها البعض، فقد يكون بعض المقال سياسيًا وبعضه الآخر وعظيًّا شرعيًّا، ومعظم الكتّاب هم من الهواة!! ولكن الأمر في الاحتفالات العامة يختلف كل الاختلاف حيث يبرز الخطباء الذين يهزون المنابر، ويستقطبون الجماهير، ويجيدون مناقشة أقوال

خصومنا، فيعرضونها ويبينون تهافتها من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لقد شهدت دمشق احتفالات عامة سبقت يوم الانتخابات، كان من أشهر الخطباء فيها الأستاذ مصطفى السباعي والأستاذ عصام العطار وعدد من علماء دمشق من اتجاهات مختلفة.

لقد برزت في هذه الاحتفالات وحدة العلماء والدعاة والجماعات في أحسن صورها، وهذه هي دمشق دائماً، أسأل الله أن يطهرها ويحررها من النصيرين والفرس والروس؛ الذين عاشوا في أرجائها: فساداً وهدماً وإجراماً لم يعرف التاريخ مثيلاً له حتى أيام التتار والصليبيين، وأسأل الله أيضاً أن تعود أحسن مما كانت عليه، وما ذلك على الله بعزيز.

ومما أذكره أنه في مساء اليوم الذي سبق الانتخابات غصّ المركز بأمثالنا من الشباب الذين وفدوا إليه من سائر المحافظات، ومن الأردن ولبنان، فخرج إلينا الأستاذ السباعي وألقى فينا كلمة مؤثرة، وذكرنا بغزوة حُنين وخطورة الاعتماد على الكثرة في غفلة عن الدعاء إلى الله بالنصر، فهو ناصرنا وقاهر عدونا.

ويوم الانتخابات تم توزيعنا على المراكز، فكان نصيبي في مدرسة ابتدائية لا أذكر اسمها، والذي أذكره أنها في الشمال الشرقي من سوق الهال. كانت مهمتي تسهيل أمور الناخبين، وتوزيع بطاقات باسم مرشحنا، وكان واضحاً أننا [سواء كنا مؤيدين للسباعي أو غيرنا من مؤيدي المالكي] غرباء ولسنا من مدينة دمشق، ورغم ذلك لم نواجه أية مشكلة سواء كانت من الأمن أو من أهالي المنطقة، لقد مرّت الأمور بهدوء.

شيء غريب شاهدته في مركزنا. لقد جاء أكرم الحوراني ورياض المالكي، ومعهم

رجل ثالث أظنه [ولا أجزم] خالد بكداش. كان مع هذه المجموعة شيخ [بلفته وجبته]، سألت: من هذا الشيخ؟ قالوا: أحمد كفتارو. ولم أكن قد سمعت باسمه من قبل. قلت: لماذا يغرد هذا الشيخ في غير سربه؟ قال العارفون: هكذا هو، وله سابقة من قبل. ومثلي في ذلك السنّ تعظم في عينه غلطة مثل هذا الشيخ، ولكنه بعد أن حضر درسه مرتين، وسمع تهريجه الذي يسميه طلابه درسًا، وبعد أن تقدّم به العمر، ورأى العجب العجيب من شذوذات هذا الشيخ وأمثاله من الشيوخ، صار يستنكرها، ولكنه يقدرها بقدرها دون تفريط ولا إفراط. وفي نهاية يوم الانتخابات دعانا إخوان المنطقة إلى بيت أحدهم، فتناولنا عشاءً طيبًا، وسعدنا باجتماع الإخوان.

أعلنت نتائج الانتخابات، وفاز مرشح البعث رياض المالكي بنسبة ضئيلة، وغادرنا دمشق وفي أنفسنا أسئلة رحنا نبحث عن أجوبة عنها:

السؤال الأول: هل كانت هذه الانتخابات نزيهة كما زعمت حكومة التجمع القومي؟! وهل اختارت دمشق رياض المالكي وقدمته على مصطفى السباعي؟! لم نجد صعوبة في الجواب على هذا السؤال، فماذا ننتظر إذا كانت هذه الحكومة هي الخصم والحكم؟ ودمشق لا تقدّم إلا أصحاب الاتجاه الإسلامي، ويأتي بعدهم كبار السياسيين والاقتصاديين، ولم تقدّم من قبل ولا من بعد رياض المالكي وأمثاله. لقد كشف أنصار السباعي صورًا من التزوير في حينها، وظهرت فيما بعد أدلة جديدة اعترف بها الذين قاموا بالتزوير، وما لنا من هذا وذاك، فتاريخ الانتخابات في سورية تؤكد أن التزوير حليف أكرم الحوراني وقائمه، وفيما مضى من هذا البحث ذكرنا أدلة على ذلك، وما لم نذكره أكثر.

السؤال الثاني: هل كان ضروريًا أن يرشح الأستاذ نفسه في هذا الوقت بالذات؟! ومن الذين اتخذوا قرار ترشيحه؟!

كنا نسمع من عامة الناس ومن محبي الأستاذ السباعي هذا السؤال، وكنا نوجهه للمسؤولين عنا، فيأتينا جواب ينقصه الوضوح، ويبدو أن المسؤولين كانوا يراعون مستوانا في ذلك الوقت، ولا يريدون تشويش أذهاننا بالخلافات، وفيما بعد سمعنا منهم الحقيقة.

قالوا: قرار ترشيح الأستاذ السباعي ليس إخوانيًا- وكان هذا هو رأي جمهور الإخوان- وإن الوقت غير مناسب، ولا ينبغي أن نخوض معركة خاسرة، ويكون الضحية أعز الناس عندنا [السباعي]. ولكن الذي حدث أن الدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفى الزرقا، والأستاذ محمد المبارك، اتصلوا بالأستاذ السباعي وحدثوه عن سوء الأوضاع في سورية، وهيمنة الاتجاه اليساري الذي يتزعمه الحزب الشيوعي، وطلبوا منه ترشيح نفسه عن دمشق؛ لأنه هو القادر على وضع حد لهذا العبث في سورية. وأضاف الإخوان الذين سمعت منهم:

هذه المجموعة التي يرأسها الدكتور معروف الدواليبي ليست هذه هي المرة الأولى التي يستجيب لها السباعي ويتخذ قرارًا على نقيض ما تراه جماعة الإخوان المسلمين. وعاد الأستاذ السباعي إلى الإخوان يعرض عليهم ما حدث بينه وبينهم وكان له صدى في نفسه، وكان أهل الحل والعقد بين من لا يردُّ للسباعي طلبًا، وبين من يعترض ويناقشه، وهؤلاء قالوا له:

هذا العرض الذي جاءك به معروف الدواليبي ممثلًا لحزب الشعب هو فخ نُصب لنا فواجبنا الحذر، ومن جهة ثانية فإن المدة المتبقية لهذا المجلس لا تستحق مثل هذه المغامرة، ومن ثم فوجودك في مجلس يسيطر عليه اليساريون لن يقدم أو يؤخر. وأخيرًا مازال الدواليبي ومجموعته يترددون على الأستاذ السباعي حتى رشح نفسه، فوقف الإخوان المسلمون إلى جانبه وشدُّوا أزره، وكان ما كان.

السؤال الثالث: لماذا رفض الإخوان خوض انتخابات ١٩٥٤ م، وتركوا الساحة فارغةً تعبث بها الغربان؟! لم أجد جوابًا على هذا السؤال حتى يومنا هذا، وكل الذي قالوه هو اعتذار عن خوض الانتخابات، وأضافوا: وهذا لا يعني اعتزالهم العمل السياسي، كيف؟ ولماذا؟

وهذا كقول القائل: لم تقول ما لا يفهم؟ فأجاب: لم لا تفهم ما أقول؟!!

قال بعضهم: إن السباعي أراد خوض انتخابات ١٩٥٤ م، ولكن الإخوان لم يستجيبوا له. هل يملك قائل هذا دليلاً على ذلك؟! أبداً، إنه يقول ما تهوى نفسه أو ما يمليه عليه خياله الخصب، ومن يعرف الإخوان والأستاذ السباعي لا يقول هذا القول. إن قرار عدم خوض الانتخابات قرار جماعة، وأول المسؤولين عنه مراقب عام الجماعة الذي لم يُنقل عنه ما يخالف هذا القرار.

وقال آخرون: في عام ١٩٥٤ م خرج الإخوان من تجربتهم النيابية السابقة منهكين، وكان أشدهم إنهاكاً الأستاذ السباعي الذي اعتُقل بعض الوقت في سجن المزة، ثم نُفي خارج سورية وحُرم من وظيفته، ثم جاء الانشقاق ففرّق صفهم، وصار بأسهم بينهم، فرأى الأستاذ السباعي أن يجنب الإخوان تجربة نيابية أخرى وهم غير مستعدين لها، كما رأى أيضاً أن أشد ما ينقصهم التربية والبناء دون سواهما، ووافق أهل الحل والعقد على رأي شيخهم.

أقول: قد يكون هذا القول صحيحاً، ولكنه نوع من أنواع الظن، ولم يُنقل عن الإخوان شرح حيثيات قرارهم بعدم خوض انتخابات ١٩٥٤ م، والذي أراه أن هذا القرار كان خاطئاً، كما كان قرارهم خوض الانتخابات التكميلية خاطئاً.

رأيي في الانتخابات:

الانتخابات طريقة معتبرة لاختيار الأفضل، ولها أصل عند أهل خير القرون المفضّلة، وقد انتهجها علماؤنا ومنهم أهل الحل والعقد في أواخر الدولة العثمانية، وقال بشرعيتها جمهور العلماء في بلاد الشام التي بدأت أول انتخابات فيها سنة ١٩٢٠م واستمرت حتى سنة ١٩٦١م، وسُمي أول مجلس بـ [المؤتمر السوري]، وقد ترأسه العالم العامل الشيخ رشيد رضا رحمه الله، وكان في هذا المؤتمر علمانيون متعصبون لما هم عليه من ضلالة وانحراف.

ولا فرق في هذه الانتخابات بين النيابة والمؤتمرات والندوات الدورية العامة، والمجامع الفقهية، وهيئات العلماء، وإدارة الجماعات والأحزاب الإسلامية. ومن الجدير بالذكر أنه قد ظهر بيننا من يقول بحرمة الانتخابات النيابة، وجنح بعضهم فقال بكفر من يرى شرعيتها، وقرأت بعض ما كتبوه وخرجت بالنتيجة التالية:

ما كتبوه يدل على أنهم ليسوا من أهل العلم، ولهذا فهم يهرفون بما لا يعرفون، ويستخدمون الأدلة في غير موضعها، ومن جهة ثانية فهم بين غال أو من شوش عليه أهل الغلو، فسلك أقصر الطرق ليبرئ نفسه من الكفر.

ومن المؤسف أن عدداً كبيراً من أهل العلم والفضل أحجموا عن قول كلمة الحق التي يؤمنون بها، إيثاراً للسلامة وخوفاً من أن يحسبوا على هذه الجهة أو تلك، ولكن حاشا لله أن تُترك ساحة الفتوى فارغةً يعيث بها من ليس من أهلها.

لقد كتب عدد كبير من العلماء الثقات في السياسة الشرعية، فأجادوا وأفادوا، وكان من بين هؤلاء: الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله، والشيخ عمر الأشقر رحمه الله، فليعد من شاء إلى ما كتبه في المجالس النيابية.

وإني في هذا المقام أنصح إخواني الدعاة إلى الله أن يشاركوا في الانتخابات، فإنها وسيلة من وسائل التغيير وبالتأكيد ليست هي الوسيلة الوحيدة، وللمشاركة تفصيلات لا ينبغي إهمالها، ومنها على سبيل المثال: وحدة الصف بعقلية الشركاء وليس بعقلية هيمنة جماعة على غيرها من الجماعات، ومنها الحذر من كل مُراءٍ لا يبالي من لبس أي ثوب ليس له ليتسلق على أكتاف عباد الله الموحّدين، ثم نكتشف فيما بعد أن غاية ما يسعى إليه المنصب ويتنكر فيما بعد للذين اختاروه.

ومنها أن يعمل الشركاء من أجل أن يكون الدين كله لله، ولا بد من مراعاة الاستطاعة، وتقويم تجارب من سبقنا، فتجنب أخطاءهم ونقرر ما نجحوا فيه، ومعيارنا هو موافقه هذه الأعمال للضوابط والقواعد الشرعية، مع حسن ربطها بالواقع.

ما بعد الانتخابات التكميلية:

نجح مرشحو اليسار في دمشق وحمص والسويداء، وتعززت أكثرتهم في المجلس النيابي، وكما قلت من قبل فلقد كان الجيش بأيديهم.

أما بالنسبة لنا فقد كنا من الدّ أعدائهم، وكنا نحذّر الأمة من زندقة بعضهم أو كفره وخبث البقية الباقية... كنا وفي طليعتنا العلماء نتحدّث من على منابر المساجد التي كانت أهم وسائل الإعلام، وكنا نواجههم في الجامعات والمدارس والمعاهد العامة، وفي الشارع والصحافة.

وقصارى القول: لقد استطاع الدكتور معروف الدواليبي ومعه حزب الشعب أن يدخلونا معركة خاسرة ليس لنا فيها ناقة ولا جمل، كان الشارع السياسي في سورية يغلي، وكل من يراقب الأحداث يدرك أن البلد غير مستقر ولن يستقر في ظل حكم هؤلاء، ولا ندري ماذا سيحدث فيما بعد؟

كنت طالباً في ثانوية ذرعا، وكان مدير الثانوية آنذاك خالد الفاهوم؛ الذي صار فيما بعد رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني، وكان يكرهنا نحن الإسلاميين كما ذكر هذه الحقيقة في مذكراته، ومع ذلك فلم يكن الفاهوم أسوأ المدرسين في ثانويتنا. كان في مدرستنا مجموعة من النصاري وهم من أهل حوران، وأكثرهم يكرهوننا، ولا تتحمل عقولهم وجود طلبة يعملون في جماعة هدفها أن يكون الدين كله لله، لكنهم كانوا يعطوننا من طرف اللسان حلاوة. وفيها أيضا مجموعة من المدرسين اليساريين، أما المدرسون الإسلاميون الذين أشرت إليهم في الجزء الثاني من مذكراتي فهم من خارج ملاك الوزارة ويعملون بالساعات، ولا شأن لهم في القرارات المتخذة.

كانت تحدّثني نفسي بأنني سأكون ضحيةً وعبرةً لمن هم على شاكلي من الطلبة، لأنني كنت صريحاً في طرح أفكاري، كما كنت أشعر بحقدهم عليّ. في آخر السنة رسبت في مادة عادةً لا يرسب فيها الطلبة لأنها ليست من المواد الأساسية، وكان مدرستها هو أحد الصليبيين الذين أشرت إليهم، وكان أشدهم نقمةً عليّ، اعترضت على النتيجة وطلبت إعادة تصليح ورقة الاختبار، ولكن الأمر كان مدبراً ومحكماً لاسيما وأن المدرسين كانوا يملكون صلاحيات واسعة.

لقد أغلقت الأبواب بوجهي وكان موقف إدارة المدرسة^(١): طالب رسب، ماذا في ذلك؟ ولماذا هذا المدرس أو ذلك لم يتخذ إجراءً ضد فلان أو فلان من

(١) في المرحلة الجامعية سمعت بعض الإخوان من محافظات أخرى يتحدثون عن قصص مع مدرسيهم اليساريين مشابهةً لقصتي، ومن أطرفها أن أحد المدرسين ضغط على زميلنا محمد محمود الحساوي رحمه الله وأراد به شراً، فردّ عليه بقصيدة جميلة، وخلاصة ما جاء فيها: افعل ما تشاء، وستعلم أن أعز ما أملكه وأعتز به في هذه الحياة هو اتجاهي الإسلامي، ولن أساوم عليه.

الطلبة ممن هم على شاكلته؟! كلام مقنع لكل من يراجعهم لاسيما وأن الطالب الراسب لا يتحمس أهل الخير من الوسطاء للدفاع عنه.

أنا من جهتي أجزم بأني ظلمت ولم أجد الحُصن الحاني، وهب أني أعدت السنة، فما الذي يمنعهم من تكرار ما فعلوه بي بنفس الطريقة أو بطريقة أخرى، وماذا أنتظر من قوم لا يخشون الله، وإذا ليس أمامي إلا الانتقال إلى مدرسة خاصة في مدينة دمشق.

وأكثر هذه المدارس تقبل من رسب في العاشر أن يدرس الحادي عشر إذا كانت درجاته مقبولة، وما زلت ألحُّ على والدي حتى وافق، وهذا الذي حدث، ولا أذكر لماذا اخترت الكلية العلمية الوطنية، والدراسة في المدارس الخاصة ليست بالمجان. فكان لابد من دفع مبلغ معين، كنا ندفعه على شكل أقساط، ويُضاف إلى أقساط نفقات السكن والمعيشة، فقد كانت على الأقل ضعف ما كنا نفقه في ذرعا، وهذا يقتضي العمل في الصيف لأساعد أهل على هذه النفقات الجديدة، والعمل يحتاج إلى واسطة، والمحظوظ هو الذي يجد الواسطة المسموعة الكلمة.

عملت في السنة الأولى في مكتب الحبوب، وفيها تعرّفت على الأخ مروان حديد الذي كان معه والده، وكان جادًا لا تفتر همته في الدعوة إلى الله بما يقدر عليه، وكان يحدثني عن إخوته: أحدهما محام والآخر ضابط، وكانا من جماعة أكرم الحوراني، لكنَّ والده - كما قال لي - يدعمه ولا يدع لهما مجالاً للتطاول أو التضيق عليه، وكنت أحدثه عن وضعنا في ذرعا، وكان يعجبه القوة عندما أحدثه عن المظاهرات وتفوقنا على البعثيين، وفي السنة الثانية عملت مراقبًا على قناة ربي في حوران، وفي السنة الثالثة عملت في معرض دمشق الدولي.

كنت كالدولاب^(١) دائم الحركة، فمن الدراسة والدروس إلى العمل في العطلة الصيفية ثم أعود إلى المدرسة، وفوق هذا وذاك نشاطي في جماعة الإخوان المسلمين، وكان عندي أهم من الدراسة والعمل. لم يكن عندي وقت للتنزه أو للسياحة، ورغم المشقة فقد تعلمنا من هذه المرحلة دروسًا كثيرة: أهمها أن نيل المطالب الغالية لا يتم بالتمني والتواكل والكسل، بل لابد من بذل الجهد والاعتماد على النفس، وأن لكل شيء ثمنًا، ولا قيمة لأمر أو لشهادة بدون ثمن، فصاحبها سيكون فاشلاً في حياته، كما هو الحال في كثير من المعاهد والجامعات اليوم.

لم يكن ينجح في معاهد سورية وجامعتها إلا من يستحق النجاح بجده واجتهاده، ثم جاء حين من الزمن تقلد فيه الباطنيون الذين لبسوا كبوس حزب البعث الحكم بانقلاب عسكري فدمروا التعليم كما دمروا الاقتصاد والأخلاق. أسأل الله أن تكون نهاية أيامهم قريبة.

ذكرياتي عن الكلية العلمية الوطنية باهتة، فطلابها خليط من الفلسطينيين والدمشقيين وطلبة من عدد من المحافظات السورية، وإدارتها ليست يسارية، إنما مهمتها نجاح المدرسة، وتختار مدرسين مقتدرين في المواد الأساسية. طلابها ليسوا حزبيين، اللهم إلا أبناء فلسطين فيكثر فيهم البعثيون والقوميون. وليس للاتجاه الإسلامي وجود، رغم رسوخ جذور هذا الاتجاه في المجتمع الدمشقي.

بالنسبة لي لم تكن المدرسة أكثر من ممر إلى مرحلة ما بعد الثانوي. كان الوضع هادئًا، وحتى الطلبة البعثيون كانت علاقتي بهم لا بأس بها. أعطيت الدروس اهتمامًا يمكّنني من النجاح، وبعد سنتين نجحت في نيل الشهادة الثانوية (البكالوريا)، والحمد لله.

(١) وكذلك كان حال كثير من الطلبة.

عبد المجيد حبيب: عرفت في هذه المدرسة الطالب عبد المجيد حبيب، وهو في مثل سني وفي السنة الدراسية نفسها، ومن نفس اتجاها، وتوثقت الصلة بيني وبينه خارج المدرسة، ثم في الجامعة وبعد الجامعة، إلى أن غادرت سورية سنة ١٩٦٥ م.

عبد المجيد حبيب من أهل حي القدم بدمشق ولهم فيها مزارع، فكنا نأخذ كتبنا ونراجع دروسنا هناك، وفي هذه المزارع تعرّفنا على نخبة طيبة من أقراننا ومن خيار أهل الميدان، وليس هناك من رابطة أقوى من رابطة الأخوة في الله، واليوم لا أدري ماذا فعل الله بهم، رحم الله من تُوفي منهم في سجون الطغاة ونحتسبه شهيداً في سبيل الله، وبارك الله سبحانه وتعالى في عمر الأحياء منهم، وأحسن خاتمتنا وخاتمتهم.

عبد المجيد حبيب من يعرفه دون أن يتعامل معه يظنه لا يفعل شيئاً أكثر من دراسته ودروسه، لكنه خارج المدرسة كثير النشاط في الخير، ومن أوجه نشاطه إدارته لمدرسة مسائية لتعليم الأميين في حي القدم، وكان يطلب منا مساعدته، وهكذا بين الضحى والمساء يتحوّل الطلبة إلى مدرسين.

علمت من المنفيين السوريين في الثمانينيات من القرن الماضي أن عبد المجيد حبيب قد توفاه الله في سجون طغاة سورية. أسأل الله أن ينتقم منهم ويجعلهم عبرة لكل من يعتبر. لقد كان أخي عبد المجيد متواضعاً، لئّن الجانب، بشوش الوجه، يعمل بصمت، ويتبعد عن الأضواء، يمشي في قضاء حاجات إخوانه، وكان الله سبحانه وتعالى قد خلقه لخدمة الناس. رحم الله عبد المجيد رحمةً واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى.

أعود إلى الحديث عن دمشق التي أصبحت نزيلها، وكان أخي عبد المجيد نافذة من النوافذ التي عرفت من خلالها دمشق. دمشق تختلف عن حوران وعن مدينة ذرعا. لقد كنا نعرف في هذا المجتمع الصغير بعضنا البعض، فهذا ابن عمي، وذلك من عشيرتنا

أو من العشيرة الفلانية، وليس فيها غرباء عنها باستثناء الذين جاءوا من دمشق للتجارة أو لأعمال رسمية حكومية، وهم قلة وينتظرون الفرصة المناسبة للرحيل.

أما دمشق فلها شأن آخر، إنها العاصمة ويسكنها مواطنون من جميع المحافظات السورية، ويشغلون أعمالاً مختلفة أو يلتحقون بمعاهد دمشق وجامعتها الوحيدة يومئذ في سورية، ولهذا فدمشق صورة مصغرة للمجتمع السوري، ومن أسمائها الشام، من باب إطلاق العام على الخاص.

ويسكنها منذ القديم النصارى، ولهم فيها حي اسمه [باب توما]، ولليهود حي خاص بهم كذلك، وإن كان معظمهم غادر دمشق واستوطن في فلسطين. ولأهل المغرب العربي حي [سويقة - رباط المغاربة]، ولا يزال هؤلاء يعيشون في منازلهم وكانهم في الجزائر أو في مراكش.

وللأكراد حي اسمه [الأكراد]، وصار يُسمى [ركن الدين]، وفي المهاجرين يسكن خليط من: الشيشان، والألبان، والبلقان، والشركس، والتركمان، والذين جاءوها من جزيرة القرم، وداغستان، وغيرها.

هؤلاء جميعاً سحرتهم دمشق بعاداتها وتقاليدها، فصاروا دمشقيين أكثر من أهل دمشق. لقيني أحدهم في لندن، ولفت نظره شكلي ولباسي العربي فسلم عليّ، وبعد أن علم بأنني سوري عانقني بحرارة، وقال: أنا طبيب، من ريف دمشق أجبرتني ظروف في على الاغتراب، ومع أنني نصراني فإنني شديد الشوق لصوت (الله أكبر) الذي كنت أسمعه من فم المؤذن خمس مرات في اليوم، ثم مضى في سبيله، وتركني أفكر في نصراني يتشوق إلى صوت المؤذن! ومثل هذا نُقل عن فارس الخوري، وغير مستغرب قول هذا وذاك، فالأذان جزء من تقاليد وعادات العرب، وإذا كان يعني توحيد الله وعدم الإشراك به عند

المسلمين، كما يعني الدعوة إلى الصلاة التي هي ركن من أركان الدين، فإنه يعني عند النصارى أصلهم العربي الذي يحنون إليه في ديار الغربية. وهذا ومازلت أتحدث عن دمشق وحنين من يعرفها إليها بعد أن يرحل عنها. يتذكر رئيس رابطة علماء الجزائر العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي دمشق بعد ثلاثين سنة في «جريدة البصائر» [العدد ٦٤ سنة ١٩٤٩م]، بعد ذكره لعدد من علمائها وأعيانها فيقول:

(ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر، وأنني كنت فيها أقرّ عيناً وأسعدَ حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً، فوجد الإدبار رائحاً والإقبال آتياً. ولا أكذب الله، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن «الجزائر»، ولكن من لي بصدر رحب، وصحب كأولئك الصحب؟).
(... ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء، وجادتها الهوامع وسقت وأفرغت فيها ما وسعت وخصصت بالمشقولات الدوالج مجامع الأحباب، وأندية الأصحاب، من الصالحية، والجسر، والنيرين، والمزة، والربوة. فكم كانت لنا فيها من مجالس، نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية، على ودٍّ أصفى من بردى تصفق بالرحيق السلسل، ووفاء أثبت من أواسي^(١) قاسيون، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات. لا توبن^(٢) في مجالسنا حرمة، ولا يُكلم عرض، ولا يُقارف مأثم، بل هو الأدب بلا جذب، نهصر أفنانه، والعلم بلا ظلم نطلق عنانه، والفن بلا ضن، تُروّق دنانه، والنادرة بلا بادرة نتلقفها، والنكتة بلا سكتة نتخطفها).

(١) والآسية: البناء المحكم، والآسية: الدعامة والسارية، والجمع أواسي. «لسان العرب».

(٢) توبن: من أبته أي عابه. أي لا تذكر الحرم في مجالسنا بسوء.

وبهذا الأسلوب الراقى يتحدث عن تربة الدحداح التي أودع فيها أحب الناس إليه، وعن الغوطة وقراها، ثم يقول عن يوم الوداع:

(ويا يوم الوداع ما أقساك، وإن كنت لا أنساك، لا أنسى بعد ثلاثين سنة، ولن أنسى ما حييت، موقف الوداع بمحطة البرامكة والأستاذ الخضر^(١) يكفكف العبرات، وتلامذتي الأوفياء: جميل صليبا، وبديع المؤيد، ونسيب البكري، والأيوبي، يقدمون إليّ بخطوطهم كلمات في ورقات، ما زلت محتفظاً بها احتفاظاً الشحيح بهاله). وأنا اليوم، وبعد مرور أكثر من خمسين عاماً على غربتي، في شوق لدمشق وأطرافها أشدّ من شوق الشيخ الإبراهيمي رحمه الله.

وأذكر أيامي الأخيرة في ثانوية ذرعا. لقد ضاقت بوجهي الدنيا بما رحبت، وبلغ بي القهر مبلغه، ومن كان في مثل عمري يومذاك لا يدرك أن الأستاذ، أو الإدارة، أو أي جهة أخرى، قد يريدون للتلميذ الشرّ ويريد الله له خيراً، ويجعلهم سبباً - من حيث لا يدرون - لحصول هذا الخير، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وهذا هو الذي شعرت به بعد انتقالي إلى دمشق، وكان أولّ متدى أتجه إليه (مركز الإخوان المسلمين) في الشهداء، وما كنت أجهل المكان، فقد زرته من قبل. ومن تقاليد الإخوان: «حديث الثلاثاء»، وكان يتحدث فيه عدد من الأسماء

(١) الصالحية، والمزة، والربوة، والنيرين: أسماء بعض أحياء دمشق. والخضر هو الشيخ محمد الخضر حسين، جزائري الأصل - ومن طولقة جنوب الجزائر - وُلد في تونس عام ١٨٧٤م، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام لاشتغاله بالسياسة، فرحل إلى دمشق، واضطر إلى مغادرتها عام ١٩٢٢م إلى القاهرة بعد ملاحقة سلطات الاحتلال له، ومازال يترقى الوظائف العلمية حتى أصبح شيخاً للأزهر. [عن كتاب «محمد رسول الله وخاتم النبيين» للشيخ الخضر].

اللامعة، لاسيما وأن دمشق غنية بالخطباء والمحاضرين، غير أن الاسم الذي شدّ انتباهي وكنت لا أنقطع عن حضور دروسه هو عصام العطار.

عصام العطار: واسمحوالي في هذه المقدمة قبل أن أتحدّث عنه: أعتقد أن المرء لا يُلام إذا تحدّث بفضل أساتذته عليه، ويُلام في حالتين:

الأولى: أن يعتقد أنه ليس لأحد فضل عليه، فهو في مقام الأستاذ الموجّه دائماً، ولا يبالي في انتقاص ونقد من علّمه، وهو الذي نبّهه وحذّره من أخطائه وتسرعّه في إصدار الأحكام، وهذه هي حال المتكبرين المغرورين.

الثانية: أن يكون مثل الببغاء يردد ما يسمعه من أستاذه، فهو دليله وحجته وإن كان لا أصل له، فكل ابن آدم خطّاء مهما علا شأنه.

وأحسب أنني لست من هذا النوع ولا ذاك.

بدأت مع الأستاذ العطار منذ عام ١٩٥٧م، وكنت قد استمعت إليه من قبل، واستمرت علاقتي به طيلة إقامتي في دمشق وعندما اضطر إلى الإقامة خارج سورية، زرتة مراراً في لبنان، والأردن، وألمانيا، وعرفته في الرخاء وفي الشدة، وفي السفر والحضر، وأقمت في بيته بعض الوقت، وما تزال علاقات الودّ والمحبة موصولة حتى كتابة هذه السطور^(١).

الأستاذ العطار خطيب من بقية خطباء عصر شهدناه، وكان يكثر فيه الخطباء، وحتى من الوزراء ورؤساء الوزارات كان بينهم فحول الخطباء، ويكفيّننا دليلاً فارس الخوري في سورية، وسعد زغلول في مصر.

والأستاذ العطار شاعر صادق اللهجة، قوي العاطفة، والشعر عنده نفثات داعية،

(١) أي حتى ٢٠١٦/٤/٥.

أو استراحة محارب، كما تسميها وسائل الإعلام. وهو قبل هذا وذاك داعية إلى الله عاش لدعوته، واستطاع أن يسخر جميع مواهبه لخدمة مبادئه وتصورات، وكتب الله له القبول عند الناس، ومن الأمثلة على ذلك مسجد الجامعة، وهو مسجد صغير غير ملفت للنظر، ولا يُعَدُّ من مساجد دمشق المشهورة، لكن عندما صار العطار خطيب الجمعة فيه، امتلأ المسجد، ثم امتلأت الساحات حوله، وصار المصلون يقصدونه من سورية كلها وليس من دمشق وحدها ليسمعوا خطبة عصام العطار.

ولقد رأيت سياسيين كباراً جاءوا ليسمعوا ما سيقوله عصام هذا الأسبوع، كما كانت الحكومة وأجهزة الأمن تتابع هذه الخطبة، وتبني عليها مواقف. وهكذا أصبحت هذه الخطبة منبراً إعلامياً عظيم الشأن. هذا مع العلم بأن المسجد أنشئ ابتداءً لطلاب الجامعة، وكان يتناوب الخطبة فيه من هو أكثر شهرةً من العطار، وإذا ذكر اليوم مسجد الجامعة فلا يتذكر الناس إلا خطب عصام العطار.

وإذا كان الناس يراقبون أقوال الدعاة: هل هي مطابقة لأفعالهم أم هناك انفصام بين القول والفعل؟ وإذا كانت هذه المواقف لا تظهر إلا في أوقات الشدة والابتلاء، ومن سنن الله ابتلاء الأنبياء والعلماء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

إذا كان الأمر كذلك، فسوف أذكر فيما يأتي بعض الأمثلة على مواقف عصام العطار في أوقات الضيق والشدة:

المثال الأول: أيام الوحدة:

في الواحد من فبراير سنة ١٩٥٨م انتهى عهد كانت تُحترم فيه إنسانية الإنسان، وكان من حقه أن يرفع دعوى للقضاء ضد من اعتدى عليه ولو كان رئيساً للدولة، والقضاء مستقل، ولا يُسمح للسلطة التنفيذية أن تتدخل في شؤونه. أجل! انتهى عهد كان فيه رئيس الجمهورية ليس من حقه أن يُغيّر سيارته التي استهلكت، وتغييرها لابد أن تنظر فيه لجنة الشؤون المالية وهي صاحبة القرار.

في الواحد من فبراير ١٩٥٨م بدأ عهد جديد أصبح من حق رئيس الدولة تغيير سيارته بل تغيير الوزراء، والنواب، وكل شيء، ويجب على المواطنين التصفيق لقراراته حتى تُبَحَّ حناجرهم، وإذا قال: إن الأسود هو في حقيقته أبيض، فعلى المواطنين أن يقولوا: نعم، ونأسف من هذا الغبش في عيوننا. إنه نهج فرعون: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وإذا كان لكل فرعون طريقته وأسلوبه، فعبد الناصر فرعون عصري حديث، وقد أغرى المواطنين بوعوده المعسولة، والناس يجرون وراءه يصفقون له ويُسَوِّغون له الأعذار، كقول قائلهم: نحن أردنا الوحدة العربية فلنرض بالصعوبات التي تكتنفها. ودون أن تجد ما يقول: ما هي علاقة الوحدة بالطغيان والاستعباد! فالعقول مخدّرة، وهذا الذي يسميه بعض كتابنا المعاصرين [قابلية الاستعباد]، وبعد حين من الزمن تنفجر هذه الشعوب بعد أن ينفد مخزون الصبر عندها، فتندد بالاستبداد والمستبدين، وتكشف عهد الطاغية وجرائمه، وها هنا تسمع العجائب، ولك أن تتساءل: كيف رضيت بهذا الاستبداد، وكيف اختار السيّد أن يصبح عبداً؟ ولماذا غفلتم عن أعز ما يملكه العربي وهو الحرية.

نعود إلى الحديث عن أوضاعنا أيام الوحدة، وعما كان عليه صاحبنا خطيب مسجد الجامعة.

لقد ضاقت علينا الدنيا بما رحبت بعد أن رحنا نبحث عن القادة الذين اعتدنا أن نعود إليهم بين حين وآخر، فلم نجد منهم أحداً، لقد كان النشاط الحزبي في نظر الكثيرين كالميت، وإكرام الميت التعجيل في دفنه، فأصحابنا سارعوا إلى دفن ميتهم، ثم انصرفوا إلى أمور دنياهم. الأستاذ عصام العطار الوحيد الذي كان يمشي بيننا- نحن طلاب الجامعة- وكان يقول لنا: لقد أغلقت مراكز الإخوان المسلمين، ولم تُغلق مراكز الإسلام، ولن يستطيع أحد إغلاقها مهما طغى وتجبر. وكان هذا الصوت الذي عهدنا فيه الصدق والإخلاص يجد آذاناً صاغية، فتجمع طلاب الجامعة، وتحرروا من الخوف بعد أن وجدوا قائدهم يمشي أمامهم دون خوف أو وجل، وعادت الروح إلى خطبة الجمعة كما كانت قبل الوحدة صريحة واضحة، ثم رحنا نتجمع في المساجد التي يلقي دروساً فيها، وتشجعنا فبدأنا ننظم رحلات إلى الغوطة نمضي فيها سحابة النهار، وكان الأستاذ عصام العطار معنا، يحثنا على العمل ويحذرننا من الخمول والكسل.

ومن الجدير بالذكر أن طلاب الجامعة كانوا من جميع المحافظات السورية، ومن لبنان والأردن، وكانت هذه الروح تنتقل إلى المناطق التي جاءوا منها، وأشهد أن الأستاذ عصام العطار صنع نهضة واسعة، وإن نسيت فلن أنسى الموضوعات التي كان يطرقها في خطبة الجمعة، والمجال هنا لا يتسع لأكثر من مثال: لقد تحدث في ثلاث خطب متتالية عن قضية فلسطين، وعرض مخططات اليهود بالأرقام، وفي المقابل ليس هناك استعداد يُذكر في الطرف العربي اللهم إلا الدعايات الفارغة والعنتريات المؤذية، فهناك الزعيم الأوحـد [عبد الكريم قاسم]، وهذا الذي وجد مُنى قلبه في لندن [الملك حسين]، وهنا رائد القومية العربية [جمال عبد الناصر].

ألقاب مملكة في غير موضعها كاهراً يحكي انتفاضاً صولة الأسد

أجل: هذه هي خطب عصام العطار في عهد الجنرال المستبد جمال عبد الناصر، وكانت قيادة الشرطة العسكرية لا تبعد إلا أمتاراً قليلة عن المسجد الذي يخطب فيه العطار. لقد كنا نخشى عليه من الاعتقال ولكن الله خير حافظ وهو أرحم الراحمين، ولعل عبد الناصر في سورية تجنب بعض الشيء تكرار ما فعله في مصر مع الإسلاميين في سورية، ولكن العطار كان يقوم بما أوجبه الله عليه من بيان الحقيقة عند حاجة الناس إليها، دون أن يهتم كثيراً بما سيفعله عبد الناصر، وطالما كان يردد في خطبه:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هيئ وكل الذي فوق التراب تراب

أرايتم متى تظهر معادن الرجال؟ وكيف يكون حال الجند إذا رأوا قائدهم في مقدمة الركب، ولسان حاله يقول: ها أنا صاحبكم في الشدة والرخاء، في العسر واليسر، ولن أتوارى عن الأنظار رغبة أو رهبة، فحسبي أن يرضى الله سبحانه وتعالى.

وإذا أحبَّ الله إنساناً ابتلاه، وهذا ما حدث للعطار ففي نهاية عام ١٩٥٩م عرض عليه نظام عبد الناصر وزارة!! وزارة جاءت تسعى لشباب لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من سني عمره، ومن كان في مثل هذا السن كان يجذو ويسعى ويواصل الليل مع النهار ليصبح مدير إدارة أو مساعد مدير إدارة في وزارة من الوزارات، فهذا هي الوزارة كلها تُعرض على صاحبنا، وأوضاعه المالية تضغط عليه وتريد منه أن يقبل، فقد كان يعيش حياة متواضعة لا تتناسب مع أصحاب الوزارات. هذا وقد عُرض

عليه فيما بعد منصب نائب رئيس الوزراء، كما عُرض عليه أن يكون سفيراً في دولة يختارها هو، فرفض هذه العروض كلها، وآثر الحياة البسيطة مع إخوانه الشباب، كما رفض أن يُباع أو يُشترى في سوق العروض المغرية، وهذه هي مواقف ومغريات لا يثبت أمامها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، وهو - من غير شك - قد فكّر وتأمل أحوال من قبلوا هذه المناصب في نظام مثل نظام عبد الناصر، وكيف نقلتهم الوزارة من حال إلى حال آخر، ولا يريد لنفسه ولا لدعوته هذا المصير، فجزاه الله كل خير.

المثال الثاني: الانفصال:

في الثامن والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٦١م قام بعض الضباط بقيادة انقلاب عسكري أطاح بالوحدة بين سورية ومصر، وأغلب هؤلاء الضباط من دمشق، وجرت العادة في مثل هذه الحالات أن يُعقد مؤتمر يُدعى إليه كبار رجالات سورية، كما جرت العادة تأييد المؤتمرين ومطالبتهم بإجراء انتخابات حرة تمكّن الأمة من اختيار ممثليها في المجالس التشريعية والتنفيذية.

دُعي الأستاذ العطار إلى هذا المؤتمر الذي كان ممن حضره: هاشم الأتاسي، سلطان الأطرش، خالد العظم، صبري العسلي، أكرم الحوراني، صلاح البيطار، ناظم القدسي، لكن الأستاذ العطار لم يحضر، في حين كان غيره يقيم الدنيا ولا يقعداها من أجل حضور مثل هذا المؤتمر. كان الأستاذ يتجنب التسرع في مثل هذه المواقف الحساسة، ثم دعا أهل الحل والعقد من الإخوان المسلمين، لتحديد موقفهم من الانقلاب، ولاستئناف نشاطهم بعد هذا الانقطاع الذي استمر طوال فترة الوحدة.

وعندما طُرح الموقف من الانقلاب العسكري والانفصال انقسموا قسمين: قسم يؤيد الانقلاب، والقسم الآخر يعارضه، ولكل قسم رؤيته وأدلتها، فما كان من عصام إلا أن بسط أمامهم الموقف العام، وكان مما قاله:

(... إن موقفنا في الحاضر هو نفس موقفنا في الماضي، لأننا لا نندفع في هذه المواقف بهوى متقلب، أو مصلحة متبدلة، ولكننا نصدر فيها عن عقيدة، ونخضع لمقاييس، وننظر إلى رضى الله قبل أن ننظر إلى أي شيء آخر... ولقد وقفنا مع الوحدة بكل قلوبنا وإمكاناتنا، ونصحنا في نطاقها لأمتنا وبلادنا، وراقبنا الله في كل عمل من أعمالنا، فلم تمل بنا رغبة أو رهبة، ولم نقصّر في بيان مصلحة أو كشف خطأ أو محاربة انحراف، وتعرضنا في ذلك كله للخطر والعنت والشدة والأذى. ولكننا لم نتخلّ قط عن الوحدة، ولم نقبل التعاون مع من غير رأيه فيها)^(١).

قلت: إن المئات - إن لم نقل الآلاف - من الرجال الثقات يشهدون على صحة قول الأستاذ عصام، وكنا نخشى عليه من طغيان الحاكم الفرد، فننصحه، ويكون رده: (إذا سكّت أنا وسكت غيري فمن يُبيّن للناس الحق من الباطل، ويصدع بكلمة الحق عند حاجة الأمة إليها، وأضاف: قلناها وسنقولها، وفي سبيل الله نستسهل الصعب، وما يختاره الله لنا فهو الخير لنا). في هذا الوقت كان الكثير والكثير يُطَبّلون ويزمّرون لعبد الناصر، والقليل القليل منهم كانوا صامتين، وبعد الانقلاب العسكري صار الكثير من هؤلاء أسوداً، وانقلبوا من النقيض إلى ضده^(٢).

طلب مني أحد إخواننا ضباط الجيش أن أرافقه لأمر يريده من الأستاذ العطار ففعلت، قال الأخ الضابط رحمه الله للأستاذ عصام: لقد اتصل بي الرائد صدقي العطار وعرض عليّ التعاون معهم، فيماذا تنصحنى؟ وبهذه المناسبة هل الرائد صدقي

(١) «من بقايا الأيام»، الجزء الثاني، ص ٦٥، كتاب الرائد. وكانت الصحف قد نشرت لقاءها بالأستاذ عصام العطار بتاريخ ٢٩ محرم ١٣٨٢ هـ، الموافق ٤ / ٧ / ١٩٦٢ م.

(٢) لقاء الأستاذ العطار عن الوحدة العربية والإسلام، والوحدة بين سورية ومصر، يجده القارئ بتمامه في ملاحق هذا الجزء من المذكرات.

من أقربائك؟ فكان جواب الأستاذ: نحن لا نسير وراء انقلاب عسكري لا نعرف من يقف وراءه، ولم نستشر من قبل بأمره، وعهدنا بالانقلابات العسكرية أنها لا تأت بخير لهذه الأمة، فإن قلت: إن فلاناً من الضباط يحتفظ بعواطف إسلامية، قلت لك: وفلاناً الآخر من زملاء الأول صاحب مواقف معادية للإسلام، قد يكتبها إلى حين ويظهر خلاف ما يظن وقد يعلنها. فنحن يا أخي لا ننطلق في مواقفنا من حب أو كره، ولا نعامل القريب خلاف البعيد. مواقفنا ثابتة ولا يستخفنا الذين لا يوقنون... ومَرَّت الأيام ورأينا هؤلاء الضباط يعودون إلى جمال عبد الناصر، ويعرضون عليه إعادة الوحدة وفق انقلاب عسكري يدبرونه، وعبد الناصر يتلاعب بعواطفهم، فهو يقبل عرضهم حيناً ويرفضه حيناً آخر، ثم يعود ويفرض عليهم شروطاً تعجيزية. أما مواقف إخوان العطار فكانت ثابتة في جميع الحالات.

المثال الثالث: العطار والانقلابات العسكرية:

غداة انقلاب عسكري [لا أدري هل هو انقلاب ٨/٣/١٩٦٣ أو غيره]، وبعد إعلان البيان رقم (١) وحظر التجوُّل، خرجتُ من منزلي لا أُلوي على شيء، واتَّجَّهت نحو منزل الأستاذ العطار، وفي ذلك ما فيه من مخاطر، وكان هدفي من وراء هذه المغامرة: الاطمئنان على سلامة قائد الجماعة، وهل أستطيع مساعدته في أمر يريده؟ ثم سؤاله عن موقفنا من هذا الانقلاب الذي لا نعرف أبعاده؟ سرت في طرق ملتوية، واستطعت تجاوز كثير من الحواجز المسلَّحة بسلام.

وبعد أن قطعت معظم دمشق من جنوبها إلى شمالها، وصلت إلى منزل الأستاذ العطار، ولم أكن لأستغرب إن لم أجده في منزله، لأن كبار ساسة البلد يتوارون عن الأنظار في مثل هذه الأيام، لكي يفوتوا الفرصة على أجهزة الأمن التي تسارع إلى

اعتقلهم وحشرهم في سجن المزة سيئ السمعة، غير أنني فوجئت أن صاحبنا هو الذي فتح الباب، وفي غرفة الاستقبال وجدت مجموعة من الإخوان وفدوا إليه من مختلف دمشق، وهدفهم هو نفس هدفي، فخاطبنا قائلاً: نحن أيها الإخوان نقف على أرض من صخر، ولا نخشى الانقلابات العسكرية، لأن الذين يخشونها هم الذين يسرقون وينهبون، أما نحن فقد دخلنا العمل السياسي شرفاء وخرجنا منه شرفاء، ولن يستطيع هؤلاء أن يضعوا على أحييتنا إشارة استفهام، فبلغوا إخوانكم سلامي، وثقتي المطلقة بنصر الله لنا. وخطب الجمعة، وردّد نفس الكلام الذي قاله لنا في منزله، وسلطات الأمن تسمع تحديه لها، وكانت قد حاولت منعه من الخطابة لكنها لم تستطع.

وقصارى القول: لقد كان صاحبنا في الشدة كما هو في الرخاء: صادقاً، أميناً، جريئاً، يفعل ما يقول ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى. وفي مثل هذه المواقف الحاسمة، يكبر القائد في أعين قواعده، فتزداد الثقة به، ويتضاعف الاطمئنان إلى خط سيره.

المثال الرابع: طريقنا الإسلامي مستقل ومتميز:

رفع الأستاذ هذا الشعار والتزم به منذ بداية تولي قيادة الجماعة، فقال البعض: ماذا يعني هذا الشعار؟ وهل نهج غيره كان غير مستقل ولا متميز، فردّ الأستاذ موضحاً مقصده في عدة مقالات، منها: «الطريق الإسلامي المستقل المتميز»، «على طريق الإسلام المستقل المتميز»، «دعوة إلى التحرر من سيطرة الأنظمة والحكّام»، «نعارض محاولات احتواء العمل الإسلامي».

فردّ هذا البعض: ما زلنا لا نفهم ماذا تقصد، ونحسب أن شعار المستقل المتميز ليس أكثر من كلام إنشائي عام.

قلت: الأستاذ العطار في خطابه يكتفي بالتلميح، وهذا هو نهج رسول الله ﷺ: ما بال أقوام^(١) يفعلون كذا وكذا، ويكره جرح مشاعر الناس، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فربما صغار السن ممن لم يشهدوا مرحلتَي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي لم يفهموا فعلاً أبعاد هذا الشعار، ولهذا فإني سأضع النقاط على حروفها بطريقتي، وأنا وحدي مسؤول عما أكتب في هذه المذكرات وفي غيرها:

- أول شيء فعله الأستاذ العطار عند توليه قيادة الجماعة هو قطع الطريق على شخصيات سياسية إسلامية كانت تضع قدماً ونصف القدم في حزب الشعب، ونصف القدم الآخر في الإخوان، وكان لهم شأن كبير في القرارات التي يتخذها الإخوان، وما مثال خوض الانتخابات التكميلية عنا ببعيد، وهذه الانتخابات كانت تخدم مصالحهم السياسية ولا تخدم الإخوان بل تضرُّ بهم.

إن أول ما تعنيه الجماعة المستقلة هو أن يكون قرارها مستقلاً وهي التي تتخذه، وثاني ما تعنيه أن تكون متميَّزةً بإسلامها الذي تدين الله به، فالقرارات المستوردة ليس فيها أدنى تميَّز لأنها تصدر عن جهات حزبية، إن لم تكن علمانية فهي أقرب إلى العلمانية. وهذا هو القرار الجريء الذي اتخذته الأستاذ العطار منذ بداية قيادته للجماعة دون أن يصطدم بمن يعتبرون أنفسهم أوصياء على الجماعة، وبالتأكيد فهم ومن يلوذ بهم أو يستفيد منهم من الإخوان ومن غيرهم لا يكونون وداً للأستاذ العطار.

- الإخوان المسلمون الذين بطش بهم جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٤م بحجة محاولة اغتياله في حادثة المنشية بالإسكندرية، استطاع بعضهم الخروج من مصر،

(١) ورد هذا الحديث في غير باب من أبواب الحديث، من ذلك ما رواه البخاري ١/ ١٩١ (٧٥٠)، ومسلم ٤/ ١٢٩ (٣٣٨٤)، من حديث أنس به مرفوعاً.

وبعض هؤلاء الذين غادروا مصر [وليس كلهم] لم يقفوا عند حدٍّ في عداوتهم لعبد الناصر، ومن ذلك تشكيل جبهة معارضة مصرية، تعاونت مع شاه إيران تارةً، ومع الدول الغربية تارةً أخرى، وصاروا ورقة للمفاوضات بين هذه الدول وعبد الناصر، وكان الملك حسين بن طلال هو أبرزَ المفاوضين بين الطرفين، وكان مثل هذا الأمر غير مقبول عند الإخوان المسلمين في سورية، والجدير بالذكر أن الأستاذ مصطفى السباعي كان يستنكر هذه الاتصالات المشبوهة، ومثله الأستاذ العطار، وغيرهما من إخوان مصر والبلاد العربية، وانتقلت هذه العدوى من بعض إخوان مصر إلى الإخوان المسلمين في سورية سنة ١٩٨٠ م، وكان قد وقع الانشقاق.

الإخوان المسلمون في سورية الذين استدرجتهم الطليعة المقاتلة إلى حرب دموية مع النظام الطائفي الذي كان يقوده حافظ الأسد، ويا للعجب!! استعانوا ببعث العراق ضد بعث سورية، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومن المؤسف أن تاريخ هذا التعاون لم يُكتب، ولو كُتب بطريقة علمية لوجد الإخواني نفسه أمام ظاهرة مخيفة، يعرف خفاياها من كان يتردد على بغداد في ذلك الوقت، وأقل ما فيها أن جميع أسرار الإخوان ابتداءً من أبي القعقاع إلى آخر [الأبوات] كانت مكشوفةً عند المخابرات العراقية وحدها، وانتهاءً بالسلاح والعمليات وآخر وأدق ما عندهم من أسرار.

انقسم الإخوان على أنفسهم، ولم يتفقوا على مراقب عام واحد، واشتدَّ الخلاف دون رحمة، وطبيعي أن تُقرب قيادة حزب البعث الجناح القريب منها والذي يسهل عليها الاستفادة منه، وأصبح لهذا الجناح صلات متينة مع قادة حزب البعث ومع طه ياسين رمضان بالذات، وكان هو المسؤول عن الملف السوري، وصار رمضان يكلّف قيادة جناح الإخوان السوري بمهمات ليس لها علاقة بالمعارضة السورية،

ولا تخدم إلا العراق، بل صارت الحكومة ترسل شخصيات إخوانية في مهمات رفيعة المستوى، ويُستقبل هذا الشخص في البلد العربي الفلاني كممثل لصدام حسين أو لطفه ياسين رمضان أو لحكومة البعث.

وصار كلُّ جناح إخواني يتهم الجناح الآخر بالعمالة لحزب البعث، وكما قلت قبل قليل، فنحن لا نعرف الصحيح من الكذب من هذه الاتهامات لأنها لم توثَّق، ولا يزال معظم الإسلاميين دون كثير من الجماعات لا يعرفون التوثيق، ولا يعترفون بأخطائهم، ودائمًا يحاولون تسويقها، ولا يبالون في حجم العدد الكثير منهم، أو من غيرهم، الذي يرفض هذه التسويات جملةً وتفصيلاً، والذي يهربون من توثيقه يصبح كنوع من التناجي بالإثم، ولكنه يختلف عن التناجي بالإثم من جانب، فالتناجي بالإثم مهما اتسع لا يتجاوز من يسمعه أصابع اليد، في حين يكاد هذا التناجي لا يستثني أحداً سواء كان من الخاصة أو العامة، فهو بالتأكيد قد فقد معنى التناجي، كما جانب الهدي النبوي في مواجهة المشكلات.

- تعاون الإخوان المسلمون في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي مع النظام الملكي في الأردن في مسائل كان بوسعهم الوقوف فيها على الحياد أو التزام الصمت، وفاجأتنا «صحيفة الكفاح الإسلامي» الناطقة باسم إخوان الأردن في عدد من أعدادها بعنوان صارخ: نحن مع الحسين ما دام في كتيبة الرحمن!!

الحسين في كتيبة الرحمن!! متى دخلها؟ وكيف؟ وما هي أدلتكم على ذلك؟! نحن الإخوان المسلمون كنا ننتقد النظام الأردني والحسين؛ لأنه دخل في كتيبة أمريكا وبريطانيا، فكيف تكون الكتيبة: كتيبة الرحمن في الأردن، وكتيبة أمريكا وبريطانيا في سورية، مع أن الجماعة واحدة، والهدف واحد؟!!

ومضت الأمور على هذه الحال المؤسفة، إخوان سورية يرؤن أن الحسين رجل أمريكا في المنطقة، وتركوا إخوان الأردن وكتيباتهم التي سمّوها «كتيبة الرحمن»، ولم يسألوهم أين وصل الحسين داخل هذه الكتيبة: هل ما يزال يحبو فيها أم بلغ المراتب الرفيعة؟! أم خرج منها؟! لم يعد للسؤال أي قيمة.

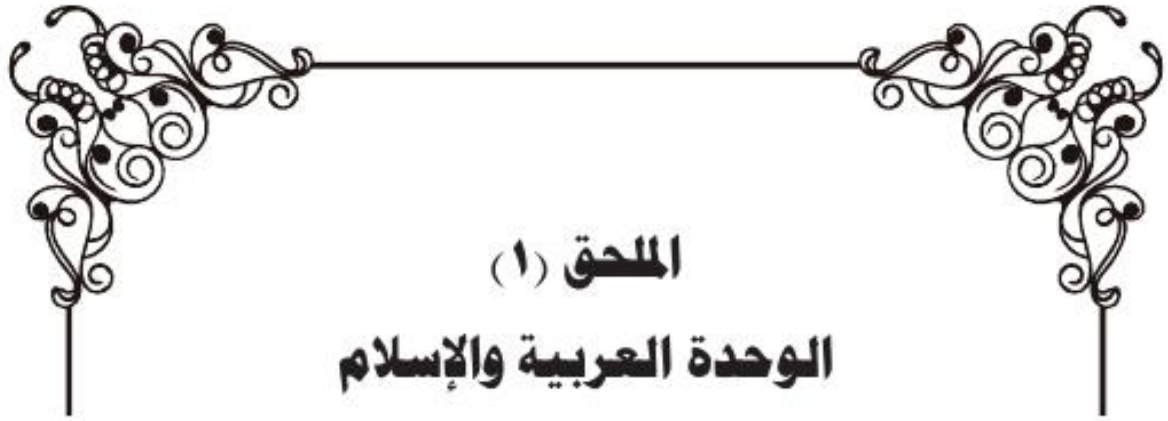
إذا: فدعوة الأستاذ عصام العطار إلى: «الطريق الإسلامي المستقل المتميّز»، «ورفضه التبعية للشرق والغرب»، «ودعوته إلى التحرر من سيطرة الأنظمة والحكام»، و«معارضته لمحاولات احتواء العمل الإسلامي». أقول: هذا وغيره مما دعا إليه، وكتب عنه الكثير له ما يبرره وليس كلاماً إنشائياً وعبارات فضفاضة كما زعم البعض، وإني إذا اكتفيت بتذكير من نسي أو تناسى بهذه الأمثلة من واقع العمل الإسلامي غير المستقل وغير المتميّز الذي عشناه، أقول: لا يزال في الجعبة الكثير الكثير، ولكنني أرى الاسترسال في عرضها والتعليق عليها يضرُّ أكثر مما ينفع.

وخلاصة القول: في صحبتي للأستاذ عصام العطار التي دامت ستين عاماً ونيّفاً، عرفت فيه زهده في الدنيا، ورضاه بالقليل، ولو شاء لملك الكثير وعاش في رخاء. وهو هو: في العسر، في الحضر والسفر، في عزة نفسه، ورفضه للذل والخنوع... في تجنبه النيل من الناس وإن أساء البعض إليه، ولهذه الأسباب كتب الله له القبول، لاسيما وأن القول الذي يخرج من القلب لا بد أن يأخذ سبيله إلى قلوب الناس. وهو بعد ذلك بشر يخطئ ويصيب، وحديثي عنه لا يتجاوز ما تعلمته منه.

أسأل الله أن يختتم بالصالحات أعمالنا، ويكثر في هذه الأمة مثل هذه النماذج

الطيبة.

الملاحق



الملحق (١)

الوحدة العربية والإسلام

والوحدة بين سورية ومصر^(١)

ومن الجدير بالذكر، أنه قد كان لهذا البيان أبعاد تاريخية، أثبت الأستاذ عصام العطار من خلاله حنكته السياسية وحسن تقديره لعواقب الأمور^(٢).

س : إنك تدعو إلى الوحدة العربية، فما علاقة ذلك بالإسلام؟

ج: إن الذين يطرحون مثل هذا السؤال ينسَوْنَ أن الإسلام هو الذي وحد العرب أول مرة، وهو الذي جعل بلادنا هذه عربيّة.

لقد كانت أرض العرب لا تتجاوز شبه الجزيرة وأطراف بعض البلاد المجاورة لها... أما أغلب الأقسام في سورية والعراق، وأما الدول العربيّة الأخرى فقد أصبحت عربيّة بالإسلام.

وإذا كانت الوحدة عند بعض الناس رأياً اجتماعياً، أو عملاً سياسياً، أو اتجاهًا عاطفيًا، فهي عند المسلم جزء من عقيدته لا ينفكُّ عنه، ولا يختلف موقفه منه.

(١) وجّه بعض الصحفيين إلى الأستاذ عصام العطار أسئلة عن الوحدة العربية وعلاقتها بالإسلام، وعن موقفه من الوحدة مع مصر، وعمّا يُحمل عليه من آراء لم تصدر عنه مباشرة في الوحدة وغيرها.. وهذه هي الأسئلة والأجوبة كما نشرتها الصحف بتاريخ ٢٩ المحرم ١٣٨٢ هـ، الموافق لـ ٢ تموز/ يوليو ١٩٦٢ م.

(٢) من كلام المؤلف.

والإسلام دون ريب هو طريق الوحدة العربية الراسخة، وسياجها، وحافظ مقوماتها، ومعرزها، وهو الذي يعطيها هدفها العظيم، ويجعلها قوةً للحق والخير.

ولقد عملنا دائماً ودعونا لوحدة أساسها الإسلام، والإسلام يعني في جملة ما يعنيه: التحرر الداخلي والخارجي، والكرامة، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والحكم الشوريّ الصحيح... ولذلك فإن كفاحنا من أجل الوحدة قد اقترن دوماً بكفاحنا من أجل الحرية، والكرامة، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والحكم الشوريّ... وكان عملنا للإسلام عملاً لوحدة تقوم على أسس راسخة، تضمن لها البقاء والنماء، وتحميها الانتكاس والانهدام، ويتحقق للناس في إطارها التقدم والأمن، ويكون للدنيا من وراءها النفع.

س: ما هو موقفك من الوحدة مع مصر وهل تغير عما كان عليه من قبل؟

ج: إن لديّ في الجواب على هذا السؤال كلاماً طويلاً لا ينفصح له الوقت الآن، ولكنني أقول بإيجاز: إن موقفنا في الحاضر هو نفس موقفنا في الماضي، لأننا لا نندفع في هذه المواقف بهوى متقلب، أو مصلحة شخصية متبدلة، ولكننا نصدر فيها عن عقيدة، ونخضع لمقاييس، وننظر إلى رضى الله قبل أن ننظر إلى أي شيء آخر.

ولقد وقفنا مع الوحدة بكلّ قلوبنا وإمكاناتنا، ونصحنا في نطاقها لأمتنا وبلادنا، وراقبنا الله في كلّ عمل من أعمالنا، فلم تمل بنا رغبة أو رهبة، ولم نقصّر في بيان مصلحة أو كشف خطأ أو محاربة انحراف، وتعرضنا في ذلك كله للخطر والعنت والشدة والأذى... ولكننا لم نتخلّ قط عن الوحدة، ولم نقبل التعاون مع من غير رأيه فيها، وعندما قامت حركة ٢٨/ سبتمبر^(١) كتبتُ أقول: (لقد حزّ في

(١) الحركة التي أدّت إلى انفصال سورية عن مصر سنة ١٩٦١م.

قلوبنا وآلمنا أشدَّ الألم هذا التصدُّع الموقوت في الوحدة بيننا وبين الشقيقة الغالية مصر، وما ينطوي عليه من خسارة، ويستتبعه من أثر في المجال العربي والدولي... وكنا نتمنى أن لو بقيت الجمهورية العربية المتحدة، والوحدة التي آمنا بها، وسعيها لها، وجاهدنا وضحيًا من أجلها... وأن لو استقامت الأمور في نطاقها على أساس سليم يضمن استمرارها ونموها وقوتها وتحقق الرجاء فيها... ولقد جهدنا في ذلك جهدنا، وحاولناه وسعنا، فلم يُقدر لنا أن ندفع الكارثة.

وعلينا الآن أن نأخذ العبرة من الماضي للمستقبل، وأن نرتفع في هذه الأيام الحرجة فوق الأهواء والمطامع والمكاسب والانفعالات السطحية، وأن نحكم في تصرفاتنا وآرائنا المصلحة العليا والمقاييس السليمة.

ونحن الذين نؤمن بالإسلام، ونصدّر عنه في أحكامنا ومواقفنا، ونتحري جهدنا مصلحة أمتنا وبلادنا، نرى الواجب المحتم علينا جميعًا: أن نستأنف الجهاد من أجل الوحدة، وأن نحرص على إقامتها في المستقبل على أساس مكين يحميها مثل هذه النكسة المفجعة.

إن وحدتنا، بل إن حياتنا لتتوحد، يجب أن تقوم على أساس من الإيمان، والخلق المتين، والحكم الشوري الصحيح، والعدالة الاجتماعية الشاملة، والتميز عن الشرق والغرب، والقوة التي تحرر وتدفع العدوان... وكل خطوة في هذا السبيل خطوة إلى الوحدة، وترسيخ لها.

ونحن بعد ذلك كله نعلن أننا أبداً:

مع الحقّ وضدّ الباطل

مع الخير وضدّ الشرّ

مع الوحدة وضدّ الفرقة

مع العدل وضدّ الجور

مع الحرية وضدّ الاستبداد

مع المبادئ التي ندين بها وضدّ كلّ من يتنكّر لها، لا نفرّق في ذلك بين عهد وعهد، ولا بين شخص وشخص).

هذا ما كتبه بالحرف الواحد في ذلك الوقت، وهو ما يعبر عن رأينا الآن.

إننا نؤمن بالوحدة ولا نقبل أن تتخذ التجربة الماضية ذريعة لضرب فكرة الوحدة، والسير في طريق الانفصال، ولكننا نريد في ذات الوقت أن نستفيد من التجربة، وأن نتجنّب في كلّ خطوة مقبلة ما سلف من أخطاء، وأن نحمي الوحدة المأمولة من النكسة، ونوفّر لها الشروط التي تضمن للبلاد في نطاقها التقدّم والازدهار، وتمنع الانحراف.

إن آية وحدة بيننا وبين أيّ قطر عربي يجب أن يُراعى فيها ما يلي:

١- أن تقوم على أسس واضحة، وأن تتوفر فيها شروط منها:

أ- الحياة الدستورية التي تمكّن الشعب من تولّي أمره، واختيار طريقه، وحماية أهدافه، ومراقبة حاكميه ومحاسبتهم.

ب- التحرّر من الاستعمار ومخططاته، ومن كلّ سلطان أجنبيّ.

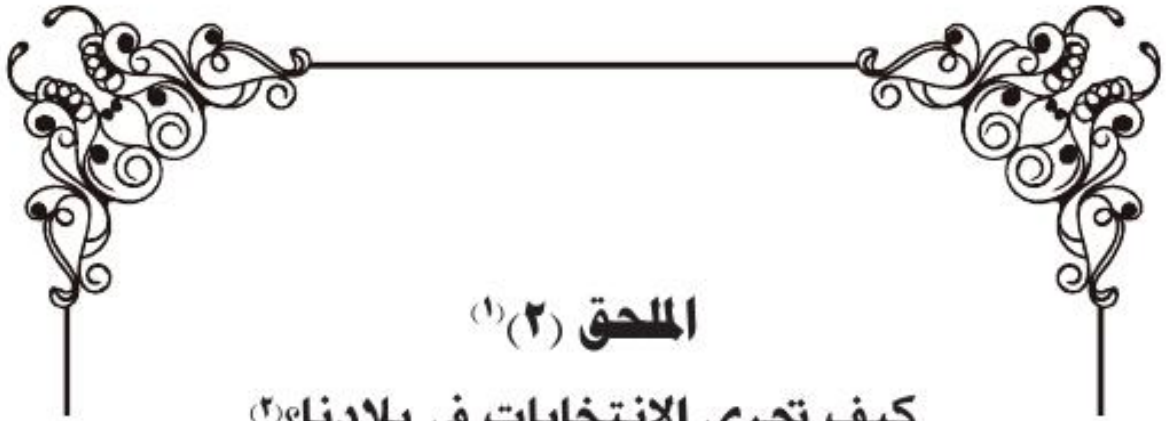
٢- أن يُسلّك إليها السبيل المشروع، فلا يجوز لمصلحة الوحدة نفسها أن يسلك إليها سبيل القسر أو الدم، أو يُدلج إليها في ظلام.

يجب أن تتمّ بشكل طبيعي راسخ، وبقناعة واطمئنان، لتدوم ولا تتكس، وليتحقّق للبلاد والمواطنين في إطارها المحبّة والتعاون والتقدّم والخير.

٣- أن تُدرس ويُحدّد شكلها ووسائلها وخطواتها من قبل مجلس نيابي منتخب، وفي ظلّ حياة دستوريّة سليمة، فلا يجوز أن يُترك مثل هذا الأمر الخطير لحكومة انتقالية، أو أيّة سلطة مهما كانت؛ بل يجب أن يتولّاه الشعب بواسطة ممثّليه.

س: تُنسب إليك آراء كثيرة في الوحدة وغيرها، ويُحمل عليك بعض ما يقوله أو ينشره ناسٌ قريبون منك، أو صحف مؤيِّدة لك، فإلى أيّ حدّ يمكن أن يُقبل ذلك، وأن يكون معبراً عن وجهة نظرك؟

ج: إن رأيي وإن الكلام الذي يعبر عن وجهة نظري هو الذي يصدر عني مباشرة دون غيره، وأنا حريص على أن يفهم ذلك، لأن ما أقوله يعني بالنسبة إليّ وإلى إخواني، واقعنا الذي نعيشه، ودرّبنا الذي نلتزمه، ورأينا الذي نؤمن به، ونكافح من أجله.



الملحق (٢)^(١)

كيف تجري الانتخابات في بلادنا؟^(٢)

وما أن رحل (روزفلت) إلى العربية السعودية، حتى طلب مني (الزغبى) أن أحضر اجتماعاً للتخطيط في منزله يُعقد في أواخر الليل، ولدى حضوري وجدتُ (غازي الدغستاني) هناك، بادياً عليه بعض الانزعاج لأنه ضُبط في عملية تخطيط الانقلاب العراقية، التي وصفها بالجنون، عندما تحدّثنا مؤخراً في بغداد.

وكان يبدو على العقيد راضي العبد الله ممثّل الملك حسين، الخجل والتغابي، وكنت قد تناولت الغداء ذلك اليوم معه ومع أبي سعيد، وقد أطرى العقيد راضي - أثناء حديثه - الفلسطينيين الذين ساندوا محاولة اللواء نوار خلع الملك، وجلس في غرفة الاجتماع الأمير فريد شهاب، رئيس قوى الأمن اللبناني، صامتاً في زاوية من الزوايا، محدّقاً بعصبية في ساعة معصمه.

وسأل الزغبى: أين بحق الشيطان ممثّل جورج يانغ؟ وقصد بذلك ضابط المخابرات البريطانية المرسل من لندن ليمثّل مصالح البريطانيين في التخطيط، وفي

(١) من كتاب «حبال من رمل»، قصة إخفاق أمريكا في الشرق الأوسط، مسؤول المخابرات الأمريكية: ولبر كرين إيفلاند، نقله إلى العربية د. سهيل زكار، الطبعة ٢، دار «طلاس» للدراسات والترجمة والنشر، ص ١٤٤ - ٧٥٤.

(٢) هذا السؤال من كلام المؤلف.

تلك اللحظة قُرع جرس الباب، وبعد برهة دخل الضابط البريطاني إلى الغرفة، سكران، ولم يعتذر لا لتأخره ولا لحالته، وبدأ الاجتماع قائلاً: لقد أصبحت الفرق جاهزة لاغتيال ناصر، وبعد ذلك تحدّث بغضب عن المصريين الديمويين الذين يخطّطون لتحويل الشرق الأوسط إلى الشيوعية، ثم اختنق صوته، وأخيراً غاص في كرسيه وغاب عن الوجود، وهكذا انتهى الاجتماع.

وخرجت وأنا مشمئز تماماً، وصافحت المتأمّرين الباقين، وكلّ منا يهزُّ رأسه وكفيه عجباً وأسفاً...

وعن انتخابات لبنان يقول:

وأخبرني (بول) أيضاً بأنه كان هناك بعض التخطيطات تسير على مستوى أدنى في وزارة الخارجية، كان من بين نتائجها، اتّخاذ منظمة العمليات المتساوية الجوانب قراراً بدعم طلب السفير الأمريكي في لبنان بأن تسمح الولايات المتحدة بصرف أموال الـ CIA لمواجهة التدخّل المصري والسوري في الانتخابات النيابية المقبلة في لبنان، ثم قال: لدينا بعض الوقت للتّحضير لذلك، وخلال هذه الفترة سيكون الزغبى بعيداً في إجازة، لذلك يجب عليك أن تتّفق شخصياً مع الرئيس شمعون، لمحاولة التّأكد أن هذه الأموال هي مخصّصة له، وأن استلامها عمل مُسوَّغ، حتى لا يُساء الظنُّ بها، وأن يكون استعمالها له فائدة قدر الإمكان، وضحكتُ وأنا أتّهم (بول) بالهزر، وأوضحت أن الشيء الوحيد الذي أعرفه بشأن البرلمان اللبناني هو أن نوابه يقودون سيارات لها أرقام صغيرة خاصّة، ولكن (بول) أكّد أن طلبه مطلب جادّ حيث أن هذه كانت هي العملية السياسية السريّة الأولى التي تقع عليه كامل مسؤوليتها، ولا يريد الدوران في حلقة مفرغة، وإنفاق المال بلا مردود.

وعلمتُ أن السفير هيث (HEATH) سبق وأشار إلى أن هذه الأموال الأمريكية الكثيرة ستكون ضرورية لتوازي ما ادّعت الحكومة اللبنانية أنه قد دُفع من قبل السفير المصري كإعانات لمرشحي المعارضة، وجاء تقرير الزغبى دعماً لطلبات (هيث)، ولهذا السبب رتب (نورمان) أمر تكليف (فان دوليور) الاختصاصي في الانتخابات، وذلك من قبل المخابرات للتأكد من أن العملية ستكون بين أيدي خبيرة. وعندما سألت عما إذا كان (فان دوليور) يعرف الشرق الأوسط ولبنان، أجابني أنه لا يعرف، ولكن هذا لا أهمية له، لأنه - كما أكّد (بول) - يشبه تمويل أي حملة، ولا يهم ما للبلد من ارتباطات، وبينما كنت أفكر بمنظر ثلاثة رجال غير مؤهلين أبداً يعبثون بالانتخابات في بلد أجنبي، قال (نورمان): إن إرسال (فان دوليور) له هدف آخر: إن تعليمات ووصايا السفير يمكن أن تهيمن على تعليمات وآراء فرع المخابرات في بيروت، لكن أستبعد أن يتحدّى السفير (هيث) رجلاً أرسل من واشنطن، وله خبرة مُسبقة في الانتخابات الأجنبية، وبما أنني قدّرت (بول) ووثقت بحكمته فقد قررت أن أرجع، وأساعد في أي طريقة أستطيع، وفكرت بأنه ربما ستكون هذه العملية قد أُقرّت لهذا المكان الحساس، بغية دعم الحكومة الموجودة وتمكينها من الاستمرار في الحكم، والمحافظة على استقلال لبنان...

وقال أيضاً:

وتقرّر أن تجري انتخابات البرلمان اللبناني في حزيران، وقُسم البلد إلى أربع مناطق انتخابية، وفي سبيل جعل الشرطة والجيش يحافظان على النظام في الأماكن المعيّنة، ستجري الانتخابات نهار كلّ أحد على أربع مراحل. وستأخذ انتخابات عام ١٩٥٧ م معاني خصوصية، لأن البرلمان المنتخب هو الذي سيقترع عام ١٩٥٨ م على

انتخاب رئيس الجمهورية الجديد، وستوضح ميول النواب السياسية وتوجهاتهم درجة الدعم الشعبي لنظام شمعون، الموالي للغرب (أو بالحرى الموالي لأميركا)، ولكن هذه كما علمت سابقاً لم تكن الطريقة التي تجري بها الأعمال في لبنان، فحسب النظام الدستوري الذي وضعه الفرنسيون تمتع رئيس الجمهورية بسلطة غير محدودة في الأمور الخارجية، فقد كان يمكنه أن يتباحث ويوقع المعاهدات ويحوّلها فيما بعد إلى مجلس النواب للإقرار، مع صلاحية حلّ مجلس النواب إذا لم يكن مطوعاً، وكان هناك أيضاً الميثاق الوطني (غير مكتوب، وله قوة القانون، وفي ظلّه رُتبت مسألة التقسيم الطائفي لتأمين الميزان السياسي والديني والإقطاعي).

وفي ظلّ الميثاق، كان يفترض أن تكون الأكثرية مسيحية في لبنان، ولم يجر أيّ إحصاء رسمي منذ الاستقلال، ويجب أن يكون رئيس الجمهورية دائماً مارونياً، أما المسلمون السنّة فلهم عادة رئاسة الوزراء، وللمسلمين الشيعة: رئاسة مجلس النواب (البرلمان)، وكان التحكّم بهذه المراكز الثلاثة يعني التحكّم بهيكلية لبنان وشكله الدولي، وكان تأييد الأكثرية البرلمانية للحكومة أمراً مرغوباً فيه، لكنه لم يكن ضرورياً لتوجيه سياسات الحكومة المحليّة.

وكان (ريموند كلوز) الرجل الوحيد في مركز بيروت الذي أثّرت بي معرفته بالسياسات اللبنانية، لذلك ذهبْتُ إليه لأستشيرته بخصوص ما واجهناه ونحن نعالج مسألة الانتخابات، وبالنسبة لـ (كلوز) كانت أعصاب الجميع مشدودة لمعرفة ما إذا كان لبنان سيستفيد أم لا من موافقته على مبدأ (إيزنهاور)، وأن هذا سيثير حفيظة المسلمين اللبنانيين والشباب الفلسطينيين المتحيّزين لناصر، من أجل القومية العربية، وأوضح (كلوز) أن (شارل مالك) قد دفع مسألة مبدأ (إيزنهاور)

عبر مجلس النواب، وادّعى حصوله على ضمانات شخصية من الوزير (دالاس)، بأن الولايات المتحدة ستجهّز لبنان بمساعدات عسكرية واقتصادية غير محدودة. اعترف (ريموند) أنه لا يعلم بالضبط ما الذي قرّرت الولايات المتحدة أن تعطيه للبلد، ولكنه متأكد من أنه إذا لم تحصل أيُّ حوادث سيئة فإن المساعدات الأميركية ستظهر حالاً، لأننا لا نستطيع أن نتصدّى لشعارات ناصر القومية بدون صرف مبالغ ضخمة.

وقبل ذهاب الزغبى إلى أوروبا، عُقد اجتماع ما قبل الانتخابات في مكتب السفير (هيث)، لأن مصر والعربية السعودية وسوريا ستدفع مبالغ كبيرة من الأموال كتبرّعات، وذلك للتدخل في الانتخابات، ويبدو أن (هيث) كان يريد نجاح جميع المرشّحين الذين سندعمهم، ويريد دفع المال لانتخابهم، وكان يأمل في الحصول على ٩٩,٩٪ من أصوات الناخبين، وعلى مجلس النواب موالٍ تماماً لأمريكا، وضرب مثلاً على ذلك، بالنواب السبعة الذين استقالوا (من المؤكّد أن تدابير أمنية ستعيد انتخابهم خلال بضعة أشهر) احتجاجاً على موافقة لبنان على مبدأ (إيزنهاور)، وقال: إن هؤلاء يجب أن يُهزموا قصاصاً لهم، مهما كلف الثمن، وأضاف (هيث) يقول: مع دعم رئيس الجمهورية ومجلس النواب الجديد للمبادئ الأمريكية، سيكون لدينا البرهان على أن التمثيل الديمقراطي يمكنه أن ينجح في الشرق الأوسط، فلقد حان الوقت أيضاً كما اقترحت زوجته، للطلب من النساء ترشيح أنفسهن للانتخاب في مجلس النواب، وذلك لإظهار كم لبنان هو في الحقيقة متطور وحديث.

واقترض (هيث) بأنني سأتعاقّد مباشرة مع الرئيس (شمعون)، والحصول على طلباته بخصوص الأموال المطلوبة، ولمن وكيف ستنفق؟ وعندئذ فاجأني الزغبى،

وفاجأ السفير، عندما أعلن بفخر واعتزاز أنه جند رئيس الوزراء (سامي الصلح) وأكد له أن كل أموال الـ (CIA) المجهزة لدعم المرشحين الإسلام^(١) ستمر عبر نائبه (الزغبى) إليه (الصلح)، ولم يكن له (هيث) أي اعتراض، أما أنا فلم أصدق ذلك، لأنني غالباً ما رأيت الرئيس، ووزير الخارجية مسجلين في لائحة الزغبى كعملاء لإدارة الـ (CIA)، والآن يريد أن يزيد على هذه اللائحة رئيس الوزراء، وصار الحال هنا ممثلاً لعلاقة الـ (CIA) مع الملك حسين في الأردن، فقد أضيف إلى اسمه اسم رئيس الوزراء عندما جنده رئيس قسم الـ (CIA) هناك، والآن إذا غطت الـ (CIA) باقي الشرق الأوسط بالطريقة نفسها، تتوقف عمليات تجنيد السياسيين لحساب الـ (CIA)، وتساءلت: وماذا يفعل سفراؤنا؟ فإذا كانت واشنطن تعتقد حقاً أن كل هذا لا معنى له، يجب أن تقفل إذا سفاراتها، وتستعمل بيوتاً مأمونةً للاجتماعات وللبحث في الأمور الخارجية، ونرسل التعليمات إلى السياسيين المجندين لدينا مع الأموال مباشرةً أو بواسطة العملاء. ولدى انتهاء الاجتماع جعلني السفير (هيث) أنتظر، واحتفظ بي لكي يتكلم ويفضي إليّ بشيء خصوصي، فقد قال: يريد أن يرشح (شارل مالك) نفسه لانتخابات مجلس النواب ليكون في داخله، ليتكلم دائماً عن فوائد الانحياز اللبناني لأميركا، وطلب مني تبليغ آرائه هذه إلى (شمعون) لتشجيع (شارل) ليرشح نفسه بلا تمهل.

وخلال اجتماعي مع (شمعون)، شرح الرئيس أنه سيكون غالباً جداً جعل النواب المستقلين يسقطون، لأن مركز عائلاتهم ونفوذهم وانتفاءهم السياسي قد مهّد لهم طريق النجاح بشكل آلي، وعوضاً عن ذلك يجب أن تُستعمل أموالنا

(١) كذا في الإصل، ويعني المرشحين عن المسلمين. (الناشر).

لدعم الأعضاء الذين سيكون نجاحهم مهمًا في دعم سياسات الحكومة. وتابع يقول: وسيكون النصر ممكنًا، وسيغني المال عن تدخل (شمعون) شخصيًا، ورأى (شمعون) أنه إذا سلّمنا الأموال إلى المرشحين المسلمين عبر رئيس الوزراء فإن ذلك سيكون غير مُجْدٍ، ويمكن أن يسبّب مضاعفة الجهود وتداخلها، وبذلك يذهب تأثير أموالنا هدرًا، وعوضًا عن ذلك يمكننا - نحن الاثنين - القيام قبل موعد الانتخابات في كل منطقة بمراجعة سجل أعمال المرشحين، وذلك للتباحث بشأن الذين لهم الأهلية في الدعم، والمبالغ المطلوبة لتأمين انتخابهم. واعترض شمعون على فكرة ذهاب مالك إلى المجلس، وبيّن أنه قد قال ذلك لمالك عدّة مرّات، لكن خصمه قويّ ومتمكّن جدًا منذ أعوام، ثم استدرك (شمعون) قائلاً بأنه موجود وهو ليس ضدّ الغرب، وعلى أيّ حال، إن الرئيس ليس بحاجة إلى مجلس (مدلّ) من النواب، وإنه يريد التجديد لنفسه عام ١٩٥٨م، ولكلّ هذه الأسباب يجب على مالك ألا يرشّح نفسه، ثم في مجمل الأحوال ليس من المفترض بالنسبة له إبعاد نفسه عن شهرتها العالمية، بالاشتراك مع السياسيين اللبنانيين العاديين.

ونقلت موقف (شمعون) بالنسبة (لمالك) إلى (هيث) الذي تقبّل الموضوع بدون أي تعليق، ثم إلى (الان دالاس) مع التلميح بأن رسالة من وزارة الخارجية تشني مالك عن عزمه يمكنها أن تنهي القضية. ونتيجة لذلك، تلقّى السفير برقية من (فoster دالاس) تحتوي على تعليمات إلى السفارة لعمل أيّ شيء يشي مالك عن عزمه، وفي آخر ليلة لتسجيل المرشحين دعاني شمعون إلى القصر ليُشكو من أن السفير (هيث) ما زال يشجّع مالك على خوض الانتخابات. وذهبت إلى شقة مالك، وأنا لا أصدّق ذلك، فعلمت أن (هيث) لم يذهب أبدًا إلى مقرّ وزارة الخارجية، وجلست مع (مالك) و(إيفا) كصديق وتكلما عن مستقبلهما، وبعد ذلك

قرّرا أن لا يُرشح مالك، ولحسن الحظ لم يعد هناك متّسع من الوقت، لأن آخر موعد هو منتصف الليل الذي أصبح وشيكًا، أي بعد نصف ساعة، وفي هذه الأثناء وقفت سيارة السفارة (الكاديلاك) والأعلام ترفرف فوقها، في الشارع في الأسفل. وجاء السفير (هيث) الذي كان مرتديًا ربطة عنق سوداء، ومعطفًا أبيض، وسحب وزير الخارجية بعيدًا في حديث مُلح.

وجلس مع (إيفا) إلى أن رجع مالك، وأعلن أنه ذاهب لترشيح نفسه للانتخابات، وراقبت كلّ ذلك وفهمت لماذا (جون فوستر دالاس) نادرًا ما كان يشق بسفراته وغالبًا ما كان يتجاهلهم، وكانت الأعصاب مشدودةً باقتراب موعد الانتخابات، ولتفادي أيّ تدخّل في التصويت، أغلقت الحكومة الحدود مع سوريا، وطردت المواطنين السوريين، وانفجر الشغب (ضدّ الغرب) مسببًا خمسة ضحايا في بيروت، وتحطّمت سيارة الملحق العسكري للسفارة، وألحّ السفير (هيث) على الحكومة لإرسال بعض المساعدات، واستجابةً لذلك وكبرهان على أن الاعتراف بمبدأ (إيزنهاور) أمر مفيد، وسريع الدفعات، وصلت الشحنة الرئيسة من المعدات العسكرية الأمريكية في اليوم الأول للانتخابات، وكانت مؤلفةً من سبع وثلاثين سيارة جيب جديدة.

وساد التوتر أيضًا في الاجتماعات الاستراتيجية، وحاول (فان دوليور) المحافظة على الرقابة في صرف أموال الـ (CIA) المخصصة للانتخابات، وأخيرًا ورغم معارضة السفير أقرّ خبراء الانتخابات في الـ (CIA) أن بعض المرشحين المسلمين يمكن أن يمولوا بواسطة نائب الزغبى عبر رئيس الوزراء.

ونجح (ريموند كلوز) و(يوجين ترون) في إقناع المجتمعين في جعل الدفعات

مباشرةً إلى عملائهم الذين كانوا أيضًا يتسابقون إلى مجلس النواب، وعند ذلك جمع السفير هذه الطلبات وأضافها إلى اللائحة التي أعطاني إياها (شمعون)، ثم استعمل قناته الحساسة فاتصل بوزارة الخارجية، وطلب منها مبالغ إضافية إلى جانب تلك التي كان مسموحًا بها للانتخابات، ولكن (فان دوليور) أرسل في الحال برقيةً إلى الـ (CIA) قائلاً: إن لدينا المال الكافي. ثم أعطاني خلاصةً عن المرشحين الذين كانت الولايات المتحدة تدعمهم لاستعمالهم في إقناع (شمعون) في التقليل من إنفاقه، وذهب السفير (هيث) إلى القصر ليقول لـ (شمعون) بأنه قبض من قبل المبالغ التي خُصّصت لضمان ترشيح (شارل مالك)، ولا يجوز القبض ثانيةً.

وكنت خلال الانتخابات أتردد باستمرار على القصر الجمهوري ومعني حقيبة ممتلئة بالليرات اللبنانية، وأعود فيما بعد بالليل إلى السفارة، والحقيبة فارغة، وأحملها إلى موظف المالية في الـ (CIA) (هارفي أرمادا) ليملاها، وبسرعة أصبحت سيارتي (الديزوتو) الذهبية اللون، ذات السقف الأبيض المتين، معروفة خارج القصر، فاقترحت على (شمعون) استعمال وسيط بيننا ومكان بعيد، ولكن عندما أصرَّ الرئيس على أنه يقوم بكل عملية بنفسه، طمأنت نفسي إلى الاحتمال (إن ما من أحد في لبنان يمكنه أن يحزر تمامًا ما كنت أفعله).

كان استعمال الأموال الأجنبية من قبل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء واضحًا لدرجة جعلت وزيرى الحكومة المكلفين بمراقبة الانتخابات يستقيلان والانتخابات لم يُنجز نصفها، وكان هناك أيضًا قتال واسع في جنوب لبنان، حيث قُتل وجُرح العديد خلال الانتخابات، وفي نهاية الأسبوع الثالث كان عدد أتباع الحكومة كبيرًا إلى درجة جعلت الحكومة تفكر باتخاذ تدابير جديدة على ضوء بعض

الاعتبارات، مثل تأسيس مجلس للشيوخ لتأمين مقاعد للمرشحين المهزومين من أصحاب المكانة الخاصة.

ووصلت شحنة المساعدات العسكرية الثانية قبل إعلان انتصار الحكومة بشكل كبير، ويستطيع المرء الآن أن يتكهن أن نتائج التصويت جاءت تأييداً لتبني مبدأ (إيزنهاور).

ومقابل ذلك أعلنت الصحف المعارضة وراديو القاهرة أن انتصار (شمعون) هو برهان على رغبته في تغيير النظام وتعديل الدستور لكي يبقى في الرئاسة. وفي النهاية انهزم المعارضون المسلمون الرئيسون للحكومة، وانتصر (شارل مالك) بفوارق كبيرة بالأصوات، وكانت تفجيرات القنابل وإطلاق الرصاص ما زالت تملأ البلد، وأعلنت السفارة عن عزمها على إرسال مساعدات عسكرية واقتصادية بمبلغ خمسة عشر مليون دولار إلى لبنان، فاتصل بي (شمعون) ودعاني إلى القصر، وقال لي: إنه يتوقع ازدياد المشاكل، وأن الاتهام سيوجه إلى ثلاثة رؤساء حكومة سابقين، ويريد رئيس الجمهورية الإسراع في شحن أسلحتنا لأنه إذا حصلت مشاكل جديدة أو أي شغب سوف يكون بحاجة إليها، وبدأت علامات الارتياح على السفير (هيث)، إزاء نتائج الانتخابات أكثر مما بدا على (شمعون)، ومع ذلك فقد كان هناك مشكلة تقلق باله وتضايقه، لأنه علم بشأن البرقية التي أرسلها (فان دوليور) يعارض بها دفع أي أموال إضافية، وأقسم اليمين أن مستقبل (فان دوليور) في الـ (CIA) سينتهي على يديه.

وأظهر لي (شمعون)، خلال سخونة الحملة وشدتها البراهين على أن أسلحة سورية كانت تدخل تهريباً إلى لبنان، ولسوف تسجل الأيام القادمة اضطرابات

كثيرةً من قبل المدعومين من سوريا، بالأموال المصرية، وكان هدف هذه النشاطات ظاهرياً، وهو التأثير على الانتخابات، وتساءلت ذلك الوقت، عما إذا كان يمكن لسوريا ومصر أن تقبلا بدور لبنان كملجأ للاجئين السياسيين المدانين من قبلهما، والذين يخططون المؤامرات ضدّهما.

فبالإضافة إلى تخطيط الزغبي لعمليتي (وين ويسيوني) علمت أن (فيرن كاسين) في فرع دمشق لإدارة الـ (CIA) يتحرّك نحو الأمام في سبيل تنفيذ عملية انقلاب (ويكفل)، وجاء (كاسين) إلى بيروت، وبينما كان يشرح خطته الجديدة في مركز الـ (CIA)، نظر إليّ نظرة خاصة، ثم اتّجه نحو الزغبي، وشرح بأنها ستكون عملية محترفين، واستطرد يقول: إن (كيم روزفلت) قد ربّبت تعيين (هاوارد ستون) في دمشق بدلاً من الخرطوم، فقط ليتأكّد أن الهندسة قام بها رجال محترفون، وبعد انتهاء الاجتماع، أوضح لي الزغبي أن (هاوارد ستون) كان في الثانية والثلاثين من عمره، وهو أشبه بالأسطورة في تنفيذ عمليات الـ (CIA) السرية، فهو الذي ساعد (كيم روزفلت) في عزل رئيس الوزراء الإيراني مصدّق في عام ١٩٥٣ م، ثم اعترف -ربما ليؤثّر عليّ بأني هاوٍ- الزغبي أن انقلاب (روزفلت) الإيراني نفّذ بعشرة آلاف دولار وستة أو سبعة عملاء (CIA) اختصاصيين، كان من ضمنهم (ستون).

وكنت مشغولاً جدّاً لأنّته إلى المؤامرة الجارية في سوريا، وجاءت أول إشارة لي حول محتوى عملية (كاسين) من (أرتور كلوز) الذي جاء مع (ستون) إلى بيروت في مهمة سرّية وخطرة. وأخبرني كلوز بأن الـ (CIA) هي التي تتّصل مع الرئيس السوري السابق (أديب شيشكلي)، وهي التي أعطت العقيد إبراهيم حسيني جواز سفر مزوّر لكي يدخل لبنان، وهو الذي كان رئيس الأمن أيام الشيشكلي، ويشغل

وظيفة الملحق العسكري السوري في روما، وكان على (آرتور كلوز) نقل الحسيني (وهو رجل ضخيم كالثور) في داخل مكان الأمتعة في مؤخرة سيارة عائدة للسفارة، نقله عبر الحدود إلى سورية، وهناك كان سيجتمع مع كبير العملاء السوريين المتعاونين مع (كاسين) لإعداد العدة لعودة الشيشكلي إلى السلطة بمجرد نجاح الانقلاب بالإطاحة بالحكومة.

لكن الذي حدث هذه المرة هو انكشاف الانقلاب قبل أن يبدأ، فقد توجه ضباط الجيش السوري الموكلون إليهم الأدوار الرئيسة نحو الشعبة الثانية ودخلوا بكل بساطة إلى مكتب العقيد سراج، وأرجعوا أموالهم، وذكروا أسماء ضباط الـ (CIA) الذين دفعوا لهم المال، ومع أن (كاسين) و (كلوز) ومعظم موظفي الفرع كانوا محميين بوساطة الوسطاء الذين كانوا يؤمنون الاتصال، فإن (ستون) وضابط (CIA) آخر هو (فرانك جيتون) قد قبض عليهما بالجرم المشهود، وأعلن أنهما غير مرغوب بهما في سورية. وعمم الخبر في الصحف، وشمل الأمر بالطرد أيضًا العقيد (بوب موللوي)، الملحق العسكري الذي كان يريد دائمًا رؤية بعض المؤامرات. وأخيرًا وجد ما أراده، حين رأى نفسه في بيروت، وجرى إرسال (ستون وجيتون) إلى الحدود اللبنانية، ومن ثم ذهبوا إلى مطار بيروت، وسافروا إلى واشنطن^(١). وكان لـ

(١) جرت محاكمات في سورية في شباط ١٩٥٨م، وحُكم على عشرة من المشاركين في المؤامرة بالسجن لمدة قصيرة، وحُكم [على] الشيشكلي والحسيني غيابيًا بالسجن المؤبد، وطُرد الحسيني من الجيش وفقد وظيفته في روما، وكافأت الـ (CIA) (ستون) و (جيتون) على إخفاقها بترقية عالية جدًا، وفي سنة ١٩٧١م صار (ستون) مدير فرع روما وهو فرع خطير جدًا، ونُقل (جيتون) إلى الكونغو حيث أشرف على تصفية (باتريس لومومبا)، ثم نُقل مديرًا ثانيًا لفرع باريس في عام ١٩٧٦م.

(موللوي) قصة مختلفة تمامًا فقد ذهبت لرؤيته وأخذت معي (سام بريوار) ليخفف عنه وليمكنه من الإفضاء بهموه وسريرة نفسه، وقال (موللوي) بأنه عندما وصل إلى الحدود السورية- اللبنانية وقف بجانب سيارته وصرخ قائلاً: «يجب إخبار سراج وجماعته أن (موللوي) سيحطّم رؤوسهم، ويبد واحد، إذا اعترضوا طريقه ثانية»، وأصغيتُ له، وفهمت الآن سبباً آخر لماذا وصلت العلاقات الأمريكية- السورية إلى مرحلة الانقطاع.

وجرى اغتيال واحد من السوريين في لبنان، وكان من الذين اتهموا بالمشاركة في محاولة الانقلاب لعام ١٩٥٦م، وهو الانقلاب الذي أمدته بالمال عبر (ليان)، وتحذت جهاز التحري اللبناني عن محاولة لتفجير السفارة الأمريكية، وقال بأنها عملية انتقام من الـ (CIA) لمحاولتها الإطاحة بالحكومة السورية، واتصل بي (ميخائيل ليان)، الذي ما زال في الجبال اللبنانية، ليقول لي بأن بقاءه هنا سيجرّ عليه خطر الاغتيال، وأنه لذلك قرر السفر إلى تركيا، حيث وُعد هناك بالحماية والحراسة، وعندما أوصلتُ رغباته إلى واشنطن طُلب مني السفر إلى اسطنبول، وأرتب الأمور هناك ليكون (لليان) اتّصال بقاعدة الـ (CIA) هناك، وقيل لي:

سوف نطرد السفير السوري في الولايات المتحدة، وندعو السفير (موز) إلى واشنطن (لاستشارات غير محدّدة) احتجاجاً على الاتّهام الزائف بأن الـ (CIA) ضُبطت وهي تحاول قلب نظام الحكم القائم في سورية، وعليه قد نضطر إلى إقفال سفارتنا في دمشق، وبما أنه ما زال لـ (ليان) اتصالات هامة في سورية، يمكننا من خلالها أن نحافظ على أعمالنا هناك^(١). وعندما وصلتُ إلى

(١) لم يرجع السفير (موز) إلى سورية ثانية، ونقص عدد موظفي سفارتنا كثيراً، وجرى إرسال

تركيا حُدِّدت مهمتي وتحوّلت إلى مهمة مريحة جدًّا، وعلمت فيما بعد أن ذلك أعاظ رئيسي فرعي الـ (CIA) في أنقرة وبغداد، وكان الملك فيصل (العراق) قد أتمَّ ثقافته، وجلس على العرش، وكان مستعدًّا للزواج من فتاة لائقة من تركيا، واستقلَّ الملك اليخت الملكي برفقة خاله ولي العهد (عبد الإله) وعبرا بحر مرمرة الذي يمكنني مشاهدته من على شرفة فندقي، ولقد افترضنا بأن (ليان) سيبدأ من جديد القيام بالاتصالات مع العراقيين، وهذا عمل كان عليّ متابعته، بطريقة تمكننا من البقاء على استعداد لاستلام أي أخبار ملكية عراقية تتعلق بسورية، وحصلتُ خلال شهرين من الاستجمام على لون أسمر جدًّا، وتسَلَّمْتُ التقارير الوافية من (ليان) ومن ولي العهد فيها بأن معظم السوريين يفضّلون العيش في ظل الملكية الهاشمية. وكان ولي العهد يرغب في اعتلاء عرش ما، وكان (ليان) رجلاً بدون بلد، لذا كان من الصعب تصديق تخميناتها عن الإمكانات السياسية واعتبارها أكثر من مجرد تمنيات فقط.

(فيرن كاسين) إلى عمان رئيسًا لفرعها، وهناك تعامل مع رئيس الوزراء سمير الرفاعي، ثم نُقل إلى واشنطن بعدما قام بعملية سرّية جدًّا، وعاد (أرتور كلوز) وبقيّة رجال الفرع إلى واشنطن، وقد عمل (كلوز) فيما بعد رئيسًا لفرع تونس ثم ليبيا، وفي كانون الأول لعام ١٩٥٧م عُيِّن (تشارلز بوست) سفيرًا في سورية، لكن قيام الوحدة بين سورية ومصر جعل التمثيل الأمريكي في دمشق بمرتبة قنصلية فقط والسفارة في القاهرة، وفي سنة ١٩٦٧م بعث الرئيس (جونسون بوست) إلى مصر مع تأكيدات بأن إسرائيل لن تهاجم مصر، وكان في مصر أثناء حرب الأيام الستة، وصار (بوست) فيما بعد سفيرنا في الأمم المتحدة، ويقوم الآن بإعداد مقالات حول الشرق الأوسط ينشرها في كبريات صحف الولايات المتحدة.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
سورية بين فكي كماشة.....	٧
تمهيد.....	٩
خطة العقيد محمد صفا رئيس اللجنة العسكرية للمتأمرين السوريين:.....	١٣
من أيامي في الإخوان.....	٣٧
تمهيد.....	٣٩
عمر بهاء الأميري.....	٤٧
الإخوان المسلمون وعبد الناصر.....	٦٣
الإخوان وعبد الناصر.....	٦٨
محاولة اغتيال عبد الناصر.....	٧٥
الانشقاق.....	٨٣
الانشقاق في سورية.....	٨٩
نجيب جويفل.....	٩٢
جويفل والانشقاق السوري عود على بدء.....	١٠٠
نشاط جويفل الهدام في بلاد عربية أخرى.....	١٠٣
محاولة الانقلاب الناصري ١٩٦٢ م.....	١٠٧
تمهيد.....	١٠٩

الموضوع	الصفحة
مؤامرة نموذجية ضد نظام الحكم.....	١١١
اغتيال عدنان المالكي.....	١٥٧
الأوضاع العامة من ١٩٥٤ - ١٩٥٨ م.....	١٦٧
من مأمنه يُؤتى الحذر.....	١٨٥
وقفات.....	١٩٢
عصيان قطنا.....	١٩٩
وقفات.....	٢٠٥
وقفات.....	٢١٣
مجلس قيادة الجيش.....	٢١٥
وقفات.....	٢٢٢
حكومة التجمُّع القومي.....	٢٢٧
الانتخابات التكميلية.....	٢٣٥
الملاحق.....	٢٦٧
الملحق (١) الوحدة العربية والإسلام والوحدة بين سورية ومصر.....	٢٦٩
الملحق (٢) كيف تجري الانتخابات في بلادنا؟.....	٢٧٥
الفهرس.....	٢٨٩

